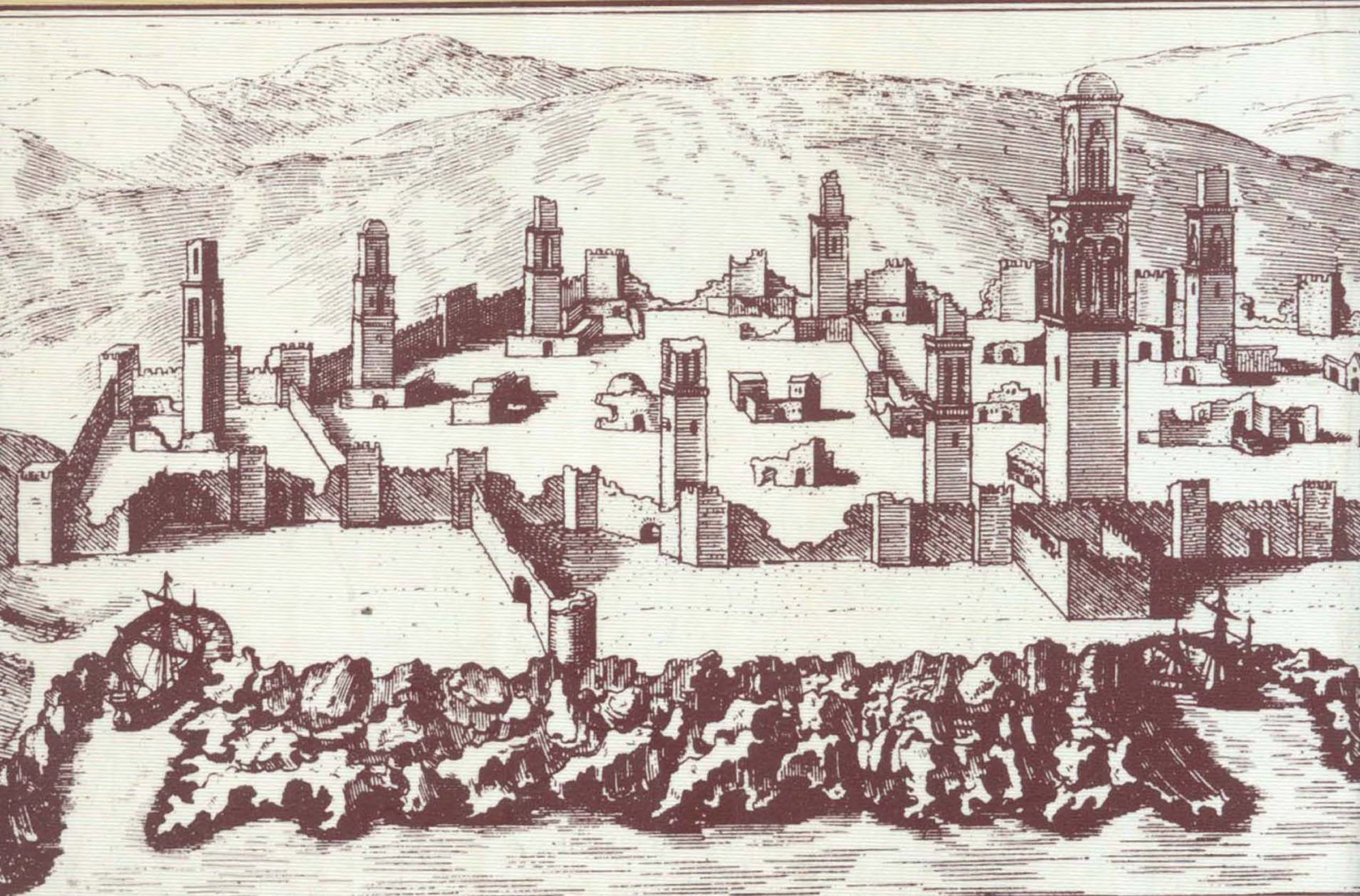
هاشم المعروفي

عبير الزهور

في تاريخ الدار البيضاء وما أضيف إليها
من أخبار آنفا والشاوية عبر العصور



الجزء الأول

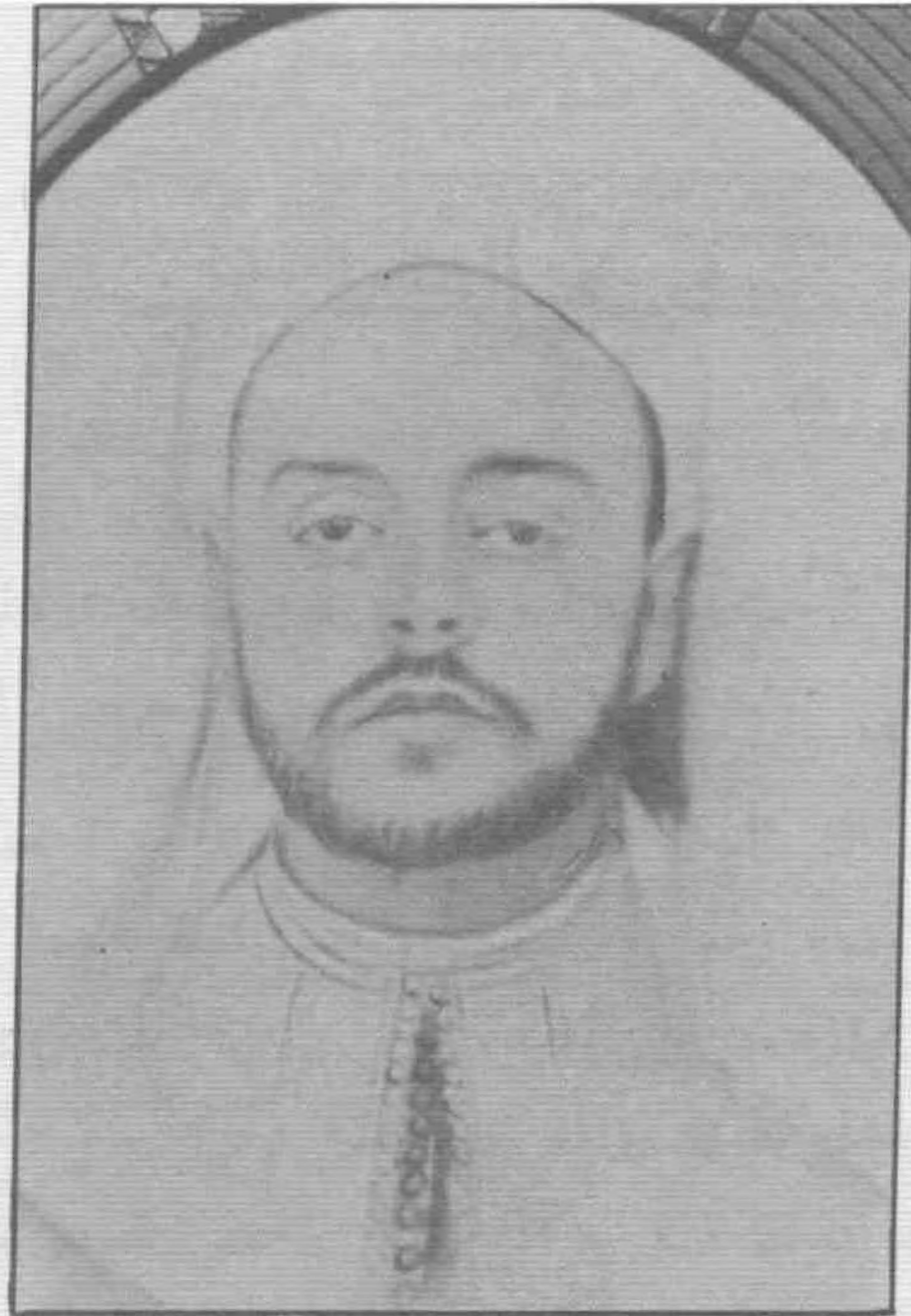
هاشم المعروفي

عبير الزهور

في تاريخ الدار البيضاء وما أضيف إليها من أخبار آنفا والشاوية عبر العصور

الجزء الأول

1987 - 1407



إليكم بني الإنسان أترك تذكاري
يحيّيكمُ عنّي تحية إكباري
وأرجوكمُ أن ترحموا روحه إذا
قضَى بدعاء يغفر الله أوزاري
فما أحد يبقى على الأرض خالدا
ولو عمّرت أيامه أي تعماري
كفي الموتُ وعظاً صامتاً لذوي النهى
ألا فافعلوا الخيرات في هذه الدار



الطبعة الأولى 1407هـ / 1987م

* * *

خطبة الكتاب

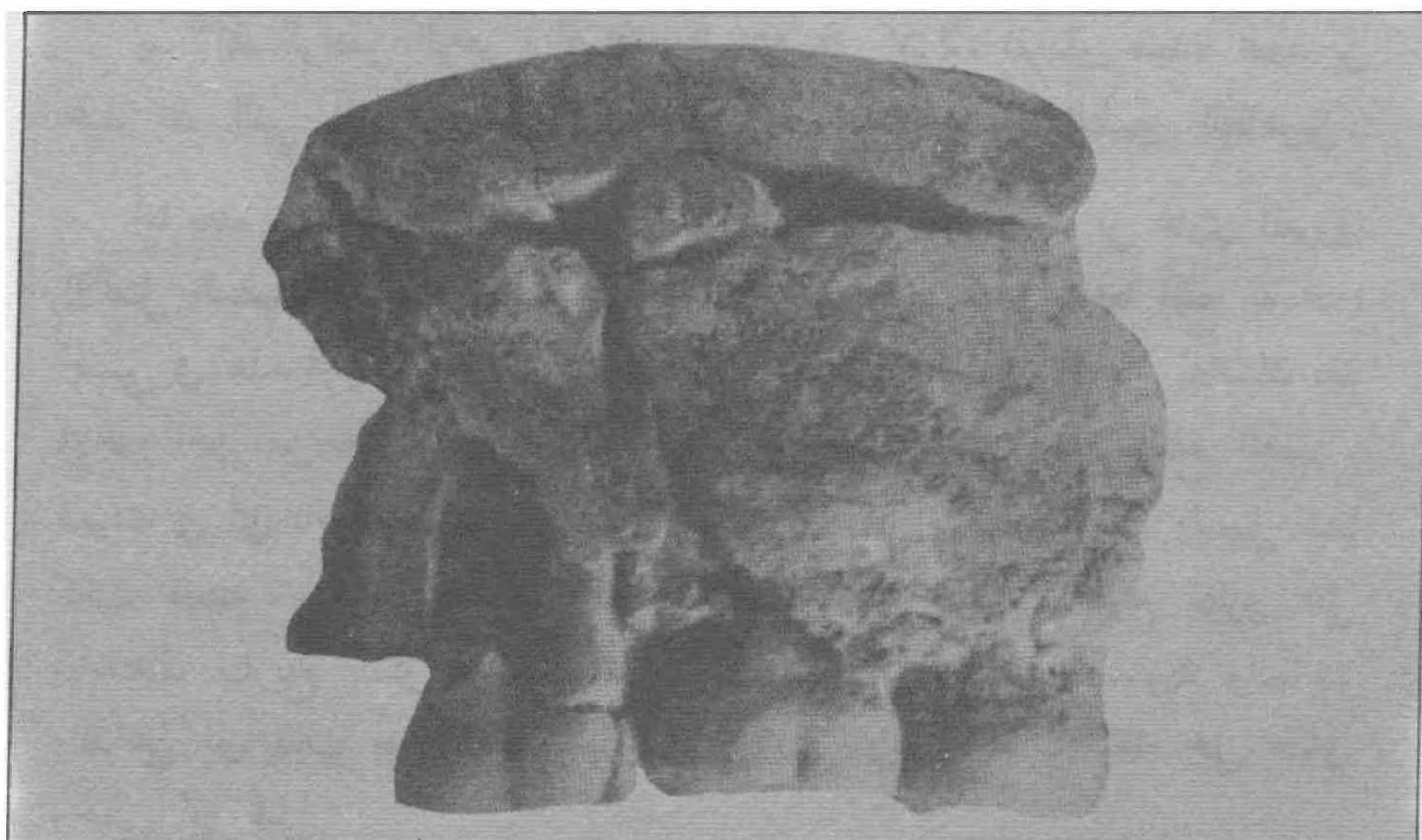
بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد بن عبد الله النبي الأمي الأمين وعلى آله وأصحابه أجمعين الطيبين الطاهرين

أما بعد فيقول أفقر الورى هاشم بن الحاج محمد بن أحمد بن غازي المعروفي الأصل البيضاوي النشأة والدار ، فرغبة في أن أكون عضوا نافعا أنفع به أبناء جنسي في هذه الحياة المكتنفة بين العدم السابق والعدم اللاحق ولم يبق للانسان بعد الأخير أجلّ من خدمة يخلفها وراءه تعود عليه وعلى أبناء جنسه بالنفع العميم فكرت في أي ناحية أطرقها لهذا الغرض النبيل لأحظَى بقسط من هذا السبيل كيفما كانت نسبته ، وأرجو الله أن يكون خالصا لوجهه الكريم . فوقع نظري على الاشتغال بتاريخ الدار البيضاء قديما وحديثا وبتاريخ قبائل الشاوية وانسابهم والداعي إلى ذلك أسباب ، كونها مسقط رأسي وبهوائها كان البقاء على حياتي وحسي كما قيل

بلاد بها نيطت علي تمائمي وأول أرض مس جلدي ترابها

ثانيا عتاقتها بالنسبة لأصلها آنفا وأنها من أقدم المدن والمراسي المغربية وقد لعبت أدوارا هامة في التاريخ ولا يعلم عنها كثير من الناس إلا الحالة التي كانت عليها قبل الاحتلال وبعده

ثالثا ما وصلت إليه من استبحار العمران وازدهار الحضارة وكثرة السكان وانتشار البنيان واتساع الفجاج ورواج التجارة ونفاق الصناعة ما زاحمت به عواصم المعمور واشتهرت به في الكرة الأرضية حتَى أطلق عليها العاصمة التجارية وعروس الاقيانوس وغير ذلك من الألقاب الضخمة الجميلة فصارت بذلك غنية التاجر



فك فم بشري وُجد بمنجم قرب سيدي عبد الرحمان سنة 1955 ، يرجع عهده إلى مائتي ألف من السنين.

ونزهة السائح وسلوَ الغادي والرائح وقد أبدع الشريف الأديب مولاي أحمد البلغيثي رحمه الله إذ يقول في مدحها

حياك مولاك يا بيضاء من دار
كم فيك كم فيك ما يقصه الدَّارِي
حيث السرور توَى حيث البرور بدَى
حيث التباعد عن حزن واكدار
كم فيك من من ومنك من نعم
وعنك من خبر يروى بايسار
لازلت لازلت تزدادين من ترف
به تباهين ما حاداك من دار
لازال ربعك مزدانا بكل حلى
كسيها من عطاء الخالق البار
لازال أهلك في خصب وفي كرم
وفي نعيم همى كغيث مدرار

ولنا على هذه القطعة الشعرية تخميس سنذكره فيما بعد

وتعتبر الدار البيضاء عاصمة المملكة المغربية الاقتصادية والتجارية ومركزا هاما للنشاط التجاري والصناعي وذلك نظرا لتوفرها على عدد كبير من المعامل والمصانع وكذا على عدد مهم من المتاجر والأبناك وتعتبر من أكبر الموانئ المغربية الموجودة على المحيط الأطلسي وتستقبل الدار البيضاء يوميا عددا كبيرا من البواخر تحمل العدد الكبير والكثير من الأطنان من البضائع المتداولة بين المغرب ودول الخارج وتحتوي الدار البيضاء على عمارات كثيرة ضخمة وحدائق غناءة جميلة متعددة وقد ارتفع عدد السكان بها واتسعت حركة تجارتها منذ بداية القرن الحالي وأصبحت في مدة وجيزة ميدانا لمختلف أنواع النشاط من تجارة وصناعة وعمران

وإذا أردنا أن نلقي نظرة شاملة على تاريخها نذكر أنها كانت تسمى في العصور القديمة آنفا. وقد وردت في كتب تاريخية عديدة كابن خلدون وابن الخطيب والادريسي وأبو القاسم الزّياني وابن أبي زرع والحسن الوزان ومرمول وغيرهم.

ونحن مدينون وممنونون لمن سبقنا من العلماء والكتاب الذين دونوا لنا من أخبار الأمم الماضية واستفدنا ما كان لهم من حضارة ومجد فمهم من كتب في التاريخ العام كتاريخ الأمم والملوك لابن جرير الطَّبَري والكامل لابن الحسن علي بن محمد المدعو ابن الأثير، ومهم من خص ناحية من التاريخ كابن خالد الناصري في كتابه الاستقصاء في تاريخ دول المغرب الأقصَى وابن خلدون في كتابه العبر في تاريخ العرب والبربر وابن أبي زرع في كتابه روض القرطاس وابن زيدان في كتابه الاتحاف في تاريخ مكناس ومحمد أبي جندار في تاريخ رباط الفتح ومحمد الكانوني في تاريخ آسفي ومحمد بن علي الدكالي في تاريخ سلا

وقد ارتأينا أن نلقي دلونا في دلائهم فإن لم تجئ بماء غزير جاءت بحمأة وماء يسير تطفلا منا عليهم فإن وجد القارئ مبتغاه من الفوائد التاريخية فذلك بتوفيق من الله وان وجد ما لا يرضيه فذلك من خطئي وتقصيري

كما جاء في الآية الكريمة (ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك) وانا أعتذر بأنني لست من المتخصصين في التاريخ وإنما قصدنا هو ايصال الفائدة من العلم للقارئ ولو كان قليلا ، فإن من سبقنا كتبوا في أخبار الظرفاء والصلحاء وكتبوا في الملاهي وأصحاب المراء والخصومات وفي السخفاء وحمية الجاهلية فمن وجد نقصا فليكمله ومن وجد خطأ فليصلحه

ولا يفوتني في هذه الفرصة ان أشكر أصدقائي الأوفياء ممن أعانني على المضي في العمل بنصائحه الثمينة وبتشجيعاته المفيدة مثل شيخنا وصديقنا الحميم مؤرخ سلا سيدي محمد بن علي الدكالي والفقيه الوطني الغيور سيدي محمد الكنوني مؤرخ آسفي وطالما قدما إلينا نصائح في الحضور والغيبة بكتاباتهم وزوداني بالفوائد التاريخية النادرة وشكري لهم بالدعاء الصالح أن يتغمد الله أرواحهم برحمته الواسعة ويحشرني معهم في زمرة السعداء مع النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولائك رفيقا

كما نشكر صديقنا السيد (فهد توما السوري) الطالب بكلية الطب بالرباط سابقا على ما أسداه لنا من الإعانة في ترجمة كتب الغربيين كما نتقدم بالشكر لولدنا البار الدكتور صلاح الدين لما قام به من نقل صور الكتاب لنا من فرنسا والوثائق التاريخية

في عصر السلطان مولاي الحسن من المكتبة العامة بتطوان وتنبيه لنا بوجود ميناء بلبنان يسمًّى أنفا مما نعده مساهمة منه لنا في تأليف هذا الكتاب أصلحه الله ورضي عنه

كما نتوجَّه بالشكر الجزيل لصهرنا وابن عمّنا السيد الهاشمي المعروفي القائد الممتاز بعمالة سطّات الذي لم يبخل علينا بإعاناته ونصائحه الغالية

تاريخ مركز الدار البيضاء وما حولها بما يسمى بالعصر الحجري القديم

لقد أفادنا علماء الآثار باكتشافاتهم ان منطقة الدار البيضاء كانت في العصور القديمة الحجرية فيما يسمى قبل التاريخ مسكونة آهلة بالبشر فقد اكتشف قرب منجم (شنيدر) آثار أحجار منحوتة ومملسة ومطورة بالصناعة الحديثة ، وفي حي الوازيس وحي مرس السلطان والارميطاج اكتشفت صناعات لكل العصور تقريبا في مصنع توليد الكهرباء اكتشفت مصنوعات البشر وفي طريق الرباط والمحمدية على الرصيف الجديد مكسر الأمواج ، اكتشفت كوم من الأصداف والرماد وبقايا الأكل تحتوي على كثير من العظام البشرية وفي أسفلها عثر على مسكن مليء بالخزف وبالفخار وبالأحجار المصقولة ، وعلى بقايا بشرية وفي عين الشق كذلك قرب المدينة وعلى بعد مائتي متر تقريبا من شمال شارع الحزام الكبير عثر على كثير من الخزف والفخار المطلي يعود إلى العصر الحجري الأدنى وكذلك عثر على 150 عروة مثقوبة بثقبة أو اثنتين أو ثلاث وفي أعمال البلدية في قلب المدينة الجديدة عثر السيد (ببرسون) على أحجار مصقولة ذات وجهين وعلى شظايا وفؤوس وأحجار صوانية منحوتة وحسب علمه ان تكون صناعة نحت الأحجار باستعمال السندان ترجع إلى عصر الأحجار المنحوتة وذات الوجهين

وأهم منطقة أثرية في هذه الناحية هي قرب ضريح سيدي عبد الرحمان وهي المناجم التي تقع في الجنوب الغربي للدار البيضاء ، فيها آثار ووثائق أثرية ترجع إلى عصر المتحجرات وفيها كل الشروط التي تسمح بدراسة طبقات الأرض وهذه المناجم كانت ميدانا لتنقيبات وأبحاث دائمة منذ بداية العمل فيها مع السيد (رنوفيل) والسيد (رُهمان) (رنوفيل هو الذي أطلق عليها الرحماني) والتنقيبات الحديثة التي قام

بها السيد (ببرسون) المذكور فقد كانت هذه المناجم موضوع تأليف الكتب العديدة نجد أهمها في تحليلات السيد (ريمون)

وفي عام 1955م اكتشف السيد ببرسون في احدّى فجوات المنجم المذكور قطعتين للفك الأسفل يرجع إلى رجل (هومنيان) وهو أقدم رجل واكتشاف رجل سيدي عبد الرحمان مهم جدا يساعد على فهم عصور ما قبل التاريخ وانه لوثيقة في علم دراسة الانسان وتطوره ، يعطينا فكرة عن تطور البشرية منذ عصور المتحجرات إلى عصر الرجل العاقل وآثار سيدي عبد الرحمان تعطينا فكرة عن هذا الجد القديم وهذه الأبحاث في دراسة السيد (ببرسون) قد جاء فيها أن هذا الجد القديم عاش في العصر المطري الثالث في شمال افريقيا

وهو تابع لنمط معين للمتحجرات الذي هو أقدم من الرجل (نياندرتال) الذي عاش ما بين المطر الثالث وبداية المطر الرابع

ومن الممكن أن يكون هذا الرجل الذي وجد قرب ضريح سيدي عبد الرحمان هو مكتشف ذات الوجهين المصقولة حيث وجد مها بجواره بقاياه وذات الوجهين هذه المقتطعة من الخشب خاصة بعصر معين بدقة ألا وهو العصر الحجري المصقول الأدنَى والتقنية في صنع هذه الأدوات تدل على انسان لا ينقصه حس الجمال ولا تنقصه الصنعة في صقل هذه الأخشاب أو الأحجار ، وقد كان هذا الرجل صياداً لأنه قد عثر على أثر يدل على تواجده مع حيوانات كثيرة الكبيرة الحجم كالفيل ووحيد القرن (الكركدان)

فليس من المستبعد أن يكون صقل الخشب ، ولكننا لا نعرف إذا كان قد تعرف على النار أو استخدمها أم لا

---

(1) نقلنا هذه الفوائد التاريخية من كتاب اندري آدم بصحيفة 11 وصحيفة 12 وصحيفة 13 وبعدما نقلنا الأبحاث والدراسات المتعلقة بالفكّ الذي عثر عليها السيد ببرسون بضريح سيدي عبد الرحمان وقفت على صورة لأحدهما في كتاب تاريخ المغرب المطول باللغة الفرنسية المعزز بالصور أحدهما يميل إلى السواد يرجع تاريخه إلى 200 ألف سنة وهذان الفكان يوجدان بمتحف الآثار بباريس وهو أقدم من الآثار التي عثر عليها بضواحي الدار البيضاء المماثلة للشلي والقفصي بكثير وأقدم أيضا من الآثار التي نقلها فريد وجدي بدائرته أيضا التي ستذكر

وهذه الأبحاث لها ارتباطات باصطلاحات هذا الفن وقد ارتأينا أن نقدمها للقراء لنسلط الأضواء على معرفة ما ننقله عنهم من فوائد وأبحاث ومصدرنا في ذلك كتاب تاريخ افريقيا الشمالية للعلامة (شارل اندري جوليان) بترجمة محمد مزالي والبشير بن سلامة حيث كان هذا الفن من مبتكرات علماء الغرب وقد بنوا أبحاثهم على علم طبقات الأرض (جيولوجيا) وعلم الحفريات القديمة (الاركيولوجيا) وعلم وصف الإنسان (انتريوليوجيا) وعلم الآثار فنسقوا ووفقوا بين ما أعطاهم كل واحد من هذه العلوم وربطوا بينها[2] وباعمالهم هذه ضبطوا تواريخ نسبية للمعالم التي خلفها الانسان الأول وقاربوها بالتواريخ التي حدد أصولها السيد (جـ دي مرنبوني) سنة 1969 بواسطة النماذج الصناعية وقد عدلت هذه الاكتشافات التي تمت بعد ذلك التاريخ تعديلات ملموسة وانه يوجد بافريقيا الشمالية أدوات تماثل في فنوها وأشكالها الصناعات التي تعرف في أروبا بالأسماء الآتية (الشيلي والاشولي) بالنسبة للعصر الحجري الأدنَى و(الموستوري) بالنسبة للعصر الحجري المتوسط وإذا اعتبرنا جملة ما تعاقب من آلاف السنين الغامضة وجدنا الانسان قد مرت عليه ظروف غريبة نجهل كل الجهل ما يتصل بالبشر الذين خلفوا لنا الأدوات الشيلية والأشولية والموستورية وفي مقطع مارتان بالقرب من الدار البيضاء نجد الشيلي والأشولي مجتمعين وبات من المسلم به أن هذه الصناعات الثلاث ليست معاصرة بعضها لبعض ولكنها تتابعت على النحو الذي توالت فيه بأروبا فالأشولي يبدو مرحلة متطورة عقب الشيلي ولما تكلم عن العصر الحجري الأدنى والمتوسط تكلم عن العصر الحجري الأعلى بافريقيا الشمالية بانه تمثله مراكز يفوق عددها بكثير مراكز العصر الحجري الأدنى ومثل له بالقفصي وكلمة القفصي مأخوذة من مراكز واقعة بجهة قفصة من البلاد التونسية

وحددت فترة العصر القفصي بتاريخ (14000) سنة قبل المسيح وعد من فترة القفصي فترة (المحلزات) وأطلق هذا الاسم (لا تابي) على هضاب اصطناعية تكونت بتراكم الرماد والادوات والهياكل العظمية البشرية وخاصة أصداف الحلزون التي اشتق منه هذا الاسم والحلزون هو المسمى عندنا (بالببوش) وهذه المحلزات هي التي وجد مثلها في الدار البيضاء بعين الشق وطريق المحمدية.وفي القاموس الحلزون ذويبة

(2) من الكتاب المذكور من الجزء (1) صحيفة 52 إلى 55 .

رمتية لحمها جيد للمعدة وجراحة الكلب ، وتحليل الورم وابراء القروح ، ومحروق صدفه يجلو الجرب والبهق والأسنان والتضمد به يجدب السلاء من باطن اللحم ، ومخلوطا بالخل يقطع الرعاف انتهَى

وكما حددوا العصر القفصي بـ 14000 سنة. قبل المسيح وحددوا العصر الأدنى المنسوب إلى الشيلي والأشولي والأوسط المنسوب إلى الموستوري بـ 10.000 سنة قبل المسيح إلى 5000 سنة قبل المسيح ولكن هذه المدة تبدو زهيدة ومتواضعة بالنسبة لما قدروه لبعض المكتشفات في آسيا وغيرها بالملايين

ذكر الامام فريد وجدي في دائرة المعارف ج 1 (صحيفة 124 ــ 125) أن تاريخ وجود الانسان على الأرض شغل الباحثين في كل زمان على أن ما قيل في ذلك مايزال ضنينا كلف ملك مصر لادلف العالم منيتون وكانا عائشين قبل المسيح بنحو قرنين أن يحد له عصور المصريين القدماء فحدها له بنحو (35000) سنة وحدها المؤرخ اليوناني (ديودو) الصقلي الذي كان عائشا في القرن الذي ولد فيه عيسى عليه السلام بنحو (33000) سنة

أما المؤرخ الخالدي (بيروز) الذي كان عائشا في القرن الثالث قبل المسيح فقد حدد مدة العائلات الخالدية بـ (430.000) سنة وحد ما بين الطوفان و(سرميس) ملكة بابل بـ (35000) سنة ولكن العلماء العصريين يعتمدون في تحديد وجود الانسان على الأرض على علم الجيولوجية وعلم الطبقات الأرضية وذلك بحساب المدة اللازمة لتَكوُّن الطبقة الأرضية التي تفصل أعماق الهياكل الجسمية الانسانية على الأرض

فإن حساب تكوُّن تلك الطبقة تدريجيا سهْلٌ على الجيولوجيين إلا أنه لا يكون من الدقة بحيث يثلج الصدر فإن تلك الرواسب الأرضية لا تتكون على نظام واحد في كل جهة حتَّى يعتمد عليها في أخرى

ولكن على أي حال فإنها من أحسن الأدلة لنا على بعد زمن وجود الانسان على الأرض

كلفت الجمعية الانجليزية المستر (هورنر) بحساب عمر الانسان على وجه الأرض من أراضي مصر فجعل تاريخ بناء مَسَلَّة عين شمس مبدأ له وقد أقيمت قبل المسيح

بـ (2300) سنة فرفع الاتربة عن ساق تلك المسلة حتَّى علم أن الأرض قد ارتفعت عليها بنحو (11) قدما انجليزيا أي (3،18) عقدة في كل قرن ثم وجد أن أعمق بقايا انسانية وجدت على بعد 39 قدما من سطح الأرض فاستنتج من ذلك أن عمر الانسان على الأرض يبلغ نحو (30000) سنة

وقد وجدت في امريكا جمجمة قديمة على بعد من باطن الأرض شاسع جدا بحيث لا تستطيع الرواسب المتوالية أن تفصلها عن سطح الأرض بهذا السمك كله إلا في مدة لا تقل عن (158.400) سنة كما حسبها العالم الامريكي (يونيت دولرن)

هذا ومبلغ الخلاف بين الدينيين والفلاسفة في تاريخ وجود آدم على الأرض لابد لنا من محاولة حله بما يوافق روح الإسلام فنقول لم ينص القرآن ولا السنة الصحيحة على شيء مما يختص بتاريخ وجود آدم على الأرض وما ورد على السنة بعض المفسرين من ذلك مأخوذ من الاسرائليات

هذا ما حكاه فريد وجدي في دائرته فقوله لم ينص القرآن الكريم ولا السنة الصحيحة على شيء مما يختص بوجود آدم على الأرض إلى آخره أقول بل يوجد في القرآن الكريم ما يدل على أن الانسان وجد في زمن سحيق لا يعرفه إلا الله تعالى ومن ذلك قوله تعالى «مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُص عَلَيْكَ» وقوله تعالَى في سورة الفرقان «وَعَاداً وَثَمُوداً وَأَصْحَابُ الرَّس وَقُروناً بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيراً»

أي أذكر عادا قوم هود عليه السلام وثمودا قوم صالح عليه السلام وأصحاب الرس اسم بير ونبيهم قيل شعيب وقيل غيره ، كانوا قعودا حولها فانهارت بهم وبمنازلهم وقرونا بين ذلك كثيرا بين عاد وأصحاب الرس والكثير من الكثرة ضد القلة لا نهاية لعددها تشمل الملايين وان شئت قل الملايير يفسره قوله تعالى في سورة النساء «يَا أَيُّهَا ٱلنَّاس ٱتَّقُوا رَبَّكُمْ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفس وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءاً» حيث عبر الله تعالى عما تناسل من آدم وحواء بالكثير وهو لا يحمله عدد معين فاستنتج من ذلك أن عصر الانسان على سطح الأرض بالضبط لا يعرفه إلا الله تعالى وحده وما قيل في ذلك فمجرد ظنون وهذه بعض المحاولات التي توافق بين النظرية العصرية والديانة الإسلامية

مركز الدار البيضاء في عصر الفنيقيين فيما قبل المسيح عليه السلام والخلاف في مؤسسي مدينة انفا وترجيح القول بأنها فينيقية

يرجع الخلاف في مؤسسي أنفا إلى ثلاثة أقوال الأول لأبي القاسم الزَّياني في كتابه الترجمانة الكبرَى في أخبار المعمور برا وبحرا

قال لما استقرت قبائل البربر بالمغرب ونزل زناتة تامسنا وتادلة ونزل صهاجة دكالة فبنى زناتة مدينة أنفا بتامسنا ومدينة داي بتادلة وبنى أمراء صهاجة بدكالة مدينة طيط ومدينة أزمور ومدينة أسفي

وانضم إلى هذا القول كصطلانوص في كتابه تاريخ المغرب

والقول الثاني للحسن الوزان المعروف بالیون الافريقي ، فني كتابه وصف افريقية ان أنفا مدينة كبيرة بناها الرومان وهي تقع على شاطئ البحر المحيط

والقول الثالث للمؤرخ الرحالة مارمول في الجزء الثاني في كتاب افريقية قال إن سُكان مدينة أنفا ذوو عدد كثير وهي واقعة على شاطئ البحر الأطلسي بين أزمور والرباط

ثم قال يعتبرها البعض أنها من جملة المدن الفنيقية التي بناها حانون وفق ديوان قرطاجنة وهي واقعة في أحسن موقع في افريقية يحيط بها البحر من جهة وسهول خصبة من جهة أخرى

والذي يترجح لنا من هذه الأقوال هو القول الأخير لمارمول بأن مؤسسها هم

الفنيقيون القرطاجنيون وذلك لأسباب

أولها أن معظم المدن التي بناها الفنيقيون توجد على شاطئ البحر وما يقرب منه مثل بيروت وطرابلس الشام ، وسوسة وبنزرت وبجاية وطنجة والمكسوس التي تسمى العرائش وقرطاجنة بالأندلس لأن هذه الأمة كانت تجارية ومولعة بالأعمال البحرية وصنعوا سفنا بحرية واتقنوا صنعها لهذه الغاية

ولما بنوا مدينة قرطاجنة واستقروا بها فكروا في التوسع في البلاد فكلفوا خبيرا مهم لانتخاب المواقع الملائمة لتجارتهم على شطوط افريقية الشمالية وبناء الموانئ بها وهو السيد حانون فبنوا عدة مراسي يترجح لنا منها أنفا

والسبب الثاني للترجيح هو أن الفنيقيين نزحوا من سورية ولبنان وتوجد الان مرسى على شاطئ البحر بلبنان تسمى أنفا ذكرها ياقوت الحموي في معجمه

قال انفه بالتحريك بلدة على شاطئ البحر من الشام ، شرقي جبل صهيون بينهما ثمانية فراسخ انظر الجزء الأول صحيفة 27

وذكرها بطرس البستاني في دائرته (أنفة أو أنفا) تحريف عن أنفين اسمها في القديم قرية في الكرة السفلَى في شمال لبنان ، تابعة لناحية الكرة الوسطَى وعدد سكانها 700 نفس مبنية على ساحل البحر في موقع له من الشمال أنف وداخل في البحر وعليه أثار قلعة قديمة وعند مدخلها قَطِع الصخرُ القائم عليها قطَعاً عموديا حتَّى صارت بين الحائطين خندقا عرضه نحو خمسة أدرع ويظن أنه كان قصد مد الخندق من البر إلى البحر حتَّى تصير القلعة كالجزيرة على شاطئ البحر قرب مركز القلعة وقد نُحتت الصخور دَرَجاً حتَّى صارت الصخرة كأنها سلم حجري قطعة واحدة ونُحِت في الصخور مغار كاجران العيون الكبيرة وفي المدينة عدة آثار كنائس قديمة تدل على أنها كانت مدينة عامرة والأهالي يصطادون بها سمكا وافرا لا يخلو منه وقت إذا طلب وللمدينة بساتين نضرة خصبة وكل ما ذكر عنها أن اسمها كان نفين واسمها الحالي محرف عنها وهي على مسافة ساعتين ونصف من طرابلس الشام انتهَى ما ذكره بطرس البستاني الجزء (4) في دائرته صحيفة 528 و529)

تعليق على وصف بطرس لأنفا اللبنانية

جاء في لسان العرب ان العرب تقول للانف نفين واستدل على ذلك ببيت لابن الأحمر

يسُوف بأنفَيْه النقاع كأنه عن الروض من فرط النشاط كعيم

شرح البيت

يسوف يشم- النقاع التراب - كعيم كعم البعير كمنع شد فه عن الأكل والعض والشيء الذي يشد به الفم يسمى كعام ، ككتاب - وكعم المرأة قبلها

هذا اعرابي وصف بعيره بأنه يشم التراب كان فه مسدود من فرط نشاطه عن أكل الروض وقوله نحت في الصخور مغار كاجران العيون - الاجران جمع جرن كقفل واقفال

وفي القاموس الجرن بالضم حجر منقور يُتوضأ منه

وليست آنفا وحدها التي نتكلم على تاريخها ورجحنا القول بأنها فينيقية بسبب مشابهتها لأنفا اللبنانية اسما وشكلا بل كذلك نجد مدينتين فنيقيتين قرطاجنيتين احداهما تبعد عن أنفا اللبنانية بساعتين ونصف والأخرى بشاطئ افريقيا الشمالية بليبيا اسمها واحد وهما فينيقيتان وهاتان المدينتان هما طرابلس الشام وطرابلس الغرب فالتاريخ يشهد لفينيقية الأولى بما جاء في النهج القويم صحيفة (96) أنه عُدَّ من مدن الفينيقيين طرابلس الشام

ويشهد لفينيقية الثانية ما نجده في دائرة المعارف الاسلامية عند كلامه على طرابلس الغرب أن أصل الاسم فينيقي وقرطاجي الجزء (15) صحيفة (109) .

وكذلك نجد مدينتين قرطاجنتين اسمها واحد .

1) الاولى قرطاجنة الموجودة بتونس التي نسب لها القرطاجنيون

2) والثانية قرطاجنة الاسبانية الأندلسية وهي أقدم ثغور اسبانية الشرقية التي أنشأها هزدروبال القائد القرطاجي الشهير سنة مائتين وثلاثة وأربعين ـ 243 قبل الميلاد ذكرها السيد محمد عبد الله عنان في كتابه الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال انظر الكلام عليها هناك في صحيفة (155) و(156)

والذي يظهر لنا من هذا العرض أن حانون لما حاذَا موقع آنفا التي نتكلم عليها فوجده شبيها لموقع أنفا اللبنانية شيد بها مركزا وسماه باسم أنفا ووجه الشبه بينهما حسن الموقع ودخول الانف من البر إلى البحر في كل منهما وهذا الانف الموجود بأنفا المغربية يسمى في اصطلاح البيضاويين بالعُنق وهو الآن حي من أحياء الدار البيضاء فأنفا مشتقة من الانف

كما يستفاد أن الفينيقين القرطاجنيين أطلقوا على بعض المراكز التي شيدوها أسماء مدن أخرى خلفوها وراءهم شبيهة بها ولقائل أن يقول أنّ صحة هذه النظرية متوقفة على اثبات أن الفينيقيين والقرطاجنيين كانوا يتكلمون باللغة العربية ونحن نثبت أن أنفا مشتقة من الأنف الموجود بها داخل البحر وهو العُنُق بأنفا المغربية

وفي القاموس الأنف من كل شيء أوله ، ومن الأرض ما يتقبل الشمس ومن الناب طرفه

وفي المصباح الانف المعطس ـ وانف الجبل ما خرج منه والدولة التي تتكلم باللغة العربية من بين الدول التي تعاقبت على المغرب قبل الإسلام هم الفينقيون

والدليل على ذلك ما جاء في النهج القِويم صحيفة (96) ان الفينيقيين من بني كنعان

وابن خلدون نقل في كُتابه العبر الجزء (2) صحيفة (13) (طبع ببيروت) عن ابن اسحاق ، أن بني كنعان كانوا يتكلمون باللغة العربية ، وأيضا ما نقله السيد توفيق المدني الجزائري في تقويم له أنه وُجِد في البرازيل في الحفريات رخامة منقوش عليها حروف فينيقية وألفاظ عربية عامية تشبه لغة جزيرة مالطة تتضمن شكاية بحارة فينيقيين برئيسهم وأنهم كانوا عشرة وذهب عنهم رئيسهم ووعدهم بالرجوع فلم يرجع فمات منهم أربعة وبقي ستة هم الذين سجلوا شكايتهم جاء في هذه الشكاية

نثبت نصها باللغة الفصحَى ترجمة عن لغتهم العامية

نحن بني كنعان من فرانم تحملنا الاحتقار أليس حراما نحصل هكذا لا تزيد الحياة عندنا أكثر ناس البحر في الهم والحزن

هذه السنة التاسعة أو العاشرة ، الحرامي رمَى هنا بعبيده لماذا ليس هو معهم ؟ عرفوا أنه دبر بهم لكي يتوصل إلى مناصب القضاء

الحمى هنا عسيرة فإذا أحب الحي ماء وجده حارا إلى آخر ما جاء في هذه الشكاية سنتبث مها صورة للقارئ

وللسيد توفيق المدني تعليق وتساؤلات على ما جاء في هذه الشكاية وقد تركنا الخوض فيها تجنبا للخروج عن الموضوع ولا يُقدحُ في نظريتنا بترجيح قول مارمول في فينيقية انفا بوجود مدينة أخرى بلبنان تطابق مدينتنا اسما وشكلا بالقول بأنه لا يوجد في المدن التي ذكرت في رحلة حنانون التي سنتكلم عليها من بعد ذكر أنفا

أولا لما جاء في تاريخ افريقية الشمالية لشارل أندري جوليان بصحيفة (110)

أن السيد كاركوبنو انتقد هذه الرحلة انتقادا لا هوادة فيه وهو لا يعتقد أن هانون اتخذ خطّاً واحدا بل يرى أنه قام بسلسلة من الرحلات ينظم ، كل واحدة مها في مركز جديد

ثانيا لما ذكره المؤرخون في تقرير رحلة هانون أنها وصلت لهم بترجمة يونانية ، ولسوء الحظ قد اختلف في تفسيرها اختلافا كثيرا

وقد استفدنا من هذه الوثيقة التاريخية الفينيقية فائدتين أولاهما أنهم من الجنس العربي ، وثانيتهما أنهم أول من اكتشف القارة الامريكية ومما يؤيد عروبتهم ما جاء في الجزء الأول من تاريخ التمدن الاسلامي صحيفة (24) في معرض الكلام على تمدن العرب قبل الاسلام قائلا وساعد العرب على التوسع في وسائل التجارة فضلا عن توسط بلادهم ، أنهم كانوا يتكلمون لغة قريبة من لغات أكثر الأمم في ذلك الحين لأن اللغات السامية كانت يومئذ لاتزال متقاربة لفظا ومعنى فالعربي — والكلداني — والأشوري — والعبراني — والحبشي والفينيقي كانوا يتفاهمون بلا وسيطة

لقرب تلك اللغات بالتشعب بما يشبه حال اللغات العامية العربية المتشعبة من اللغة الفصحَى الآن

فكان العربي من حمير أو مضر إذا جاء العراق لا يحتاج في مخاطبة الكلداني أو الأشوري إلى ترجمان وكذلك إذا يمّم الفينيقي أو الحبشي فإنه يفهم لسان أهلها كما يفهم الشامي لسان أهل مصر اليوم إلى آخر ما جاء في كلامه

قصة انتقال الفينيقيين إلى شواطئ افريقيا الشمالية وبنائهم مدينة قرطاجنة بسواحل تونس سنة 860 (قبل الميلاد)

حكَى المؤرخون أن ملكهم متان أوصى قبل وفاته بملكه لولده بقمليون وبنته سميت في النهج القويم «السار» وسميت في غيره (ديدون) إلا أن أهل سور لم يرضوا بتملك بنت الملك عليهم ومنعوها من الملك وكان أخوها بقمليون أصغر منها سنا وتزوجت بنت الملك رئيس الكهنة ، وكان سامي المقام وله ثروة عظيمة وحسب ثاني الملك فحسده بقمليون وقتله فحمى غيظ السار ورامت الفتنة وحالفها الكثير من الأعيان الذين لم يكونوا من حزب الملك وحيث لم يقدروا على مقاومته فكروا في الارتحال من المدينة واستولوا بغتة على السفن التي كانت في المرفأ وأدخلوا إليها أموالهم وأصحابهم وأقلعوا، وأخت الملك في مقدمتهم وتوجهوا غربا ونزلوا على شطوط افريقيا الشمالية وبنوا هناك مدينة قرطاجنة المشهورة قال فريد وجدي في دائرته لما وصلت إلى سواحل افريقيا في الجهة المقابلة لجزيرة صقيلية اشترت أرضا واسعة من أهل تلك الجهة وأسست فيها مدينة عظيمة بقرب تونس وسمتها قرطاجنة ومعناها المدينة الجديدة سنة 840 قبل الميلاد

فحدث بعد بناء المدينة أن الملك جرياس أحد ملوك تلك الجهة تغلب على قرطاجنة وخطب ديدون بنت الملك لنفسه فامتنعت لأنها كانت مصممة على عدم التزوج بغير زوجها فلما علمت أنه مصمم على اغتصابها احرقت نفسها وقيل تناولت السم فماتت ، وبعد أن استقروا في مدينتهم وطاب لهم المقام فيها فكرت الحكومة القرطاجنية في البحث عن أسواق ومراكز تجارية لترويج تجارتهم وعرض مصنوعاتهم وتدعيم اقتصادهم فكلفوا الربان حانون بهذه المهمة .

كنا مضطرين لنقل قصة انتقال الفينيقيين لشطوط افريقيا وبنائهم مدينة قرطاجنة لأن انطلاقهم لبناء المراكز التجارية بشطوط افريقيا التي مها أنفا كان من مدينة قرطاجنة وقد تكلم عن هذه الرحلة كل من كتب عن تاريخ الفينيقيين الذين مهم توفيق المدني ومحمد بن عبود التطواني في كتابه تاريخ المغرب وابراهيم حركات في كتابه المغرب عبر التاريخ ومحمد محي الدين المشرفي كما نقلوا تقريراً لرحلة حانون المكلف بانتخاب المراكز وانشائها

وقد عدلنا عن نقل تقرير هذه الرحلة لما يلاحظ

(3) يلاحظ أن روايات المؤرخين لهذا التقرير جاءت مختلفة في أسماء المراكز التي أنشأها حانون

وهذه الاختلافات ترجع إلى الترجمة التي وصلت إلى المؤرخين باليونانية

ولسوء الحظ لا تخلو من صعوبات أدت بالمعلقين إلى أن يستنتجوا استنتاجات مختلفة

(4) كما يلاحظ أن بعض المراكز التي كان أسسها هانون بصفة لا تدع مجالا للشك مثل آنفا التي نتكلم عليها لم تذكر في هذه الرحلة يرجع ذلك إلى أن حانون لم يقم برحلة واحدة بل قام بسلسلة من الرحلات نظم كل واحدة مها في مركز جديد كما تقدم

بعض العادات المستحسنة التي ورثها المغاربة من الفينيقيين القرطاجنيين

(5) كان لباس القرطاجنيين يتكون من قميص طويل ويرتدون الجبة الطويلة ذات الأكمام الواسعة وكانوا يضعون على رؤوسهم القلنسوة ويلبسون معطف السفر

(3) تاريخ افريقيا الشمالية لشارلن أندري جوليان صحيفة (110) الجزء الأول
(4) نفس المرجع
(5) نفس المرجع صحيفة (117).

(السلهام) و(البرنوس) وكانت نساؤهم يكثرن من التزين بالحلي واستعمال أواني التجميل ويحرمون أكل الخنزير [6]وكانوا يتناولون طعام الكسكس كما كانوا يعاملون الرقيق معاملة طيبة ويسمحون لهم بانشاء أسر خاصة ، وكانوا يرسمون يدا بشرية على أبوابهم لتقيهم من العين على غرار ما يفعله الآن بعض العوام من المغاربة

آثار القرطاجنيين في المغرب

[7]يقول المؤرخون إنه كان لهم أكثر من (300) مدينة وقد انقرضت هذه المدن كلها ولم نطلع على ما كان يجري فيها من علم وحضارة وقد سلمت من الفناء بعض آثار المدن القرطاجنيين (تنجيس) طنجة ، لكسوس مدينة العرائش انقرضت وسدير (مليلية) أجدير ، المهدية (القنيطرة)

تقدم الكلام على ترجيح قول مارمول بفينيقية آنفا بحجج لا تدع مجالا للشك وعلى اشتقاقها من الانف

أما الكلام عليها من الناحية التجارية والعمرانية والفلاحية والعلمية فيوجد في عصر دولة بني مرين مما يشفي ويكفي

منطقة تامسنا في عصر الرومان
وأنها لم يشملها الاحتلال الروماني
وظلت مستقلة في عصره

[8]ذكر المؤرخون أن احتلال الرومان بالمغرب لم يتجاوز مناطق محدودة فكانت الحدود الجنوبية تمتد من نهر أبي رقراق لتنتهي شرقا عند نهر ملوية وكانت الحدود

(6) المغرب عبر التاريخ صحيفة (48)

(7) تاريخ المغرب لابن عبود التطواني

(8) المغرب عبر التاريخ لابراهيم حركات صحيفة (60) و(64) .

هي سلا وسميت عند الرومان «سلا كلونية» وكان الجيش يتركز خصوصا في الحدود ويتم تدريبه أيام السلم بواسطة المناورات العسكرية وانشاء التحصينات التي لم تكتس أهمية كبيرة في المغرب إلا في مواقع خاصة كضفة أبي رقراق ومركز بوهلو بين تازة وفاس

ولما كان الرومان لم يشمل نفوذهم إلا قسما صغيرا في المغرب فإن معظم هذه البلاد التي مها منطقة تامسنا ظل منعزلا عن المحتلين بشكل كلي من قبل جمهوريات وعمارات صغيرة نعمت في الغالب بالهدوء وحسن التعايش

وخرافات السلم الروماني في الشمال الافريقي يدحضها ما كانت تعيش في هذه المناطق المستقلة بالهدوء من غير حاجة للتدخل الروماني كما يدحضها أيضا ما تعرض له الاحتلال الروماني من هزات عنيفة بسبب الثورات الوطنية ضد جور الحكام

[9]وكانت منطقة تامسنا تثور ضد المستعمر المرة بعد المرة بواسطة سكانها ففي عام (170) بعد الميلاد قام البرغواطيون بثورة ضد الرومان وكانت تلك الثورة ذات صبغة خطيرة امتدت آثارها مع الزمان

[10]ثم يشير مؤرخ الرومان إلى ثورة أخرى حوالي عام (225)م

[11]وهذه الثورات دفعت حكام روما إلى اليقظة والحزم مع القبائل البربرية سكان البلاد لأن تزكي قواد البربر بخلع المعطف عليهم وتكسب ولائهم بمنحهم جرايات قارة

عصر تامسنا في ولاية الوندال
وانه لم يشملها النفود الوندالي

[12]في أواخر القرن الرابع الميلادي ظهرت قبائل الوندال الهمجية شمال أوروبا

(9) تاريخ شالة الإسلامية صحيفة (121) نقلا عن كتاب البعثة الفرنسية الجزء (1) صحيفة (48)

(10) نفس المصدر نقلا عن المصادر السابقة صحيفة (49)

(11) الجزء الأول لتاريخ افريقيا الشمالية لشارل اندري جوليان صحيفة (201)

(12) تاريخ شالة للدكتور عثمان عثمان صحيفة 122 نقلا عن ادمون بوتي والدكتور السيد =

واحتلت فرنسا ثم استقرت في جنوب اسبانيا باقليم الاندلس المنسوب إليها وعندما استدعاهم بونفاس الحاكم الروماني بشمال افريقيا سنة (429) ميلادية احتل الوندال شمال افريقيا وكونوا دولة «وندالية» عاشت ما بين سنة 429 و544 من الميلاد

ويبدو للبعثة العلمية الفرنسية أن الوندال لم يصلوا إلى منطقتنا

فتح عقبة بن نافع الفهري انفا
ومنطقة تامسنا التي تضم أنفا وشالة

ذكر محمد أبو جندار في كتابه شالة وآثارها أن أول من افتتحها في الإسلام ومد عليها رواق السلام هو سيدنا عقبة بن نافع الفهري لما قدم لهذه البلاد في المرة الثانية أيام خلافة اليزيد بن معاوية سنة 62هـ وعلى يديه أسلم أهلها المرة الأولى ودانوا بدين الإسلام إلا أنهم مالبثوا أن ارتدوا وعادوا إلى دين النصرانية عقب رجوع عقبة

كما أن أبو جندار ذكر في كتابه الكلمة الذهبية أنه فتح مدينة آنفا ولم يبين أبو جندار مصدره لفتح آنفا وفتح شالة ويحتمل أن أبو جندار اعتمد في روايته على ابن عذاري المراكشي عن ابن أبي الفياض في كتابه (البيان المعرب)

وفي الجزء الأول صحيفة (23) إلى صحيفة (27) ذكر فتح المغرب الأقصى على يد عقبة رضي الله عنه وغزواته وبعدما بين مراحله بمراكز المغرب مرحلة مرحلة قال وعزوته إلى طنجة ــ قال وكان بها ملك اسمه يوليان يملك مها إلى ساحل المجاز بسبتة وكان من أشراف ملوك الروم وعظمائهم وذوي العقل والدهاء فيهم

ولما قرب منه وجه إليه رسالة مستعطفا وبعث له هدية عظيمة وأن ينزل على حكمه فقبل منه واجتمع به وسأله عن أمر الأندلس فعظم عليه أمرها

= سالم تاريخ المسلمين بالأندلس ، معارف الشعب الكتاب (61) وللبعثة الفرنسية الجزء (3) صحيفة (52) .

وقال له لقد تركت الروم وراء ظهرك وما أمامك إلا البربر فقد كفروا بالله العظيم فلا يعرفونه ومعظمهم من المصامدة وصار عقبة نحو المصامدة بعد فتحه طنجة وبعدما بين فتح طنجة ووصفها

قال وغزوته إلى البربر بالسوس الأدنى وهي بلاد تامسنا وهي بلاد المصامدة فهزمهم وأفناهم وبث الخيل في بلادهم فافترقت في طلبهم إلى كل موضع هربوا إليه ولا ينفعهم أحد ثم قال وغزوته أيضا لسوس الأقصَى

فقسم السوس إلى قسمين _ أدنى _ وفسره بتامسنا والمصامدة وأقصى

ورواية ابن عذاري هذه فيها البيان والوضوح ، ونجد رواية أخرى للناصري في استقصائه في الجزء الأول في كتاب الاستقصاء بصحيفة (81 _ 82) نقل عن ابن خلدون أن عقبة بن نافع الفهري قدم المغرب في ولايته الثانية سنة 62هـ وبعد كلام قال زحف إلى المغرب وعلى مقدمته زهير بن قيس البلوي فدوخه ولقي ملوك البربر ومن انضم إليهم فهزمهم واستباحهم واذعن له يوليان أمير غمارة ولاطفه وهاداه ودله على البربر .وراءه بمدينة وليلي والمصامدة وبلاد السوس

ثم نقل عن صاحب الجمان أن عقبة افتتح المغرب ونزل على طنجة فحاصرها واستنزل ملكها يوليان الغماري وكان نصرانيا فنزل على حكمه بعد أن أعطاه أموالا جزيلة

ثم أراد عقبة الالتحاق بالجزيرة الخضراء من عدوة الأندلس فقال له يوليان أتترك كفار البربر خلفك وترمي بنفسك إلى مهاوي الهلاك فقال عقبة وأين كفار البربر؟ قال ببلاد السوس هم أهل نجدة وبأس فسأله عقبة عن دينهم فقال ليس لهم دين ولا يعرفون أن الله حق ، وكانوا يومئذ على دين المجوسية فتوجه عقبة نحوهم فنزل على مدينة وليلي فافتتحها عقبة وغنم وسبا ، ثم توجه إلى بلاد درعة والسوس فلقيته جموع البربر فاقتتلوا قتالا شديدا ، ثم انهزمت البربر بعد حروب صعبة وتبعوا آثارهم إلى صحراء لمتونة ثم عطف عقبة على ساحل البحر ووقف ساعة ثم قال لأصحابه ارفعوا أيديكم ففعلوا ثم قال اللهم إني لم أخرج بطرا ولا اشرا وانك تعلم انما نطلب السبب الذي طلبه عبدك ذو القرنين وهو ان تعبد ولا يشرك بك شيئا اللهم انا معاندون لدين الكفر ومدافعون عن دين الإسلام فكن لنا ولا تكن علينا يا ذا الجلال والاكرام ثم انصرف راجعا .

ثم نقل الناصري عن ابن خلدون أيضا أن عقبة وصل إلى جبال درن وقتل المصامدة بها إلى آخر ما جاء في نقله ونقل الناصري هذا لم يذكر فيه شالة ولا آنفا ولا تامسنا الشيء الذي دفع الدكتور عثمان في كتابه تاريخ شالة الإسلامية بصحيفة (134) ان يتساءل بقوله لقد كان البرغواطيون بشالة قبل دخول الإسلام يدينون باليهودية والمسيحية كما كان البعض منهم يدين بالوثنية

ثم أتى الإسلام ، وكان أول من افتتح شالة في القرن الأول الهجري حسب رواية أبي جندار وهو سيدنا عقبة بن نافع الفهري لما قدم هذه البلاد في المرة الثانية أيام خلافة اليزيد سنة 62هـ وعلى يديه أسلم أهلها

ثم قال الدكتور عثمان

غير أننا لا نخفي تحفظنا بالنسبة لهذا الفتح المبكر لشالة حيث أن أبو جندار اعتمد على السلاوي الذي نقل بدوره عن ابن خلدون روايته باتجاه عقبة جنوبا بعد أن فتح طنجة ثم حكَى قول الناصري عن ابن خلدون المتقدم الذكر وللدلالة على تشكك عثمان وتحفظه في رواية أبو جندار

عرض خريطة الطرق والمواصلات في القرون الوسطَى يستدل بها على استحالة سلوك عقبة من وليلي لتامسنا وذكر الخلاف في ذلك بين مؤرخين وفرنسيين

فقال فإننا إذا تأملنا خريطة طرق المواصلات في العصور الوسطَى بالمغرب شكل 16 استطعنا أن نتصور الخط الذي صار فيه عقبة من وليلي نحو الجنوب وسوف لا يكون أمام عقبة إلا طريقان الأولى من وليلي جنوبا تحت سفح جبال الأطلس مارا بتادلة حتَّى يصل إلى موضع مراكش فيصل إلى مصمودة ومنها إلى تارودانت أو يسلك الطريق الآخر من وليلي غربا إلى شالة مركز قاعدة الرباط الكبير قرب مصب أبي رقراق ومنها جنوبا إلى مراكش

أما الخط الأول وهو الموافق للوصف الذي مدتنا به النصوص السابقة فهو لا يمر بشالة وأما الخط الآخر فعلى الرغم من ذكر الرواية بأن عقبة عرج على البحر عند آسفي فليس معناه أن يستمر على الشاطئ إلى الشمال فلم يكن هذا من الطرق المألوفة على وقته بل يضطر للرجوع إلى موقع مراكش ويتوجه منه شمالا خلافا لما قاله (كاييه) بأن عقبة مر بمنطقة الرباط عند عودته على الطريق الساحلي إلى شالة

وهنا نصطدم برأي آخر له وجاهته ذلك أن البعثة العلمية الفرنسية صرحت بأنه

إذا كانت غمارة قد استمعت إلى نداء عقبة غير أن تامسنا ظلت مقفولة في وجهه ولم يشأ عقبة أن يغامر بالقاء نفسه وسطهم وغمارة كما مر بنا تسكن شمال أبي رقراق وفي جنوبه تمتد تامسنا حتّى فضالة قرب الدار البيضاء وتامسنا هو موطن البرغواطيين أصحاب شالة فعلى الأقل إذا ألقينا المسؤولية على عاتق البعثة العلمية الفرنسية التي برأيها وجاهته فقد كانت تامسنا ومركزها شالة مقفولة في وجه عقبة بل أكثر من ذلك أن شارل أندريه جوليان قد ذكر رأي جوثيه الذي استبعد بعدة أدلة كل أخبار الحملة من وليلي جنوبا ويبدو أن جوليان الذي عرض فكرة مواطنه جوتيه دون معارضتها قد قبل الفكرة وهكذا فإننا لا نستطيع أن نطمئن إلى تصريح أبو جندار وكاتبيه بان عقبة فتح شالة أو مر بها

وهذا التشكك والخلاف كله مبني على أن أبو جندار نقل روايته عن الناصري عن ابن خلدون وصاحب الجمان هذه الرواية المجملة ولكننا نعتقد أن أبو جندار نقل روايته عن ابن عذاري المراكشي عن ابن أبي الفياض حسب ما تقدم أول البحث ورواية ابن عذاري في البيان متصفة بالوضوح والبيان

ويجدر بنا أن نختم هذا البحث بنسب عقبة بن نافع وتاريخ ولادته ووفاته

نسبه هو سيدنا عقبة بن نافع بن عبد قيس بن لغيط بن عامر بن أمية بن الحارث بن فهر[13] ونقل ابن عذاري المراكشي عن ابن أبي الفياض ان عقبة ولد قبل وفاة الرسول ﷺ بسنة واحدة وعلى هذه الرواية يكون تابعي لا صحابي

[14]وقال ابن عذاري أيضا لم يدخل للمغرب الأقصَى أحد من ولاة خلفاء بني أمية بالمشرق إلا عقبة بن نافع الفهري ولم يعرف المصامدة غيره

تاريخ تامسنا منطقة الشاوية حالا وأنفا
أصل الدار البيضاء صدر الاسلام

هذه المنطقة كانت مسكونة قبل الإسلام وصدره بقبائل مصمودة وهم أولاد

(13) ابن عذاري صحيفة (19) الجزء الأول .
(14) نفس المصدر صحيفة (42)

مصمود بن يونس بن بربر ومن بطونهم برغواطة واغمارة وهي تمتد على البحر المحيط وعلى ساحل البحر من سلا وآنفا وأزمور وأسفي وبين وادي أم الربيع ووادي أبي رقراق وتطلق حالا على بلاد قبائل الشاوية وكانوا يتمذهبون بمذهب الخارجية التي تسربت لهم مع العرب الفاتحين ثم نشأ عنها دين البرغواطية ولما كانت الخارجية مرتبطة بالبرغواطية ارتأينا ان نلم ببدعة الخارجية ثم نتبعها بالكلام على البرغواطية تمشيا مع الترتيب الزمني

أصل الخارجية فرقهم اعتقاداتهم تسربهم إلى افريقيا الشمالية اعتناق برابرة المغرب لمذهبهم ثورتهم على حكام العرب

تمهيد

لقد قتل عثمان بن عفان الخليفة الثالث لرسول الله ﷺ ظلما وبايع أهل الحجاز والعراق سيدنا علي كرم الله وجهه ، ونازعه معاوية بن أبي سفيان وشكل النزاع بينهما حربا طاحنة ، تعرف بحرب صفين ولما رأى عمرو بن العاص الموالي لمعاوية ما ساءه من شدة أهل العراق وخاف على أصحابه الهلاك قال لمعاوية مر الناس أن يرفعوا المصاحف على الرماح ويقولون كتاب الله بيننا وبينكم فإن فعلوا ذلك ارتفع عنا القتال وان أبَى بعضهم وجدنا في افتراقهم راحة ، ففعلوا ذلك فقال الناس نجيب إلى كتاب الله فقال لهم علي ياعباد الله امضوا على حقكم وقاتلوا عدوكم فإن فلان وفلان وفلان وسمى ناسا من رؤساء أعدائه ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن أنا أعرف بهم أطفالا ورجالا وكانوا شر أطفال وشر رجال ويحكم ما رفعوها إلا مكيدة وخديعة فقالوا لا يسعنا أن ندعى إلى كتاب الله فلا نقبل فقال اننا قاتلناهم ليدينوا بكتاب الله فنبذوه ، ولما حملوا علي بن أبي طالب قبول التحكيم عادوا وندموا على مافعلوا ورفضوا هذا التحكيم وانشقوا على علي بن أبي طالب نفسه حين أبَى الخضوع لهم المرة الثانية حيث اعتبروا هذا التحكيم ذنبا وكفرا وقالوا لعلي نحن تبنا إلى الله من هذا التحكيم فتب معنا قالوا هذا تحكيم الرجال لا تحكيم كتاب الله فأجابهم علي بأنه ليس بذنب ولكنه خطأ في الرأي فخرجوا على حكم

علي وانشقوا عليه وبسبب ذلك أطلق عليهم الخوارج

وكما خرجوا على حكم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه خرجوا على مذهب أهل السنة والجماعة في تحديد معنَى الإيمان والكفر فالسلف الصالح وأهل السنة يرون أن الإيمان هو التصديق بما جاء به رسول الله ﷺ والنطق بالشهادتين فمن صدق بقلبه ونطق بلسانه فهو مومن تجري عليه أحكام المسلمين ويرون أن الأعمال من فعل الماموارت وترك المنهيات هي من الايمان ويفسروها بأنها مكملة للايمان فمن صدق بقلبه ونطق بلسانه وترك فعل الماموارت وارتكب محرما فهو مومن عاصي ومن أدخل الأعمال في الايمان ومن نفاه عنه انما هو بالنظر إلى ما عند الله تعالى وأما عندنا فهو مومن (*)

ومن هنا نشأ القول بزيادة الايمان ونقصانه فهو يزيد بزيادة الأعمال وينقص بنقصانه والمرجئة قالوا هو اعتقاد ونطق فقط والكرامية قالوا هو نطق فقط والمعتزلة موافقون لأهل السنة بأن الايمان هو النطق والاعتقاد والعمل والخلاف بينهما ان أهل السنة يقولون أن الأعمال شرط في كماله والمعتزلة يقولون أن الأعمال شرط في صحته، وتقدم أن هذا كله إلى ما عند الله تعالى، أما عندنا فهو النطق والاعتقاد فقط فمن نطق بالشهادتين يحكم عليه بالاحكام الشرعية ولم يحكم عليه بكفر الا ان اقترن بفعله ما يدل على كفره كالسجود للصنم وان كان لا يدل على الكفر كالفسق فمن اطلق عليه الايمان فبالنظر إلى اقراره ومن نفا عنه الإيمان فبالنظر إلى كماله واثبتت المعتزلة الواسطة، وذهب أهل السلف الصالح أن الايمان يزيد وينقص، يزيد بزيادة الأعمال وينقص بنقصانها وأنكر ذلك أكثر المتكلمين وقالوا متَى قيل ذلك كان شكا

قال الشيخ محي الدين والأظهر المختار أن التصديق يزيد وينقص بكثرة النظر ووضوح الأدلة ولهذا كان ايمان الصديق أقوَى من ايمان غيره بحيث لا تعتريه الشبهة ويؤيده ان كل واحد منا يعلم أن ما في قلبه يتفاضل حتَّى انه يكون في بعض الأحيان الإيمان أعظم يقينا واخلاصا وتوكلا منه في بعضها وكذلك في التصديق والمعرفة بحسب ظهور البراهين وكثرتها، وقد سمعنا من شيخنا أبي شعيب

(*) الجزء الأول لفتح الباري صحيفة 35

الدكالي أنه مثله بالبياض فبياض الجير ليس كبياض الثلج فهو بياض دون بياض ويقال لهذا المعنى هو من قبيل المشكك وما نقل عن السلف صرح به عبد الرزاق في مصنفه عن سفيان الثوري ومالك بن أنس والأوزاعي وابن جرير ومعمر وغيرهم وهؤلاء فقهاء الأمصار في عصرهم

وبه يقول الشافعي وأحمد بن حنبل واسحاق بن راهوية وجعل البخاري يستدل على ذلك بالكتاب والسنة وأطنب في الاستدلال على أن الايمان يزيد وينقص (نقلا من فتح الباري ص 36 ج 1 .)

مخالفة الخوارج لهذه المبادئ

والخوارج كما خرجوا عن حكم علي بن أبي طالب في مخالفتهم للتوبة من التحكيم وانشقوا عليه كذلك ، خرجوا على مبادئ السلف الصالح وأهل السنة في تحديد الإيمان ، وفكروا في تحديدهم للإيمان وتفسير طبيعة المعصية ودرجاتها وما الفرق بين الخطأ والفسق وقالوا أن الأعمال من امتثال الأوامر واجتناب النواهي جزء من الايمان فمن ترك أمر الله أو انتهك محرما فهو كافر يحل ماله ودمه وجعلوا يتعرضون للناس ويمتحنوهم فمن كان على خلاف مذهبهم قتلوه وقتلوا نساءه وأطفاله ، وأحلوا ماله وخرجوا بذلك عن تعاليم الأديان السماويه كلها واتصفوا بالقسوة والشدة ولم يختلفوا إلا في الشاد فلم يلبثوا أن تخالفوا في الرأي وافترقوا إلى أربع فرق

1 – الفرقة الأولى الأزارقة

أصحاب نافع بن الأزرق الحنفي وكان رأيه البراءة من سائر المسلمين وتكفيرهم والاستعراض لهم وقتل الأطفال واستحلال الأمانة لأنه يراهم كفارا

2 – الفرقة الثانية النجدية

أصحاب نجدة ابن عامر بن عبد الله بن سيار بن فرج الحنفي وكان مع نافع ابن الأزرق فخالفه

3 – الفرقة الثالثة الأباضية

أصحاب عبد الله بن أباض المري وهم يرون أن حكم المسلمين يحكم لهم بحكم المنافقين فلا ينتهون إلى الرأي الأول ولا يقفون عند الثاني ولا يحرمون مناكحة المسلمين ولا موارثتهم ، وتفرع عنهم البيهيسية أصحاب أبي بيهس بن جابر الضبعي

4 – الفرقة الرابعة الصفرية

أصحاب ابن الصفار وهم يوافقون الأباضية الا في القعد الذين يقعدون عن القتال إذا طلبوا بالقيام به فانهم أشد عليهم من الأباضية

وأخذت حركة الخوارج تنبذ من بين صفوفها دعاة التطرف وتجنح إلى الكثير من الاعتدال وتجلى ذلك في مدينة البصرة بتضامن أهل البادية ضد الخوارج وأخرجوا مها كل متطرف ، وعلى رأسهم نافع بن الأزرق فجاء هذا الظالم السفاك للدماء إلى نواحي البصرة سنة 64هـ كما في العبر لابن خلدون أو سنة 65هـ كما في الكامل لابن الأثير وكان على البصرة عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب فسرَّحَ له مسلم بن عيسى وكان من أهل البصرة بإشارة الأحنف بن قيس فدافعه عن نواحي البصرة فقاتله بالأهواز فقتل في المعركة نافع بن الأزرق ومسلم ولم يبق في البصرة إلا اثنان ابن أباض وابن الصفار المعتدلان في أفكارهما ، ومال ابن أباض إلى مزيد من التسامح وخالفه ابن الصفار في القعد ، فلم يتسامح معهم وكان قد تولى رئاسة الاباضية على يد طائفة من أعيانها اطلق عليهم اسم حملة العلم ، وأقام أحدهم وهو مسلمة بن سعيد بالدعاية لمذهبه في بلاد المغرب في أول القرن الثاني الهجري وضم إليه نفرا من كبار الجزائر وأهل المغرب وهم عاصم السدراتي واسماعيل بن ضرار الغدامسي وداوود القبلي النفزاوي وعبد الرحمان بن رسم الفارسي ثم حثهم على الذهاب إلى البصرة حيث التقوا بزعيم الأباضية الأكبر أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة وأقاموا إلى جواره خمس سنوات يتلقون على يده أصول هذا المذهب الذي يعد عندهم المذهب الخامس إلى جانب المذاهب الأربعة المشهورة المالكي والحنفي والحنبلي والشافعي

وفي حياة ابن الأزرق وقعت مكاتبات بين ابن الأزرق ونجدة الخارجي ذكرها ابن عبد ربه في العقد الفريد الجزء الأول صحيفة 347 فلتراجع

تسرب الخارجية إلى افريقيا الشمالية

وبسبب الضغط الشديد والضيق الخانق من الدولة الأموية على أعدائهم الخوارج ، توجهوا إلى المغرب باعتباره مصدر قوة يمكن الإعتماد عليها بعيدا عن بطش الأمويين وانتشرت الأباضية في برابرة الجزائر ، كما انتشرت الصفرية في برابرة المغرب ووقعت حرب بين عمال بني أمية وبين أعدائهم الخوارج العرب والبربر مات من الطرفين خلق كثير

وكان آخر من مات من عمال بني أمية كلثوم بن عياض

ولاية حنظلة بن صفوان على إفريقيا والمغرب كله انتصاره على خوارج المغرب في معركة القيروان وظهور دين برغواطة للوجود في منطقتا تامسنا وآنفا

ولما بلغ أمير المؤمنين هشام بن عبد المالك قتل كلثوم بن عياض وأصحابه بعث إلى افريقيا والمغرب حنظلة بن صفوان الكلبي ولما استقر حنظلة بالقيروان لم يمكث فيها إلا يسيرا حتَّى زحف إليه عكاشة الصفري الخارجي ، وزحف إليه أيضا عبد الواحد بن يزيد الهواري في عدد عظيم فأخذ عكاشة على طريق «مجانة» فنزل بالقيروان وأخذ عبد الواحد على طريق الجبال وعلى مقدمته أبو قرة المغيلي

فرأى حنظلة أن يعجل قتال عكاشة قبل أن يجتمع عليه مع عبد الواحد ، وقيل أن حنظلة لما رأى ما دهمه من البربر قال لأصحابه نستمد أمير المؤمنين. فقال له شاب من شبان القيروان بل نخرج إلى عدونا حتَّى يحكم الله بيننا ، فأخرج حنظلة كل ما كان عنده [15] في الخزائن من السلاح فأعطَى الناس وخرج لمقاتلة الخوارج الصفرية وكان بينه وبينهمْ حرب شديدة يطول ذكرها فالتحم فيها القتال وتداعَى الابطال ولزم الرجال الأرض فلا تسمع إلا وقع الحديد على الحديد وتقابض

(15) البيان المعرب ، لابن عداري المراكشي ، الجزء الأول ، صحيفة 51 وما بعدها .

الأيدي وكانت كسرة على ميسرة العرب ثم انكسرت ميسرة البربر وقلبهم ثم كثرت العرب على ميمنة البربر فكانت الهزيمة وسيق إلى حنظلة رأس عبد الواحد وأخذ عكاشة أسيرا فأوتي به إلى حنظلة فقتله

قال ابن عذاري الذي نقلنا منه هذا الوصف ، أراد حنظلة أن يحصي من قتل وأمر بعدهم فما قدر على ذلك فأمر بقصب فطرح كل قصبة على كل قتيل ثم جمعت القصب وعدت فكانت القتلَى مائة ألف وثمانين ألف وكانوا صفرية وكتب بذلك حنظلة إلى أمير المومنين هشام بن عبد الملك فسر بذلك سرورا عظيما وفي سنة 125هـ توفي أمير المومنين هشام بن عبد المالك موافق 742م

ولما كان الخوارج الصفرية متمسكين بمبادئهم التي خرجوا بها على مذهب أهل السنة وقد كان مولاي ادريس[16] الثاني يغزوهم المرة بعد المرة ذكر ابن أبي زرع في كتابه القرطاس في احدَى غزواته لهم نقلا عن داوود بن القاسم بن عبد الله بن جعفر الأوربي انه شهد مع ادريس بن ادريس رحمه الله ورضي عنه بعض غزواته للخوارج الصفرية

قال فلقيناهم وهم ثلاثة أضعافنا فلما تقارب الجمعان نزل ادريس فتوضأ وصلَّى ركعتين ، ودعا الله تعالى ثم ركب فرسه وتقدم للقتال ، فقاتلناهم قتالا شديدا فكان ادريس يضرب في هذا الجانب مرة ثم يكر في الجانب الثاني فلم يزل كذلك حتَّى ارتفع النهار فرجع إلى رايته فوقف بازائها والناس يقاتلون بين يديه إلى آخر ما جاء في وصف هذه المعركة من صاحب القرطاس

والكلام على الخوارج طويل الذيل أشبع المؤرخون الكلام فيه ومن أراد التفصيل فعليه بالكتب المطولة كالجزء الثاني من العبر لابن خلدون من صحيفة 1118 إلى صحيفة 1123 والثالث منه من صحيفة 303 إلى صحيفة 369 والكامل لابن الأثير الجزء الثالث منه في صحيفة 169 والسادس من كتاب تاريخ الطبري صحيفة 36 إلى صحيفة 38

ولازالت الدولة الصفرية قائمة بالمغرب، إلى أن أسسوا مدينة سجلماسة سنة 104هـ وأنشأوا فيها دولة بني مدرار، إلى أن قضَى عليهم الفاطميون (والمصادر التي

---

(16) قرطاس ابن أبي زرع صحيفة

استقينا من عيونها نقلنا بحث الايمان من الجزء الأول من فتح الباري لابن حجر)

(والكلام على الخوارج من الجزء الثاني من العبر لابن خلدون صحيفة 1118 والثالث منه صحيفة 310 وثلاثمائة واحدَى عشر– 311 والمجتمع المغربي للدكتور ابراهيم أحمد العدوي في كلامه على الخوارج)

مذهب برغواطة بتامسنا وآنفا
التي كانت عاصمتهم

بعد الكلام على (الخوارج الصفرية التي كانت مذهب منطقتنا بتامسنا) ويجدر بنا أن نلم بالكلام على ما تفرع منها من مذهب البرغواطية بتامسنا وكان ظهورهم سنة 124هـ موافق 741م بعد انهزام الخوارج الصفرية في القيروان

الخلاف في مبتدع مذهب البرغواطية
ملوكهم على الترتيب

شريعتهم – الجهاد فيهم من قبل دول الإسلام – انقراضهم

أمَّا مبتدعها فقد حكَى أبو عبيد البكري في كتابه المسالك والممالك بصحيفة 134 ـ 135 روايتين الأولى ان صاحب الفكرة هو صالح بن طريف المتنبي حكاها عن ابن صالح زمور بن موسى والثانية أن صاحب الفكرة هو يونس ، حكاها عن أبي العباس فضل ، قال في الأولى

أخبر أبو صالح زمور بن موسى بن هشام بن ورديزم البرغواطي وكان صاحب صلاتهم حين قدم على الحكم المستنصر رسولا من قبل صاحب برغواطة أبي منصور عيسى بن أبي الأنصار عبد الله بن أبي غفير يحمد بن معاد بن اليسع بن صالح بن طريف

وكان وصوله إلى قرطبة في شوال عام 352هـ موافق 964م وكان المترجم عنده في جميع ما أخبره به الرسول الذي قدم معه وهو أبو موسى عيسى بن داوود بن

عشرين من أهل شالة مسلم من بيت خيرون بن خير، فأخبر زمور أن طريفا أبا ملوكهم من ولد شمعون بن يعقوب بن اسحاق، وأنه كان من أصحاب ميسرة المدغري المعروف بالحقير ومغرور بن طالوت والي طريف نسبت جزيرة طريف، فلما قتل ميسرة وافترق أصحابه احتل طريف بلدة تامسنا وكان إذ ذاك ملكا لزناتة وزواغة فقدمه البربر على أنفسهم وولي أمرهم وكان على ديانة الإسلام إلى أن هلك هنالك وخلف من الولد أربعة فقدم البربر ابنه صالحا مبهم ، قال زمور وكان موت صالح بعد موت النبي ﷺ بمائة عام سواء

قال وحضر مع أبيه حروب ميسرة الحقير وهو صغير قال وكان من أهل العلم والخير فتنبأ فيهم وشرع لهم الديانة التي هم عليها إلى اليوم وادعَى أنه أنزل عليه قرآنهم الذي يقرأونه قال زمور وهو صالح المومنين الذي ذكره الله عز وجل في قرآن محمد عليه السلام في سورة التحريم وعهد صالح إلى ابنه الياس بديانته وعلمه شرائعه وفقهه في دينه وأمره أن لا يظهر ذلك إلا إذا قوى أمره فإنه يدعو إلى ملته ويقتل حينئذ من خالفه وأمره بموالاة أمير الأندلس وخرج صالح إلى المشرق ووعد أنه سيرجع إليهم في دولة السابع من ملوكهم وزعم أنه المهدي الأكبر الذي سيخرج في آخر الزمان لقتال الدجال وأن عيسى بن مريم يكون من أصحابه ويصلي خلفه وأنه يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا وتكلم لهم في ذلك كلاما كثيرا نسبه إلى موسى الكليم عليه السلام وإلى سطيح الكاهن وإلى ابن عباس وزعم أن اسمه في العربي صالح وفي السرياني مالك وفي الأعجمي عالم وفي العبراني وربيا وفي البربرية ورياوري

فتولى إلياس الأمر من بعد خروج أبيه يظهر ديانة الإسلام ويسر الذي عهد إليه به أبوه خوفا وتقية وكان طاهرا عفيفا لم يلتبس بشيء من الدنيا إلى أن هلك بعد أن ملك خمسين سنة وولد الياس جماعة مبهم يونس فتولى الأمر بعد أبيه فأظهر ديانتهم ودعا إليها وقتل من لم يدخل فيها حتَّى اخلى ثلاث مائة مدينة وسبعا وثمانين مدينة حمل جميع أهلها على ديانته بالسيف لمخالفتهم إياه وقتل مبهم بموضع يقال له تاملوكاف وهو حجر نابت عالي في وسط السوق سبعة آلاف وسبع مائة وسبعين قتيلا وقتل من صنهاجة خاصة في وقعة واحدة ألف وغد والوغد عندهم المنفرد الوحيد الذي لا أخ له ولا ابن عم وذلك في البربر قليل وانما أحصوا الأقل ليستدل

به على الأعظم الأكثر قال زمور ورحل يونس إلى المشرق وحج ولم يحج أحد من أهل بيته قبله ولا بعده ومات يونس بن إلياس بعد أن ملك أربعا وأربعين سنة وانتقل الأمر من بنيه بقيام أبي غفير يحمد بن معاذ بن اليسع بن صالح بن طريف عليهم فاستولى على الملك بدين آبائه واشتدت شوكته وعظم أمره وكانت له وقائع كثيرة في البربر مشهورة لا تنسى مع الأيام مها وقيعة تيمغسن وكانت مدينة عظيمة أقام القتل في أهلها ثمانية أيام من الخميس إلى الخميس حتّى امتلأت دورهم ورحابهم وسككهم بدمائهم ومها واقعة بموضع يقال له بهت عجز الاحصاء عن عد من قتل فيها وكانت لأبي غفير من الزوجات أربع وأربعون زوجة كان له من الولد بعددهن ومات أبو غفير بعد أن ملك تسعا وعشرين سنة وذلك عند ثلاث مائة من الهجرة وولى الأمر بعده من بنيه عبد الله أبو الانصار وكان سخيا ظريفا يفي بالعهود ويحفظ الجار ويكافئ على الهدية باضعافها وكان أفطس شديد أدمة الوجه ناصع بياض الجسم طويل اللحية وكان يلبس السراويل والملحفة ولا يلبس القميص ولا يعتم إلا في الحرب ولا يعتم أحد في بلده إلا الغرباء وكان يجمع جنده وحشمه في كل عام ويظهر أنه يغزو من حوله فتهاديه القبائل وتستألفه فإذا استوعب هداياهم وألطافهم فرق أصحابه وسكنت حركته فملك في دعة اثنين وأربعين سنة ودفن بتامسلاخت وبها قبره وولي بعده من بنيه ابنه أبو منصور عيسى بن أبي غفير وهو ابن اثنين وعشرين سنة وذلك سنة إحدَى وأربعين وثلاث مائة فسار بسيرة أبيه ودان بديانتهم واشتدت شوكته وعظم سلطانه وكان أبوه وصاه قبل موته بموالاة صاحب الأندلس وكذلك يوصي جميعهم المرشح للملك بعده قال زمور وقال له يابني أنت سابع الأمراء من أهل بيتك وأرجو أن يأتيك صالح بن طريف كما وعد ، انتهَى كلام زمور

كما حكَى الرواية الثانية وأن صاحب الفكرة هو يونس

وقال أبو العباس فضل بن مفضل بن عمرو المدحجي أن يونس القائم بدين برغواطة أصله من شدونة من وادي بربط وكان قد رحل إلى المشرق في عام واحد مع عباس بن ناصح وزيد بن سنان الزناتي صاحب الواصلية وبرغوت بن سعيد التراري وجد بي عبد الرزاق يعرفون ببي وكيل الصفرية ومناد صاحب المنادية المنسوب إليه القلعة المعروفة بالمنادية قريبا من سجلماسة وآخر ذهب عنه اسمه فأربعة مهم فقهوا في الدين وادعَى ثلاثة مهم النبوءة مهم يونس صاحب برغواطة . قال

وكان يونس شرب دواء الحفظ فَلَقِّنَ كل ما سمع وحفظه وطلب علم النجوم والكهانة والجان ، ونظر في الكلام والجدال وأخذ ذلك عن غيلان ثم انصرف يريد الأندلس فنزل بين هؤلاء القوم من زناتة فلما رأى جهلهم استوطن بلدهم وكان يخبرهم بأشياء قبل كونها مما تدل عليه النجوم عندهم فتكون ما يقول أو قريبا منه فعظم عندهم فلما رأى ذلك مهم وعرف ضعف حلومهم وسخافة عقولهم أظهر ديانته ودعا إلى نبوته وسمي من اتبعه بربطي لما كان من بربط ثم أحالوه بألسنتهم وردوه إلى لغاتهم فقالوا برغواطي

قال فضل بن مفضل وقال سعيد بن هشام المصمودي في وقعة بهت قصيدة طويلة اخترنا منها أبياتا

وهذه القصيدة جاءت بروايات اخترنا منها رواية ابن خلدون في كتابه العبر الجزء السادس التي يقول فيها

قفي قبل التفرق واخبرينا   وقولي واخبري خبرا يقينا
وهذي أمة هلكوا وضلوا   وخابوا لا سقوا ماء معينا
يقولون النبي أبا غفير   فاخزَى الله أم الكاذبينا
ألم تسمع ولم تر يوم بهت   على آثار خيلهم رنينا
رنين الباكيات تبيت تكلى   وعاوية ومسقطة جنينا
سيعلم أهل تامسنا إذا ما   أتوا يوم القيامة مهطعينا
هنالك يونس وبنو أبيه   يقودون البرابر حائرينا
فليس اليوم يومكم ولكن   ليالي كنتم متميسرينا

* * *

ومعنى متيسرين أي أصحاب ميسرة الزعيم وبهذا البيت الشعري فليس اليوم يومكم ولكن ليالي كنتم متيسرين ، رجَّح البكري رواية زمور بأن صالحا هو أول من تنبأ في برغواطة لا يونس ـ حفيدهِ ـ وبهذا البيت أيضا يترجح أن صالحا ووالده طريفا كانا تابعين لميسرة الذي ثار سنة 122 هجرية وأنهما حضرا غزوة القيروان على رواية ابن عذاري المراكشي

وان منطقتنا تامسنا كانت شاركت في ثورة ميسرة ومعركة القيروان وزاد ابن الخطيب في كتابه أعمال الاعلام الجزء الثالث (3) الذي تكلم فيه على برغواطة أن

صالحا بن طريف استوزره ميسرة الحقير ثم عزله وكتب له كتابا إلى أهل تامسنا وقومه من زناتة البربر يوصيهم به ويصف فضله وعلمه

ملاحظة

ان قول الرسول إلى ملك قرطبة بأن صالحا مات بعد موت النبي عليه الصلاة والسلام بمائة عام تتناقض مع قوله أنه حضر مع والده حروب ميسرة الحقير وهو صغير لأن ثورة ميسرة كانت سنة 122 هجرية ، أي بعد موت النبي عليه الصلاة والسلام بأعوام (112) وقد بقي على قيد الحياة حتّى تنبأ في تامسنا وشرع الشرائع

كما يتنافَى أيضا مع قوله أن صالحا رحل إلى المشرق وأخبر أنه سيرجع إليهم في دولة السابع مهم ولم يخبر أحد من المؤرخين أنه رجع بعد غيبته فيكون تاريخ وفاته مجهولا

وما ذكره البكري عن زمور عن صالح بأنه كانَ من ولد شمعون بن يعقوب بن اسحاق تبعه على ذلك ابن عذاري في البيان وابن أبي زرع في قرطاسه ، وابن الخطيب بصيغة قيل ، وجاء ابن خلدون فيما يعد وغلطهم في نسبة صالح إلى اسرائيل ، وأن برغواطة من زناتة ويصمم على أنهم من مصمودة في الجزء 6 من العبر صحيفة 334 قائلا وقد يغلط بعض الناس في نسب برغواطة هؤلاء فيعدهم في قبائل زناتة ، وآخرون يقولون في صالح أنه يهودي من ولد شمعون بن يعقوب ، نشأ ببرباط ورحل إلى المشرق وقرأ على عبد الله المعتزلي واشتغل بالسحر وجمع منه فنونا وقدم المغرب ونزل تامسنا فوجد فيها قبائل جهالا من البربر فأظهر لهم الزهد وسحرهم بلسانه وموّه عليهم فصدقوه واتبعوه فادعَى النبوءة وقيل لمن تبعه برباطي نسبة إلى الموطن الذي نشأ به وهو بربط (وادي بفحص شريش من بلاد الأندلس) فعربت العرب هذا الإسم وقالوا برغواطي ذكر ذلك كله صاحب كتاب نظم الجوهر وغيره من النسابين للبربر وهو من الأغاليط البينة وليس القوم من زناتة ، ويشهد لذلك كله موطنهم وجوارهم لاخوانهم المصامدة

واما صالح بن طريف فمعروف مهم وليس من غيرهم ولا يتم الملك والتغلّب على النواحي والقبائل لمنقطع جذمه دخيل في نسبه ، سنة الله في خلقه وانما نسب

الرجل في برغواطة وهم شعب من شعوب المصامدة معروف كما ذكرناه والله ولي التوفيق انظر الجزء 6 من العبر صحيفة 434

ونقل ابن الخطيب عن بعض المؤرخين أن قبيلة برغواطة ليسوا لأب واحد ولا يرجعون إلى أصل وإنما هم اخلاط من قبائل شتَّى اجتمعوا إلى صالح بن طريف وتبعه على ذلك الناصري في الاستقصاء

تاريخ ظهور هذه البدعة الغريبة التي احتضنتها بلاد تامسنا وأنفا ولم يتقدم لها مثيل في التاريخ (*)

نقل ابن عذاري في البيان عن ابن القطان وغيره ، أن الخوارج الصفرية لما هزموا في معركة القرن بالقيروان سنة 124 هجرية هزيمة منكرة وهم في ثلاثمائة ألف ، وعد القتلى بمائة وثمانين ألف 180 000 وكان من قواد عسكر الصفرية طريف المدعو أبو صبيح وولده صالح المتنبي

فلما هزموا وتفرقوا وتشتت جمعهم رجع طريف وولده إلى تامسنا فنظر طريف إلى شدة جهلهم ، قام فيهم ودعا لنفسه فبايعوه وقدموه على أنفسهم حينئذ تنبأ فيهم وشرع لهم الشرائع قال وبعد مدة مات ، حدد الناصري تاريخ وفاته سنة 128 هجرية وترك من الولد أربعة ، قدم البربر منهم ولده صالح فقام فيهم بالشرع الذي شرعه له والده وادعَى أنه نزل عليه القرآن إلى آخر ما نقلناه عن البكري

(*) البيان المغرب ج (1) ص 56

جدول في تاريخ ولاية ملوك برغواطة
وتاريخ انتهائها ملخصا من الجزء الثاني
من الاستقصاء صحيفة 16

اسم الملك	تاريخ ولايته	تاريخ انتهائها
طريـف	حضر معركة القيروان مع ميسرة سنة 124	وفاته سنة 127 هجرية
ولده صالح	سنة 127	خرج إلى المشرق ولم يرجع سنة 174
ولده الياس	سنة 174 هجرية	توفي سنة 224 هجرية
يونس بن الياس	سنة 224 هجرية	توفي سنة 268 هجرية
أبو غفير محمد بن اليسع ابن صالح بن طريف	تولى سنة 264	سنة 300 على قول الناصري والبكري وعلى قول ابن الخطيب 330
أبو الانصاز عبد الله بن أبو غفير	تولى سنة 300	توفي سنة 341
ولده أبو منصور عيسى ابن أبي الأنصار	تولى سنة 341	لم يذكر الناصري تاريخ الوفاة

ذكر ابن الخطيب في الجزء الثالث من كتابه اعلام الاعمال في كلامه على برغواطة أن أبا غفير توفي سنة 230 وأنه حاربه مولاي ادريس الثاني وإذا كان ابن أبي زرع في قرطاسه ذكر ان ادريس بن ادريس الحسني توفي سنة 213 يكون مولاي ادريس معاصرا لأبي غفير وحاربه وإذا صدقنا البكري والناصري في تاريخ وفاة أبي غفير سنة 300 يكون مولاي ادريس ميتا في قبره

الضلال الذي شرعه لهم صالح بن طريف

من ذلك فرض عليهم صوم شهر رجب وأكل رمضان وخمس صلوات في اليوم وخمس صلوات في الليل والضحية في الحادي عشر من المحرم ، وفي الوضوء فرض عليهم غسل الصرة والخاصرتين ثم الاستنجاء ثم المضمضة وغسل الوجه ومسح العنق والقفا وغسل الدراعين من المنكبين ومسح الرأس ثلاث مرات ومسح الأذنين كذلك ثم غسل الرجلين من الركبتين

وبعض صلواتهم ايماء بلا سجود وبعضها على كيفية صلاة المسلمين وهم يسجدون ثلاث سجدات متصلة ويرفعون جباههم وأيديهم عن الأرض مقدار نصف شبر واحرامهم أن يضع احدَى يديه على الأخرى ويقول ايبسمن باكش ، تفسيره باسم الله ، مقور باكش تفسيره الكبير الله ، ويضعون أيديهم مبسوطة طول ما يتشهدون ويقرأون نصف قرأنهم في وقوفهم ونصفه في ركوعهم ويقولون في تسليمهم بالبربرية الله فوقنا لم يغب عنه شيء في الأرض ولا في السماء ، ثم يقولون مقور باكش 25 مرة ويقولون ايحن باكش مثل ذلك معناه الواحد الله واردام باكش مثل ذلك ومعناه لا أحد مثل الله وصيام يوم الجمعة فرض من فروضهم ، ويأخذون العشور للزّكاة من جميع الحبوب ولا يأخذون شيئا من المسلمين ، ويتزوج من النساء ما يستطاع على مباعلتهن والانفاق عليهن بلا حد ولا عدد وأن لا يتزوج من بنات عمه إلى ثلاثة جدد ولا ينكحن من المسلمين ولا ينكحون فيهم ويطلقون ويراجعون ما أحبوا ويقتل السارق بالاقرار أو البينة ويرجم الزاني وينفى الكاذب ويسمونه المغبير ، والدية عندهم من البقر ورأس كل حيوان عليهم حرام والحوت لا يوكل إلا بذكاء ، والبيض عندهم حرام والدجاجة مكروهة إلا عند الاضطرار ، وليس عندهم أذان ولا إقامة وهم يكتفون

في معرفة الأوقات بصياح الديوك ولذلك حرموا أكلها وكان يبصق في أيديهم فيلعقونه تبركا به يحملون بصاقه إلى مرضاهم يستشفون به واقرارهم بنبوة صالح كاقرارهم بجميع النبيئين ونبوءة من تولى بعده من ولده

وكان برغواطة أعلم الناس بالنجوم وأحدقهم بالقضاء بها وكانوا أجمل الناس رجالا ونساء وأشدهم أبدانا كانت الجارية البكر مهن تثب ثلاث حمر مصطفة ولا يمس ثوبها شيئا من الحمر ولا تقدر على ذلك الثيب وقرآنهم الذي وضع لهم ثمانون سورة وأكثرها منسوبة إلى أسماء النبيئين

مها سورة أيوب ، وسورة يونس ، وسورة فرعون ، وسورة قارون وسورة هامان وسورة ياجوج ومأجوج وسورة الدجال وسورة العجل وسورة هاروت وماروت وسورة طالوت وسورة نمرود وما أشبه هذه الأقاصيص وسورة الديك ، وسورة الحجل وسورة الجراد وسورة الجمل ، وسورة الحنش الذي كان يمشي على ثمانية أرجل وسورة غرائب الدنيا ، وهناك العلم العظيم عندهم

ذكر كلمات مترجمة من أول سورة أيوب وهي استفتاح كتابهم

بسم الله الذي أرسل به الله كتابه إلى الناس هو الذي يبين لهم به أخباره قالوا علم ابليس القضية أبَى الله ليس يطيق ابليس كما يعلم الله

سل أي شيء يغلب الألسن في الأقولة ليس يغلب الألسن في الأقولة إلا الله بقضائه باللسان الذي أرسل الله بالحق إلى الناس استقام الناس فاستقام الحق انظر محمدا وعبارة ذلك بلسانهم ايسمنت مامت فامت محمد ، كان حين عاش استقام الناس كلهم الذين صحبوه حتّى مات ففسد الناس كذب من يقول أن الحق يستقيم وليس ثمة رسول الله وهي سورة طويلة

نقلنا شريعتهم الضالة من البكري في مسالكه من صحيفة 138 وما بعدها ثمّ حكَى عن زمور ان بني صالح من طريف يركبون في ثلاثة آلاف ومائتي فارس

وعد القبائل التي كانت تدين بديانتهم عن زمور وهم جراوة، وزواغة

والبرانس ، وبنو ناصر ، وبنو أبي نوح ، وبنو واعمر ، ومدغرة ، وبنو بورغ ، وبنو دمر ، ومطاطة ، إلى غير ذلك ، ويضاف إلى مملكتهم زناتة وغيرهم من قبائل أخرى عدها قال زمور وليس في عسكرهم طبول ولا بنود وعدد زمور من أنهار بلادهم الجارية أزيد من مائة نهر ، أعظمها نهر تماسنت وهو يجري من القبلة إلى الجوف وبين عنصره وموقعه في البحر مسيرة ستة أيام ، ونهر وانسيفت يقع في نهر شالة تحت الرباط في البحر المحيط ، (ولعله يعني نهر أبي رقراق)

غزو ملوك المسلمين لبرغواطة والجهاد فيهم

فقد جاهد فيهم الأدارسة ، والأموية ، والشيعة[17]

فأول من جاهد فيهم مولاي ادريس الأول قبل ظهور ديانتهم قدم ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب المغرب ونزل على عبد الحميد الأوربي بمدينة وليلي سنة 172هـ موافق 788م وكان أول من بايعه قبائل أوربا بايعوه على الامارة والقيام بأمرهم وصلواتهم وغزوهم وأحكامهم وكانت أوربة في ذلك الوقت أعظم قبائل المغرب وأكثرها عددا وأشدها قوة ثم بعد ذلك أتته قبائل زناتة وأصناف قبائل البربر من أهل المغرب ، منهم زواغة وزواوة ولهاية ولواتة وصدراتة وغياتة ونفزة ومكناسة وغمارة ، فقوي جانبه وتمكن سلطانه ووفد عليه الوفود من سائر البلدان وأول ما فكر فيه غزو القبائل البربرية التي لازالت مدبدبة في دينها وأخذ جيشا عظيما من قبائل زناتة وأوربة وصنهاجة وهوارة فخرج بهم غازيا إلى بلاد تامسنا فنزل أولا مدينة شالة ففتحها ثم فتح بعدها سائر بلاد تامسنا ومن تامسنا توجه إلى بلاد تاذلة ففتح معاقلها وحصونها وكانت أكثر هذه البلاد نصرانية ويهودية والإسلام بها قليل فاسلم جميع من فيها على يديه ثم رجع إلى مدينة وليلي فدخلها في آخر شهر ذي الحجة في سنة 172هـ حتى استراح الناس ثم جاهد فيهم الأمويون في الأندلس ففي سنة 366هـ موافق 976م قلد المنصور بن أبي عامر

(17) الأنيس المطرب لابن أبي زرع – صحيفة

جعفر بن علي عمله ، فعمله على المغرب ، فلما نزل البصرة اختلف مع أخيه يحيى فاستمال عليه أخوه الجند وأمراء زناتة فتجافا له جعفر عن العمل وصرف وجهه إلى جهاد برغواطة يعتدها من صالح عمله وزحف إليهم في أهل المغرب وكافة الجند الأندلسيين فلقوه وسط بلادهم فانهزم في هذه الغزوة ونجا بنفسه ولحق بأخيه بالبصرة ثم رجع إلى الأندلس باستدعاء المنصور وترك أخاه يحيى على عمل المغرب

غزو صهاجة الشيعيين لبرغواطة

في سنة 368هـ موافق 918م غزا بولكين بن زيري الصهاجي المغرب واجفلت زناتة أمامه وتمنعوا منه باوعار وجبال سبتة فانصرف عنهم إلى جهاد برغواطة وزحف إليهم فلقيه أميرهم إذ ذاك أبو منصور عيسى بن أبي الأنصار فانهزمت برغواطة وقتل أبو منصور أميرهم واثخن فيهم بولكين بالقتل وبعث سبيهم إلى القيروان وأقام بالمغرب يردد الغزو فيهم إلى سنة 372هـ موافق 982م ، فرجع من المغرب ومات في طريقه إلى القيروان

قال ابن خلدون ، ولم أقف على من ملك أمرهم بعد أبي منصور

حرب عبد الملك المنصور بن أبي عامر لبرغواطة

(18)في سنة 389هـ موافق 998م عقد عبد الملك بن المنصور لمولاه واضح على المغرب عند قفوله من غزاة زيري بن عطية فافتتح واضح أمره بغزو برغواطة فيمن معه من الأجناد وأمراء النواحي وأهل الولاية فعظم أثره فيهم بالسبي والقتل

حرب بنو يفرن لبرغواطة

لما استقل بنو يعلَى بن محمد اليفرني بناحية سلا من بلاد المغرب، واقتطعوا من

(18) الجزء السادس من العبر– صحيفة 432– 433 .

عمل أبناء زيري بن عطية المغراوي بعدما كان بينهما من الحروب وانساق أمر بني يعلى في أول المائة الخامسة إلى تميم بن زيري بن يعلى وكان موطنا بمدينة سلا مجاورا لبرغواطة وذلك في سنة عشرين وأربعمائة فغلبهم على تامسنا ، وولى عليها من قبله بعد أن أثخن فيهم سبيا وقتلا ثم تراجعوا من بعده

غزو المرابطين لبرغواطة (*)

لما وصل عبد الله بن ياسين إلى بلاد تامسنا أخبر أن بساحتها قبائل برغواطة وأنهم مجوس أهل ضلال وكفر ، وأخبر بدياناتهم الخسيسة ، وقيل له أن برغواطة قبائل كثيرة وأنهم أخلاط من قبائل شتّى من البربر ، اجتمعوا إلى صالح بن طريف القائم بتامسنا حين ادعَى النبوءة في أيام هشام بن عبد الملك

فلما سمع بحالهم ودياناتهم الخسيسة وما هم عليه من الضلالة رأى أن الواجب تقديم جهادهم على غيرهم فصار إلى غزوهم في جيوش المرابطين والأمير على برغواطة يومئذ أبو حفص عبد الله أو أبو جعفر بن عبد الله بن أبي عبيد محمد بن مخلد بن اليسع بن صالح بن طريف البرغواطي فكانت بينه وبين عبد الله بن ياسين حروب عظيمة وملاحم شديدة مات فيها من الفريقين خلق كثير واستشهد فيها عبد الله بن ياسين الجزولي رئيسهم فلما ثقل بالجراح في الحرب وبه رمق جمع أشياخ المرابطين ورأسائهم فقال يامعشر المرابطين انكم في بلاد أعدائكم واني ميت في يومي هذا لا محالة فإياكم أن تجفلوا وتفشلوا فتذهب ريحكم وكونوا الفة وأعوانا على الحق واخوانا في ذات الله وأوصاهم بالنحيب وعدم المخالفة والتحاسد على طلب الرئاسة وان الله يوتي ملكه من يشاء ، وأوصاهم بأن يقدموا عليهم من يقوم بأمرهم فاتفق رأيهم على تقديم أمير الحرب لأبي بكر بن عمر اللمتوني فقدمه عبد الله بن ياسين وهو حي

وتوفي في عشية يومه ذلك وهو يوم الأحد الرابع والعشرين من جمادَى الأولى سنة 451هـ موافق 1049م ودفن ببلاد أكريفلة بقبيلة زعير وبني على قبره مسجد

(*) العبر ج 6 ص 434

حرب أبي بكر بن عمر لبرغواطة وحصارهم بانفا

بعد أن فرغ من دفنه عبأ جيوشه وقصد إلى قتال برغواطة مصمما في حربه متوكلا على الله تعالى في جميع أموره فانهزموا وفروا بين يديه وهو في أثرهم يقتل ويسبي حتَّى أثخن فيهم وتفرقوا في الصحاري وجمع أموالهم وغنائمهم وقسمها بين المرابطين

قال ابن أبي .زرع في قرطاسه لم يبق في ديانتهم الخسيسة أثر إلى اليوم ، وذلك في شهر صفر سنة 452هـ موافق 1060 م هذا ما حكاه أبو حسن علي بن أبي زرع في قرطاسه في صحيفة 89 وصحيفة 91

وجاء بعده أبو القاسم الزياني في كتابه الترجمان في باب السابع عشر (17) من دولة المرابطين

حكا أن في سنة 452 هجرية موافق 1060 توجه أبو بكر بن عمر في عساكر لمتونة لجهاد برغواطة بتامسنا فهزمهم واستلحمهم وحصرهم بآنفا مدة ، ورجع إلى الحوز وترك عبد الله بن ياسين في عسكر لمتونة يحاصرهم بآنفا إلى أن قال فكان مرابطا عليهم بعساكر لمتونة إلى أن مات ودفن على ربوة بوادي كريفلة بقبيلة زعير

حصار يوسف بن تاشفين لبرغواطة في آنفا

قال الزياني لما كان عام 453هـ موافق 1061م ، استعمل أبو بكر بن عمر الرحلة إلى القبلة بسبب ما حدث من الفتنة بعده في قبائل الصحراء وتفقد أحوالها وكلف ابن عمه يوسف بن تاشفين بن ابراهيم اللمتوني بعد أن نزل له عن زوجه زينب بنت اسحاق النفزاوية وطلاقها فتزوجها يوسف بن تاشفين سنة 455 هجرية موافق 1063م نزل على أنفا وحاصر برغواطة فيها إلى أن دخل عليهم عنوة فاستباحهم ولم يفلت مهم إلا من اختفَى في قناة أوبير ومحا آثار ديانتهم الفاسدة .

ظهور[19] أمرهم في دولة الموحدين وثورة محمد بن هود السلاوي المعروف بالماسي

بعدما فتح عبد المومن بن علي مدينة مراكش يوم السبت 28 شوال عام 541هـ موافق 1146م وقبض أمير المومنين عبد المومن بن علي على أمير المرابطين اسحاق بن علي بن يوسف بن تاشفين وكان محمد بن هود السلاوي المذكور بايع عبد المومن بن علي وحضر معه الفتح ، ووفدت عليه جميع قبائل المصامدة بأسرها واستوثق أمر المغرب لعبد المومن بن علي ، ودخلت سنة 542 هجرية موافق 1147م خرج على أمير المؤمنين عبد المومن بن علي محمد بن هود الماسي السلاوي ، وكان رجلا من سوقة سلا وكان أبوه سمسارا بها وكان هو قصارا بها ثم فارق عبد المومن وثار عليه فغلب على بلاد تامسنا وأكثر بلاد المصامدة فبايعته جميع القبائل حتّى لم يبق تحت يد عبد المومن إلا مدينة مراكش على حد تعبير بن أبي زرع في القرطاس فسرج إليه عبد المومن عسكرا من الموحدين

أولا لنظر يحيى بن اسحاق انكمار كما في الاستقصاء ، فالتقى بالماسي وقاتله وانتصر الماسي عليه ، وعاد جيش الموحدين مهزوما إلى عبد المومن ، ثم سرح إليه ثانيا الشيخ أبا حفص الهنتاتي في جيش عظيم من الموحدين فارتحل من مراكش في أول يوم من ذي القعدة عام 542 المذكورة ، موافق 1147م وخرج معه عبد المومن مشيعا حتّى وصل تانسيفت ثم ودعهم ودعا لهم وانصرفوا فالتقوا بالماسي الخارجي ببلاد تامسنا كما في القرطاس ، فكانت بينهم حروب عظيمة ، وقتله الشيخ أبو حفص بيده ، وهزم عسكره وذلك في شهر ذي الحجة عام 542 هجرية موافق 1147م فسمى الموحدون الشيخ أبا حفص سيف الله تشبيها بخالد بن الوليد

حرب عبد المومن لبرغواطة

وبعد هذه الحروب وانتصار عبد المومن على الماسي وأشياعه بقيت برغواطة

(19) القرطاس ـ صحيفة 133
الاستقصاء جزء 2 صحيفة 110

صامدة فدخلت سنة 543هـ ارتحل عبد المومن إلى سجلماسة فدخلها وأمن أهلها ثم رجع إلى مراكش فأقام بها أياما وخرج إلى غزو برغواطة ، وكانت بينه وبينهم حروب عظيمة هزم فيها عبد المومن ثم كانت الكرة له عليهم واجال فيهم السيف ولم يبق فيهم الا من لم يبلغ الحلم

استنصار برغواطة بالصحراوي الذي بويع بسبتة وهو يحيَى بن أبي بكر يدعَى الصحراوي

[20] قال ابن أبي زرع قام أهل سبتة على الموحدين بعد أن بايعوه ومكنوه من المدينة وكان قيامهم عليه برأي قاضيهم عياض بن موسى فقتلوا من فيها من الموحدين وحرقوهم بالنار ، فركب عياض بن موسى البحر إلى بني غانية وطلب منهم البيعة فارسلوا معه الصحراوي أميرا فلما سمع برغواطة بخروج عبد المومن إليهم كتبوا إلى الصحراوي والي سبتة يستنصرون به فأتاهم فبايعوه واجتمعوا عليه وقاتلوا عبد المومن وهزموه ، ثم كانت الكرة له عليهم فهزمهم ففر الصحراوي وراسل عبد المومن يطلب منه الأمان فأمنه فأتاه وبايعه وحسنت طاعته فلما رأى ذلك أهل سبتة سقط في أيديهم وندموا على صنيعهم وكتبوا بيعتهم إلى عبد المومن وأتَى بها أشياخ المدينة وطلبتها تائبين فعفا عنهم وعن القاضي عياض وأمره بسكنَى مدينة مراكش وأمر بهدم سور مدينة سبتة وكان ذلك سنة 543 هجرية موافق 1148م وعند الناصري سنة 542 هجرية

صمود برغواطة في وجه عبد المومن وثورة أبي تمركيد بتامسنا

وبعد هذه الحروب كلها والانتصارات التي انتصر فيها عبد المومن ، قام رجل بتامسنا يعرف بأبي تمركيد فبايعه برغواطة وصمدوا في وجه عبد المومن وقبائل كثيرة

---

(20) ابن أبي زرع صحيفة 34 طبع فاس

من البربر وبقي مدة يحارب الموحدين إلى أن ظفر به فقتل وحمل رأسه إلى مراكش وقتل معه خلق كثير من البربر وذلك سنة 543 هجرية حسب ما ذكره ابن أبي زرع في كتابه القرطاس صحيفة 135

انتقال العرب من افريقية إلى المغرب وإلى تامسنا بالخصوص

[21]في سنة 582هـ موافق 1186م خرج أمير المومنين يعقوب المنصور الموحدي من مراكش لاخضاع مدينة قفصة بتونس فلما وصلها حاصرها حتّى فتحها سنة 583هـ موافق 1187م

فلما فتحها خرج إلى غزو عرب افريقيا الذين كانوا يساندون يحيى بن غانية ضد الموحدين وهؤلاء العرب هم قرة والعاصم والمقدم والاتبج ، وجشم ، والخلط وغلب عليهم جميعا اسم جشم ، وهم جشم بن معاوية بن بكر بن هوزان ، فهزمهم واستباح حللهم وأموالهم وبعد ذلك أتوه طائعين فنقلهم إلى المغرب ممن لهم كثرة وشوكة وظواعن ناجعة

فنقل العاصم والمقدم من بطون الاتبج ومعهم بطون أخرى ونقل جشم هؤلاء الذين غلب اسمهم على من معهم من الأحياء وانزلهم تامسنا ، فنزل جشم بتامسنا بالبسيط السهل الافيح ، وحدّها ابن خلدون ما بين سلا ومراكش ، فافترقت شعوبهم بالمغرب إلى الخُلط وسفيان وبني جابر وسيأتي لنا الكلام على انتقال الفرق الأخرى من العرب الذين نقلهم إلى تامسنا أيضا بنو مرين

الكلام على الزعيم السكوت البرغواطي في طنجة وسبتة

[22]ومادمنا نتكلم على برغواطة واضعين يدنا على طرف من حبلهم يجدر بنا أن

(21) القرطاس صحيفة 154 طبع فاس الجزء 6 من العبر صحيفة 58
(22) الاستقصاء – صحيفة 30 – 31 ج 2

نلم بخبر هذا الزعيم البرغواطي ، كان أولا في ابتداء أمره عند شيخ حداد من موالي الحموديين اشتراه من سبي برغواطة في أيام جهادهم ثم صار إلى علي بن حمود فتألق نجمه وظهرت نجابته في ميدان السياسة ، فاستقل بالأمر واقتعد كرسي عملهم بطنجة وسبتة ، وأطاعته قبائل غمارة واتصلت أيام ولايته إلى أن كانت دولة المرابطين وتغلب يوسف بن تاشفين على بلاد المغرب ونازل بلاد غمارة فدعا الحاجب سكوت البرغواطي إلى مظاهرته عليهم فهم بالاجلاب معه ومظاهرته على عدوه ثم تناه عن ذلك ابنه ضياء الدولة يحيى ، فلما انقاد المغرب لطاعة يوسف صرف عزمه إلى الحاجب سكوت ، وكان المعتمد بن عباد صاحب اشبيلية قد كتب إلى يوسف بن تاشفين يستدعيه للجواز باسم الجهاد ونصر البلاد فأجابه يوسف بقوله «لا يمكنني ذلك إلا إذا ملكت طنجة وسبتة»

فراجعه ابن عباد يشير عليه بأن يسير هو إليها بعساكره من البر فينازلها ويبعث ابن عباد قطائعه في البحر فينازلها أيضا حتَّى يتملكها فيأخذ يوسف في محاولة ذلك وصرف عزمه إليه ، ثم دخلت سنة سبعين وأربعمائة فجهز إليها قائده صالح بن عمران في اثني عشر ألف فارس من المرابطين وعشرين ألفا من سائر قبائل المغرب فلما قربوا من طنجة برز إليهم الحاجب سكوت بجموعه – وهو شيخ كبير قد ناهز التسعين سنة – وقال والله لا يسمع أهل سبتة طبول اللمتوني وأنا حي أبدا ، فالتقَى الجمعان بوادي مي من أحواز طنجة والتحم القتال فقتل سكوت وفضت جموعه وسار المرابطون إلى طنجة فدخلوها واستولوا عليها

ولحق ضياء الدولة يحيا بن سكوت بسبتة فاعتصم بها وكتب القائد صالح بن عمران بالفتح إلى يوسف

ظهور متنبئ آخر في قبيلة غمارة[23] بالجبال المحيطة بتطوان

ومادمنا نتكلم على التنبؤ المكذوب وخزعبلات صالح بن طريف يجدر بنا أن

(23) المسالك والممالك البكري صحيفة 100 – 101 والعبر لابن خلدون الجزء 6 صحيفة 444

نتكلم على سبيل الاستطراد على متنبئ آخر بالجبال المحيطة بتطوان ذكره أبو عبيد البكري المتقدم الذكر في كتابه المغرب المعروف (بالممالك والمسالك) لما تكلم على قبيلة غمارة ومنهم مجكسة قال وتنبأ بذلك الصقع أبو محمد حاميم بن من الله بن حريز بن عمرو بن جفوان الملقب بالمفتري

وببلد مجكسة جبل حاميم المنسوب إليه وهو على مقربة من مدينة تطوان وأجابه بشر كثير أقروا بنبوته وجعل لهم الصلاة صلاتين عند طلوع الشمس وعند غروبها يسجدون على بطن أكفهم ووضع لهم قرآنا بلسانهم فما ترجم منه بعد تهليل يهللونه خلني من الذنوب يا من يخل البصر ينظر في الدنيا خلني من الذنوب يا من أخرج موسى من البحر ومنه آمنت بحاميم وبأبي خلف ، يريدون أبا حميم وكذلك كان يكني وأمن رأسي وعقلي وما أكنه صدري وما أحاط به دمي ولحمي وآمنت بتانقيت ، وهي عمة حاميم أخت أبي خلف من الله ، وكانت كاهنة ساحرة وكانت لحاميم أيضا أخت تسمى دجو وكانت ساحرة كاهنة من أجمل الناس وكانوا يستغيثون بها ويزعمون أنهم يجدون نفعها وفرض عليهم صوم يوم الخميس كله وصوم يوم الأربعاء إلى الظهر فمن أكل فيهما غرم خمسة أثوار لحاميم ووضع لجميعهم صوم سبعة وعشرين يوما من رمضان وألغى فرض صوم ثلاثة أيام ، وجعل عيدهم في الثاني من الفطر وفرض زكاتهم العشر من كل شيء وأسقط عنهم الحج والطهر والوضوء وأحل لهم أكل لحم الخنازير وقال ، إنما حرم ذكورها وذلك في قرآن محمد ﷺ وحرم عليهم الحوت حتى يذكى وحرم عليهم البيض من جميع الطير وأنشد أبو العباس فضل بن مفضل بن عمر المدجي لعبد الله بن محمد المكفوف الطنجي يهجو حاميم ويذكر فسقه قال

وقالوا افتراء ان حاميم مرسل
اليهم بدين واضح الحق باهر
فقلت كذبتم بدد الله شملكم
فما هو إلا عاهر وابن عاهر
فان كان حاميم رسولا فإنني
بارسال حاميم لأول كافر
روو عن عجوز ذات إفك فهيمة
تفاوق في أسحارها كل ساحر

أحـاديث افك حـاك ابليس نسجها
يسروها والله مـــبـــدي السرائـــر

وقتل حاميم المفتري بمصمودة الساحل من أحواز طنجة سنة 315هـ

وصف بلاد تامسنا في القرن الخامس الهجري وما بعده وما فيها من طرق ومسالك وقرى وعيون وأنهار وغابات وحيوانات مفترسة وكيفية صيدها

والذي يحدثنا عن ذلك العلامة الكبير الجغرافي الشهير وهو أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد العزيز الشريف الادريسي المولود في سبتة سنة 493 هجرية موافق 1099م المتخرج من جامعة قرطبة والذي زار فرنسا وانكلترا في كتابه نزهة المشتاق واختراق الآفاق في رحلته من مراكش إلى تامسنا إلى قوله

وقبائل تامسنا شتَّى مفترقة ، فمهم برغواطة ومطاطة وبنو اتسلت وبنو ويغمران ، وزقارة وبعضهم من زناتة وبنو يحفش من زناتة ، وكل هذه القبائل أصحاب حرث ومواش وجمال والغالب عليهم الفروسية وآخر سكناهم مرسى فضالة

مرسى فضالة

ومرسى فضالة على البحر المحيط الغربي بينه وبين وادي أم الربيع 3 مراحل

ووادي أم الربيع على واد كبير خرار يجاز بالمراكب سريع الجري كثير الانحدار كثير الصخور والجنادل ، وبهذه القرية البان وأسمان ونعم رغيدة وحنطة في نهاية الرخص وبها بقول ومزارع قطاني والقطن والكمون وهي في جنوب الوادي ويجاز هذا الوادي إلى غيضة كبيرة من الطرفاء والأنشام وكثير العليق ، وهي غابة كبيرة ملتفة والأسد بها كثيرة وربما ضرت بالمار والجاي غير أن أهل تلك النواحي لا يهابونها وقد تمهروا في مقابلتها بأنفسهم من غير سلاح وانما يلقونها بأنفسهم عراة يلقون أكسيتهم على أذرعهم ويمسكون معهم قتات من شوك السدرة وسكاكينهم بأيديهم لا غير

وقد لقيت الأسد منهم هناك نكايات فلا مهابة بذلك عندهم بل تخاف ضرهم وتجنبت طرقهم وربما هجمت على الضعفاء من الناس ممن يقتاد حمارا وغير ذلك ومن أم الربيع إلى قرية ايجسيل مرحلة وهي قرية حسنة وبها عيون كثيرة دفاقة بالماء بين صخور صلبة ، وهذا الماء يستعمل في سقي كثير من زروعهم ، ومن هذه القرية إلى قرية أنفا مرحلة ويقال لها دار المرابطين أيضا وبها عين عليها اقباء وماءها معين وهي حسنة في وضعها ، كثيرة الزروع والمواشي والابل والبقر والغنم ، وقبالتها فحص طويل وقد انحشرت إليه طيور النعام فهي في أكنافها سارحة وعلى مراقبته دراجة وهي آلاف لا تحد ولا تعد وأهل تلك النواحي يصيدونها طردا بالخيل فيقبضون منها عددا كبارا وصغارا ، وأما بيضها الموجود في هذا الفحص فلا يحاط به كثرة ولا يحد ، ومنه يحمل إلى كل البلاد وطعامها وخيم يفسد المعدة واما لحوم النعام فلحوم باردة يابسة وشحومها نافعة عندهم من الصمم تقطيرا ومن سائر الأوجاع البدنية ومن انقال إلى قرية مكول مرحلة وقرية مكول ببطيح ويتصل بها فحص يقال له فحص خراز طوله 12 ميلا لا ماء به وقرية مكول كالحصن الكبير عامرة بالبربر ، ولها سوق نافقة بما يجلب إليها من جميع المجلوبات من السلع والمتاجر التي يضطر الاحتياج إليها وزروع كثير ومواشي وانعام ومن مكول إلى قرية اكس مرحلة قصيرة والطريق على فحص خراز ، وفي آخر الفحص واد فيه ماء بارد دائما وعليه غابات ثمار والأسد فيها ظاهر للناس عادية عليهم بالليل والنهار لا تستتر في غياضها

وبهذه القرية المسماة ايكس بيت متخذ لصيد الأسد حتّى أنه ربما صيد منها في الجمعة الثلاثة والأربعة والأكثر من ذلك والأقل ، والأسد تفر من النار إذا رأتها ولا سبيل لها على صاحب النار وجعل يصف لنا ما بين أم الربيع وسلا ويصف لنا مدينة سلا ثم قال «ومنها في جهة الجنوب إلى مرسى فقاية أميال»

وجعل يصف لنا مرسى فضالة بأنه ترده المراكب من بلاد الأندلس وحايط البحر الجنوبي فتحمل منه أوساقها طعاما حنطة وشعيرا وفولا وحمصا وتحمل منه أيضا الغنم والمعزة والبقر

ومن فضالة إلى مرسى آنفا 40 ميلا وهو مرسى مقصود تأتي إليه المراكب

وتحمل منه الحنطة والشعير ويتصل به في ناحية البر عمارات من البربر من بني يدفر ودكال وغيرهما

ومن آنفا إلى مرسى مازيغن 20 ميلا روسية ومن مازيغن إلى البيضاء جون 30 ميلا ، ومن البيضاء إلى مرسى الغيط 50 ميلا وهو جون ثان ومن الغيط إلى آسي 50 ميلا ومن آسي إلى طرف جبل

كما وصف لنا الشريف الادريسي تامسنا في عصره القرن الخامس وصفها لنا أيضا الحسن الوزان في عصره القرن التاسع في كتابه وصف افريقيا ، وبعدما وصف مدينة آنفا ذكر مدينة (منصورة) بناها المنصور الموحدي على بعد ميلين من البحر المحيط نحو 25 ميلا من الرباط ونحو هذه المسافة تقريبا من آنفا ثم ذكر مدينة (النخيلة) مدينة صغيرة في وسط تامسنا كانت آهلة بالسكان أيام البرغواطيين وتقام بها في كل سنة سوق لجميع أهل تامسنا وكان أهلها في غاية الغناء علق عليها المترجم لكتاب وصف افريقيا محمد حجي ومحمد الأخضر مايزال مكان مدينة النخيلة معروفا بهذا الإسم جنوب الرباط بـ 40 كيلومتر بطريق الرماني يقصد بها قبيلة زعير ، وذكر أيضا مدينة (أدندون) على بعد 25 ميلا من الأطلس ، وذكر أيضا (تكيت) مدينة صغيرة من بناء الأفارقة على ضفة نهر أم الربيع بالطريق المؤدية من تادلة إلى فاس ، كانت كثيرة السكان وافرة الحضارة والثروة ، وذكر أيضا مدينة (عين حلوف) مدينة صغيرة لا تبعد عن المنصورة إلا قليلا ، مبنية في سهل ترَى فيه بعض الأشجار الغبيراء وبعض الأشجار الشوكية ، وتحيط بها مستنقعات تكثر فيها السلاحيف البرية والمائية والضفادع الضخمة ويقصد بها القرية الواقعة بين عين عودة ومدينة الرباط ومازالت تسمى بهذا الاسم ، كما ذكر معد بن عوام

بناها عبد المومن على ضفة وادي أبي رقراق ، وذكر أيضا تاغية بين جبال الأطلس ، أراضيها الزراعية هزيلة وهي وسط غابات فيها الأسد كاشرة وذكر أيضا زرقة كانت مدينة من مدن تامسنا وتهدمت هذه المدينة في حروب برغواطة

تامسنا وآنفا في عصر بني مرين

في سنة 658 هجرية موافق 1200م تملك يعقوب المنصور بن عبد الحق المريني

تامسنا وآنفا بعد أن سبقته حادثان

(24)الأول منهما أن يعقوب بن عبد الله بن عبد الحق عزم على الثورة على عمه أمير المسلمين يعقوب بن عبد الحق المريني ، ومن جملة ما فكر فيه لذلك أن سافر إلى تامسنا موريا بالإقامة فيها بقصد الرعي والصيد ونزل بدواره في غبولة وتحايل على أبي عبد الله بن أبي يعلَى الوالي على سلا من قبل السلطان الموحدي إذ ذاك عمر المرتضَى فطلب منه الاذن في الدخول لرباط الفتح بقصد الدخول للحمام فأذن له فلما دخل صحبه خدامه وأصحابه اعتصم بقصبة رباط الفتح ولم تكن لأبي يعلى حاميه كافية لما أصاب الدولة الموحدية من الهرم والضعف المعنوي فساور الخوف أبا يعلى وهو في سلا ففر ليلا في مركب بحري وقصد أزمور وترك ماله وعياله فاستولى عليهما يعقوب بن عبد الله ، فلما وصل إلى أزمور ركب برا وذهب عند سلطانه عمر المرتضَى بمراكش فاستولى يعقوب بن عبد الله على سلا والرباط مضاهيا بذلك عمه السلطان يعقوب بن عبد الحق

ثم وقع الحدث الثاني (2)
وهو هجوم النصارَى على سلا

ففي ثاني شوال من سنة 658 المذكورة الهجرية ، هجم النصارَى على سلا غدرا فقتلوا رجالها وسبوا حريمها وأموالها فوصل الخبر إلى يعقوب بن عبد الحق سلطان المسلمين برباط تازة عند صلاة العصر

فلما صلَّى العصر ركب مبادرا ومسرعا لإغاثة مدينة سلا وذلك في اليوم الرابع من شوال وكان ذلك في نحو خمسين فارسا من بني مرين فصار بقية يومه تلك ، ومن الغد وصل إلى سلا عند صلاة العصر. وكان مسيره من تازة إلى سلا في يوم وليلة وتداركه الجيوش وتلاحقت العساكر والجنود والمتطوعة وأتته جميع قبائل المغرب فحاصر النصارَى بسلا وضيق عليهم بالقتال ليلا ونهارا حتَّى فتحها قهرا بعد أربعة وعشرين يوما من دخولهم فلما خرج النصارَى عنها وملكها بنَى

عليها السور الغربي الذي يقابل الوادي من الناحية التي دخل منها النصارى فبقي مقيما بسلا حتى تم السور ، فخرج إلى مدينة أنفا فملكها ، وبسبب ما قام به من الفتح المبين والنصر على الاعداء دخل انفا من دون قتال وملك تامسنا وبايعه جميع قبائلها

وكان القاضي بأنفا الفقيه العدل أبو عبد الله محمد بن اسحاق الفزازي ولي أنفا قاضيا بها في دولة المرتضي الموحدي وتوفي بعيد الفطر وقبره مشهور بها عند الباب القبلي من الجامع الكبير.

[25]وحكا الناصري في الاستقصاء أن النصارى هم الاسبنيول وزاد قائلا أن يعقوب بن عبد الله لما تمكن من البلاد جاهر بالخلع وصرف إلى منازعة عمه السلطان يعقوب بن عبد الحق وجوه العزم وتمكنت الوحشة بين اليعقوبين ، ولما دخل يعقوب بن عبد الله سلا داخل تجار الحرب من الاسبنيول في الامداد بالسلاح فتباروا في ذلك وكثرت سفن المترددين منهم إليها حتى كثروا أهلها وزاد عددهم فعزموا على الثورة بها واغتنموا فيها غرة عيد الفطر سنة 658 هجرية عند اشتغال الناس بعيدهم وثاروا فوضعوا السيف بأهلها غدرا

وقال أيضا في قطع أمير المسلمين المسافة بين سلا وتازة في يوم وليلة ، هذا أمر خارق للعادة أظهره الله تعالى على يد هذا السلطان لصدق عزمه وحسن نيته وإلا فالمسافة بين تازة وسلا ست مراحل

وأما يعقوب بن عبد الله الثائر فإنه خشي بادرة السلطان يعقوب بن عبد الحق ، فخرج من رباط الفتح وأسلمه ثم ضبطه السلطان وتقفه ولحق بحصن علودان بجبال اغمارة فامتنع به

قال ابن أبي زرع في الدخيرة وفي هذه السنة وقع صلح بين السلطان عمر المرتضى وأمير المؤمنين يعقوب بن عبد الحق فوصلت الهدايا من المرتضي ومعها رسالة من الصلحاء وسائر الموحدين إلى يعقوب بن عبد الحق يطلبون فيها الصلح فوقع الصلح بينهما فالمرتضي على مراكش ، ويعقوب بن عبد الحق على فاس ويكون الحد بينهما أزمور ، وهذا أول تقسيم سياسي لمملكة المغرب في دولة بني مرين وسيأتي

---

(25) الجزء 3 من الاستقصاء صحيفة 21 ـ 22 ـ 23

تقسيان آخران والذي يظهر من سياق من أبي زرع في الذخيرة أن هذا الصلح أبرم بين المرتضي عمر سلطان الموحدين وبين يعقوب بن عبد الحق سلطان بني مرين في مدينة آنفا حيث ساقه عقب دخول آنفا في طاعته

ازدهار الحضارة والعمران
بأنفا وتامسنا في دولة بني مرين

تقدم لنا الكلام على أنفا في عصر القرطاجنيين الفينقيين واستطردنا الخلاف في المؤسس لها ورجحنا القول بفينقيتها بحجج لا تدع مجالا للشك فلتراجع

وقد ازدهرت حضارتها واستبحر عمرانها في دولة بني مرين

تطورها في الناحية الاقتصادية والتجارية والعمرانية
وعلاقات تجارها مع الاوروبيين ومقارنتها
مع المدن المغربية اقتصاديا وعمرانيا

فهذا ذو الوزارتين العلامة الأديب لسان الدين بن الخطيب الذي زارها وألقَى بها عصى التسيار ونزل ضيفا على أعيانها وعلمائها ومدحهم وأثنَى على كرمهم منوها بفضلهم قال في كتابه معيار الاختيار الذي وصف فيه بعض المدن المغربية على أسلوب المقامات السجعي يسال ويجيب

قلت فآنفا قال جون الحط والاقلاع ومهبط السلاع تهوي إليه السفن شارعة وتبتدرها مسارعة تصارف برها الذهبي بالذهب الابريز وتراوح برها وتغاديه بالتبريز

تسقط الطير حيث يلتقطُ الحـ ـبُّ وتـغشَى منـازل الكـرماء

خارجها يفضل كل خارج وقانصها يجمع بين طائر ودارج ، فواكهها طيبة ، وأمطارها صيّبة ، كيلها وافر ، وسعرها عن وجه الرخاء سافر ، وميرتها لا تنقطع لها

خف ولا حافر ، لكن ماءها وهواها عديما الصحة والعرب عليها في الفتن ملحة ، والأمراض بها تعيث وتعبث والحزين بها لا يلبث ، فأنت تَرَى كيف وصف حركة مينائها ونشاط السفن بها بقوله جون الحيط والاقلاع إلى قوله وتغاديه بالتبريز

وعبر عن التصدير (بالاقلاع) وعن الايراد بالحط وكيف وصف برها أي قمحها باللون الذهبي لصفاء لونه وجودة نوعه وأنه يبادل بالذهب الابريز

وعبر عن كرم أهلها وسخائهم وكثرة الواردين عليها طالبين العيش والعمل واجدين بغيتهم المطلوبة بذلك البيت الشعري البليغ وعبر عن كثرة الأرباح التجارية ووفرة العمل بها بقوله قانصها ، يجمع بين طائر ودارج على حد قول الشاعر

تكاثرت الضباء على خداش فما يدري خداش ما يصيد

وعبر عن كثرة المواد الغذائية ورخص اسعارها بقوله

كيلها.وافر وسعرها عن وجه الرخاء سافر وعن الانتاج الفلاحي للفواكه وجودتها بقوله

فواكهها طيبة ، وميرتها لا تنقطع لها خف ولا حافر ، وان أهل البادية يقلقون راحتهم بالغارات عليهم المرة بعد الأخرى بقوله والعرب عليها في الفتن ملحة ووصف حالتهم الصحية بقوله والأمراض بها تعيث وتعبث وبين السبب في ذلك بعدم طيب الماء والهواء ولكن ماءها وهواءها عديما الصحة

فقد أفادنا لسان الدين بن الخطيب بهذه الكلمة الوجيزة والعبارة البليغة الفصيحة عن حياة سكان آنفا من جميع نواحيها

وإذا تأملنا تضمنه هذا الوصف لحياة سكان آنفا نجده مطابقا لوصف سكان الدار البيضاء قبل الاحتلال وبعده إلا الحالة الصحية قد تغيرت إلى أحسن وأجود

وقوله خارجها يفضل كل خارج كناية على أن المدينة كانت محفوفة بالأجنّة والبساتين



هذه الصورة لمدينة آنفا بعد هدمها سنة 1468 أخذها فنّان بريشته سنة 1545 ويلاحظ أن هذا الفنان الذي أخذ هذه الصورة من البحر سجّل جميع ما واجهه من بناءها ولم نر في هذه الصورة غالبا إلا اطلال المساجد والصوامع وأضرحة الأولياء، ولم يسجّل ما وقف عليه الرحالة الحسن الوزّان من دكاكين وبناءات جميلة وحقول الدّوالي وأجنة تزرع فيها فواكه مختلفة ولعلّها كانت اضمحلّت ولم يبق لها أثر والصورة تبين أنها بقية من أحجار الهدم وأطلاله حسب صورة أخرى كان سجّلها فنان آخر سنة 1515 حين رجع البرتغال إليها ووقفنا على هذه الصورة عند الطبيب الراديولوجي الدكتور سيدير بالدار البيضاء.

علاقات سكان آنفا التجارية مع الأوروبيين

يستفاد من المصادر الآتي ذكرها أن سكان آنفا لهم تجارة نشيطة مع دول اوروبا ولهم أنظمة خاصة في مخالطتهم مع التجّار في الخارج

فهذا الحسن الوزان المعروف بليون الافريقي في كتابه «وصف افريقية» عند تكلمه على مدينة آنفا قال وكان سكان المدينة متصلين بصفة مستمرة مع التجار البرتغاليين والانجليز لذلك كانت حياتهم منظمة وفيهم علماء، وفي الجزء (2) من كتاب وصف افريقية للمؤرخ مارمول صحيفة 139 من كلامه على مدينة آنفا بعدما هدمها البرتغاليون قال يحتمل أنها كانت جميلة البناء متمدنة بسبب تجار النصارى بها وكان لها مرسى صغيرة يقصدها تجار أوروبا

وهذا الوصف من هذين العالمين المؤرخين اجمالي، وسيأتي لنا تمام وصفها بعد هدمها لكننا نجد في مصادر أخرى بعض التفاصيل لهذا الاجمال

درجة آنفا بين المدن المغربية اقتصاديا وعمرانيا

لقد أتحفنا القاضي شهاب الدين أبو العباس أحمد العمري المولود في شوال سنة 700 هجرية موافق 1300م في كتابه مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ـ المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم 2562 ـ تكلم فيها على الضرائب المفروضة على المدن المغربية من قبل الدولة المرينية في عصر السلطان أبي سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني الذي تولى الحكم سنة 710 هجرية موافق 1310م فالمفروض على فاس ـ مراكش ـ وسجلماسة ـ من المثاقل الذهبية 150.000

ثم تليها مكناس مفروض عليها سنويا من المثاقل	060.000
ثم سبتــة	050.000
ثم سلا وآنفا من المثاقل الذهبية	040.000

---

(26) ص 42 من كتاب أندري آدم

ثم طنجة وتازة ومليلية	030.000
ثم آسي واغمـات	025000
ثم أزمـــور	020.000
ثم العرائـش	010.000

وبهذا التقدير نجد آنفا دون فاس ومراكش ومكناس وسجلماسة وتتساوى مع سلا وفوق أسفي وأغمات وأزمور والعرائش

وهذه الأرقام تعبر لنا على النشاط التجاري والاقتصادي والنسبة لعدد السكان

كما تخبرنا بأن آنفا كانت في مرتبة جيدة نسبيا ــ وكما تخبرنا أيضا ــ بأن سجلماسة التي صار مصيرها مصير آنفا في العدم والاضمحلال في درجة فاس ومراكش

أهم السلع التي كانت تصدر من ميناء آنفا

[27] يخبرنا (بيكولوتي الفلورانسي) مراسل مصارف فلورانسا الشهيرة في كتاب جمعه من الكتابات والوثائق قبل عام 1342م موافق 743هـ، فهو يذكر لنا القمح والشعير وجلود البقر والمعز والغنم والجمال والشمع والصوف واللوز وغيرها

وتقدم لنا وصف ابن الخطيب لهذا القمح في معيار الاختيار بقوله تهوَى إليه السفن شارعة وتبتذرها مسارعة تصارف برها الذهبي بالذهب الابريز كناية عن جودته

[28] كما يخبرنا بيكولوتي عن غلاء الضريبة التي كانت تدفع عن الصوف بأنها دينار وربع للقنطار ــ والقنطار ثلاثة وأربعون كيلو ونصف كرام (50،43) ــ

[29] كما يخبرنا أيضا في كتابه عن فوائد تاريخية ترجع إلى القرن الثالث عشر عن أربعة موانئ وهي آسفي وآنفا ويسميها نيفا وسلا وأزيلال ويخصص صفحة لآنفا

---

(27) أندري آدم صحيفة 43

(28) نفس المصدر

(29) نفس المصدر ص 45.

ونصف صفحة لسلا يذكر فيها بالخصوص الموازين المستعملة والضرائب المفروضة على السلع التجارية

وبعد قرن من هذا الكتاب وحوالي عام 1458م موافق 813هـ أي قبل هدم أنفا بنحو عشرة أعوام [30] يخبرنا شيراني الفلورانسي الأصل الذي جمع كتابه من وثائق زكوز نخبر أنه لا يعرف في المغرب إلا ميناء آنفا وفسر هذا القول «اندري آدم» بأنه يعني أن آنفا كانت المرفأ الوحيد في المغرب الذي كانت له تجارة مع الفلورانسيين وذلك في القرن الخامس عشر

[31] ويستنتج «أندري أدم» من مؤلفات «بيكلوتي» يذكر في رسائله مقارنات بين موازين القمح مستعملة في مدن مختلفة من مدن البحر الأبيض المتوسط وموازين آنفا ـ فهو يعني ـ أنه كان لآنفا علاقات قديمة مع مدن المتوسط واسم الكتاب «التجارة العملية»

[32] فهو في هذا الكتاب يعين التجارة والتجار ، وفي مؤلفه هذا يذكر أن مدينة آنفا تقرب من جنوة وبيزا وصقلية واشبيلية وبيري واسطنبول وذكر آدم أن ميناء آنفا كان يؤمه الايطاليون قال واننا لنجد آثارهم في بنائين الأول بي في القرن الرابع عشر ، والثاني في القرن الخامس عشر كأنه ينقل عن بعض المؤرخين لكنه لم يذكر اسمهم ونقل عن بيكولوتي ، ثم قال وأن أهل ماجوركا كانوا يترددون على مدينة آنفا

وقال في بداية القرن الرابع عشر ميلادية كانت هناك حركة تجارية قوية تنطلق من آنفا وآسفي وسلا وسبتة ذهابا نحو اشبيلية ونحو أسواق أهل كطالونية ثم نقل آدم أن السيد دي فورك نشر لائحة كاملة بأسماء العمال والتجار الذين كانت لهم علاقة تجاريَة مع المغرب بين عام 1311م وبين عام 1331م وعلى اثنين وثمانين (82) اسما من هذه اللائحة كان هنا أربعة وعشرون (24) اسما من التجار الذين كانت تجارتهم مع آنفا وثلاثة وثلاثون اسما مع مدن أخرى سبتة وأزيلا وسلا وأزمور والعرائش ، وذكر فيها بعض البحارة الكطلونيين والمغاربة الذين يستعملون في ابحارهم مسافة

(30) نفس المصدر
(31) نفس المصدر ص 46
(32) أندري آدم ـ صحيفة 45 صحيفة 47 .

قصيرة وهكذا في الثاني من نوفمبر 1311م تمت رحلة من آنفا إلى سبتة ويوجد مخطوط كاطلوني في هذا الموضوع

والعلاقة بين آنفا وماجوركا كانت متينة والدليل على ذلك وجود عدل موثق لأهل ماجوركا المقيمين في المغرب وذلك عام 1305م ــ 705هـ وكذلك وجود جالية مغربية في ماجوركا من انفا وذلك عام 1328م موافق 729هـ

ثم قال آدم وعلاقات البرتغاليين مع انفا كانت أكيدة وخاصة في القرن الخامس عشر وقبل حملة ألف وأربعمائة وثمانية وستين (1468م) وكذلك يوجد تقويم برتغالي في هذه الحقبة من الزمن تشهد بأن آنفا بقيت من أهم الموانئ المصدرة للقمح

وبعد زمن قصير من الاستيلاء على سبتة عام 1415م ــ 849هـ استولى بعض البرتغاليين الذين هم من سبتة على سفينة بعض المسلمين من جبل طارق في طريقها لشحن القمح من آنفا وقد أرسل ملك البرتغال مرتين عام 1450م ــ 854هـ و1455م ــ 861هـ بعثتين إلى آنفا لمساومة أسعار القمح هناك ، وحتَّى بعد أن هدمت آنفا عام 1488م ــ 894هـ وصلت إليها بعثة مؤلفة من ستة أشخاص بعثهم الملك جان الثاني

ويظهر من هذا الكلام أنه بعث لبعض عمال الشاوية

1 - ضريبة خاصة بميناء آنفا

نقل اندري آدم أن من أنظمة الجمارك بمراسي المغرب أن المستورد للسلع من الخارج لا يحق له بيعها إلا بالجملة وكان لمرسى آنفا نظام خاص وهو أن من أدَّى ضريبة خاصة تسمَّى عندهم الانطلاقة ، يحق له أن يبيع سلعته بالتقسيط في مدن أخرى

النشاط العلمي بمدينة آنفا

وكما كانت مدينة آنفا لها حركة نشيطة في التجارة والاقتصاد والفلاحة ، وكان سكانها منظمين ومتمدنين بسبب اتصالهم المباشر مع تجار أوربا ، كذلك كانت لهم حركة نشيطة علمية بمدارسها وعلمائها المتخصصين في العلوم الإسلامية وطلبتها

النجباء ، يشهد لذلك ما جاء في مؤلف علامة زمانه ابن مرزوق الكاتب الخاص للسلطان أبي الحسن المريني الذي سماه المسند الصحيح الحسن في مآثر السلطان أبي الحسن وخص فصلا من فصوله فيما بناه السلطان أبو الحسن من المدارس العلمية والمعاهد الدينية في المغرب الأقصَى والأوسط ومن جملة ذلك مدرسة آنفا مما يدل على أن آنفا اشتهرت بحركة علمية نشيطة ، وقد وصف ابن مرزوق وصفا أمينا الصنائع الغريبة والنقوش المزخرفة بالمساجد والمدارس

بعض العلماء والأعيان
الذين اتّصل بهم ابن الخطيب بآنفا

فقد ذكر في كتابه نفاضة الجراب في رحلته من مراكش إلى سلا ، ومروره على آسي وآزمور وآنفا

قال في آنفا لما استقر بها ونزل ضيفا عند علمائها وأعيانها واستدرك استدعاء ناسهم إلى كل احتفاء واحتفال أفاضل ذهبوا في الفضل كل مذهب

كالقاضي بها الشيخ الفقيه الحاج ذي القشف والسداجة أبي بكر عثمان بن صالح النصراني المراكشي نشأة قرأ بمراكش على أبي الحسن المرسي وأبي عبد الله العبدري وفي حاحة علي أبي زكرياء يحيى بن سعيد وأبي زيد بن عبد الله وأخيه أبي بكر ، وباغمات علي أبي العباس المعروف بازم رازم معناها بالبربرية الأسد وحج سنة 734 هجرية وولى القضاء بقصبة اكتامة وأزمور وآنفا ودرس بمدرستها كتاب ابن الحاجب في الفقه مولود في حدود سبعمائة وعشرة هجرية 710هـ

والعدل السري أبي العباس أحمد بن علي البسري من أهل تامسنا نبيه المسكن فعم خوان ، منجب غلمان

والعدل الفاضل أبي العباس أحمد بن أبي بكر بن موسى البرغواطي خيّر منقبض متحلي بسكينة

والشيخ الخطيب الخير أبي الحسن عَلي بن أبي حدو الأصيل البيت النابه الأبوة المحمول عليه في سبيل بغي زعموا والنجباء السرات أولاد الفقيه القاضي الرائق

الخط الجماعة للدفاتر الموسوم بالرجاحة أبو علي عمر بن محمد الزناتي كافأ الله ما بذلوا من رغبة وخطبوا من المام انتهَى كلامه في آنفا

وعلى سبيل الاستطراد نذكر ما قال ابن الخطيب في هذه الرحلة وما مدح به أعيان أزمور نظما ونثرا لما وصل إلى أزمور بعد رجوعه من آسفي

قال وعدنا من الغد إلى أزمور والعود أحمد فتلقينا بها أصناف الفضلاء مصْحرين ولوظائف البر متممين وقاهم الله معراة السنين ، وكرم وجوههم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه يوم العرض والدين

وبدر إلينا الحسن بن يحيَى بن حسون، فتَى الفتيان بالمغرب وغاية السَّرو وآية المروءة والنبل والمثل البعيد على الخصاصة ومخجل الضيف وريحانة التلطف فأربَى الخبر على الخبر والحمد لله

وكان السفر عن تشييع تتعلق بالأهداب أظفاره وفضل عم الخافقين اعتذاره وأوجب ذلك ما خاطبتهم به

احسانكم يابني يحيا بن حسون ازرى على كل منثور وموزون
قد جددت زينة الدنيا برا مكة منكم مكارمها لم ترض بالدون
أبناء يحيا لقيتم كل ما ولدوا عناية الله من موسى وهارون
فالأحسن الندب زاد الله بيتكم حسنا فأهلا بطلق الوجه ميمون
مازال يكلف بالعليا ويمحصها هوى يعود على الأموال بالهون
لازلت أسمع عنكم كل مكرمة والآن كم بين معلوم ومظنون
أثرت بكم كف أزمور داركم فأي در لصون المجد مكنون
وقاكم الله في سعد عقائله تبدي لكم غرر الأفكار والعون
وردني لبلاد شاكرا لكم فأمر ربي بين الكاف والنون

وبهذا تعلم أن ابن الخطيب مدح بعض أعيان أزمور نظما ونثرا بما لم يمدح به غيرهم

ترجمة الحسن بن يحيَى المذكور

ذكر ابن خلدون الحسن بن يحيى بن حسون الذي مدحه ابن الخطيب هو

وأولاده في العبر الجزء 7 صحيفة 717

قال الحسن بن يحيى بن حسون الصهاجي ، كان عاملا على الثغر بأزمور وله سلف في خدمة بني مرين منذ أول دولتهم ، وكان أبوه يحيا بدولة السلطان أبي الحسن عاملا بالجباية بأزمور وغيرها وهلك في خدمته بتونس أيام مقام السلطان بها. وترك ولده يستعملون في مثل ذلك ونزع الحسن هذا منهم إلى الجندية فلبس شارتها وتصرف في الولايات المناسبة لها واتصل بخدمة السلطان أبي العباس بأول بيعته بطنجة «وأبو العباس هذا هو أحد أبناء أبي سالم ابن السلطان أبي الحسن الذي كان سلطانا على فاس» وابن عمه عبد الرحمان بن أبي يفلوسن على مراكش عند تقسيمهما الثاني لمملكة المغرب» وسيأتي لنا الكلام على هذا التقسيم

قال ابن خلدون في الحسن المذكور وكان يومئذ عاملا بالقصر الكبير ودخل في دعوته وصار في جملته وشهد معه الفتح فاستعمله في خطط السيف حتّى ولاه أزمور هذه الولاية وسيأتي لنا الكلام عليه في محل آخر في فصل انقسام المغرب إلى مملكتين ، رجع إلى ما كنا فيه من ذكر علماء آنفا

ترجمة يحيَى بن ابراهيم البرغواطي الصوفي

ذكره ابن الخطيب في كتابه الاحاطة في أخبار غرناطة ووصفه بقوله

من بيت عال يعرفون ببني الترجمان ، أولى شهرة وشدة على الناس وضغط ومكان الحظوة بباب سلطانهم ديدن الجبات

نزل عنهم وانقطع عنهم إلى لقاء الصالحين وصحبه الفقراء المتجردين وقدم على الأندلس عابدا كثير العمل على حداثة سنه ونزل برباط السودان من خارج مالقا واشتهر وانثال عليه الناس حال هذا الرجل في الكفاءة وطلاقة اللسان مدل على أغراض الصوفية حافظ لكل غريبة من غرائب طريقتهم متكلم في مشاكل أقوالهم قائم على كثير من أخبارهم يستظهر حفظ جزأي أبي اسماعيل الهروي المسمى بمنازل السائرين والقصيدة الكبرَى لابن الفارض عديم النظير في ذلك كله مليح الملبس عزيز النفس حسن الحديث عذب التجاوز فيه على سنن السذاجة والسلامة والرجولة قرعت به أبواب الملوك بالعدوتين ومع ذلك فمقبوض منه محمول عليه لما جبل عليه

من رفض الاصطناع وترك التصنع وطرح التغافل وولوعه بالنقد والمخالفة في كل ما يطرق سمعه مرشحا ذلك بالجدل المبرم ذاهبا في ذلك أقصاه كثير الفلتاة نابته بسبب هذه البلية محن أفلت مها بجريعة الذقن عامدا للرباط المنسوب للجام على رسم أشياخه عديم التابع مهجور الفناء

مشيخته

زعم أنه حج ولقي جملة مهم الشيخ أبو الطاهر بن صفوان المالقي ولقياه إياه وصحبته معروفة في الأندلس وغير ذلك مما يدعيه

توالفه قيد كثيرا من الأجزاء مها تنبيه الدنيا إلى الذاكر ، جزء نبيل غريب المأخذ ، ومها فيا أشكل من كلام محمد بن أبي الشيخ وصنف كتابا كثير الحجج والاعتقاد جمع فيه كثيرا من الأقوال والحكايات رأيت عليه بخط شيخنا أبي عبد الله المغربي ما يدل على استحسانه

وفاته في شهر المحرم سنة 768 هجرية موافق سنة 1366 ميلادية بحال اعتقال ومحنة أداه إلى ذلك تسور حمى السياسة والاتجاه في ميدان القحة تجاوز الله عنا وعنه

انتهَى كلام ابن الخطيب ، ولم يبين مكان وفاته ، والذي يظهر من سياقه أنه في الأندلس لا في المغرب

تعليق

يظهر من هذه الصفات العالية التي وصف بها ابن الخطيب هذا العالم الصوفي من أهل آنفا من عزة النفس وقلة الاطراء على سنن السذاجة والرجولة ورفض الاصطناع وطلاقة اللسان

هذه الصفات هي التي كونت له أعداء وألبتهم عليه ، وما وصفه ابن الخطيب بِهِ من تسور حمَى السياسة والاتجاه في ميدان القحة يسميه بعض أهل عصرنا بحرية

القول والشجاعة الأدبية وهي أن يصرح الانسان بأفكار تسيء الرؤساء والأمراء وتشير عليه غضب العامة وهم قليل

والتاريخ يحدثنا عن بعضهم منهم أبو ذر الغفاري الصحابي الجليل الذي قال فيه عليه الصلاة والسلام انه يعيش وحده ويموت وحده وكان كما قال عليه الصلاة والسلام . عاش وحده ومات وحده ، ومنهم العلامة الشهير شيخ الإسلام ابن تيمية فقد أوذي وسجن وتوفي بالسجن ، ومنهم أبو حنيفة النعمان فقد ذكره الألوسي أنه أوذي وسجن وتوفي بالسجن وغيرهم كثير

واعلم كتابا للفقيه كنون سماه التسلية والسلوان فيمن ابتلى بالزور والبهتان جمع فيه من امتحن وأوذي من العلماء والصالحين بتهمة الزور والبهتان ولا نجد لهذا العالم الصوفي مثيلا في محنته إلا ذا النون المصري المولود سنة 155 هجرية. وتوفي بالقعدة عام 245 هجرية الذي كان من أصحاب الرياضيات ووليا من أصحاب الأذواق والمشاهدات وكان له رأي في أهل الحديث والفقه في وقته ، فهو يرَى أن الحديث من أركان الدين وأنه لولا نقص دخل على أهل الحديث والفقه لكانوا أفضل الناس في زمانهم. فهم عنده قد بدلوا علومهم لأهل الدنيا يستجلبون به دنياهم فحجبوهم واستكبروا عليهم وافتتنوا بالدنيا بحرصهم عليها فخانوا الله ورسوله وصار اثم كل من تبعهم في عنقهم وجعلوا العلم فخا للدنيا وسلما يكسبونها به بعد أن كان سراجا للدين يستضاء به وأعجب ما كان يعجب منه ذو النون من هؤلاء العلماء خضوعهم للمخلوقين دون الخالق وهم يدعون أنهم أعلى درجة من جميع الخلائق وأكبر الظن أن ما رآه ذو النون وما كان يجهر به على أهل الحديث والفقه وما نسبه إليهم سببا من الأسباب التي أحنقت هذا الفريق من العلماء عليه فجعلوا يشنعون عليه ويسعون به لدَى الخليفة من جهة ولذوي الرأي العام الذي بمصر من جهة أخرى

فإذا هو يمتحن ويؤذي ويتهم في عقيدته ويقولون عنه أنه زنديق وقد قص عنه أحد أصحابه الآخذين عنه هو اسحاق بن ابراهيم السرخصي ، أنه سمع ذا النون وفي يده الغل وفي رجله القيد وهو يساق إلى المطبق والناس يبكون حوله وهو يقول هذا من مواهب الله وكل أفعاله عذب حسن طيب ثم أنشد من بحر الخفيف

لك من قلبي المكان المصون كل لوم علي فيك يهون

لك عـزم أن أكـون قـتـيلا فيك والصبر عنك ما لا يكون

وقد ذكر السيوطي أن أهل مصر قد انكروا على ذي النون ، وقالوا أنه أحدث علما لم يتكلم فيه الصحابة وسعوا به إلى الخليفة المتوكل ورموه عنده بالزندقة

ويشنعون عليه ويرجفون به ويغرون السلطان باضطهاده وايذاعه بل بقتله

وبسبب ذلك استدعاه الخليفة المتوكل من مصر إلى بغداد فحمل إليه في جماعة مغلولا مقيدا تمهيدا لقتله ولكنه لم يكد يمثل بين يدي الخليفة حتَّى تكلم واعظا ولم يكد يتكلم ويعظ حتَّى أعجب الخليفة ، فإذا هو يبكي ويطلقه صحبة رفقته ويرده مكرما إلى مصر ويقول ان كان هؤلاء زنادقة فما على وجه الأرض مسلم على حد رواية المناوي في الكواكب الذرية أو قال إذا ذكر أهل الورع فحيهل بذي النون على رواية ابن خلكان في وفيات الأعيان «انتهَى ملخصا من دائرة المعارف الإسلامية بتصرف» الجزء 9 صحيفة 114 وصحيفة 119 ــ 120

«ومن علماء آنفا الذي كان استقضي بها عمران بن موسى بن ميمون»

في الجزء الأول من كتاب الذيل والتكميلة لكتاب الموصول والصلة لابن القاضي محمد بن محمد المراكشي

قال من علماء آنفا عمران بن موسى بن ميمون في كتاب صلة الصلة لابن الزبير الغرناطي طبع الرباط صحيفة 166 ما نصه عمران بن موسى بن ميمون الهواري أصله من أهل سلا روَى عن أبي عبيد الله بن عبد الله بن الفخار المالقي وأبي الحسن بن محمد بن جابر بن ذي النون وأبي القاسم بن سنجون أخذ عن هذين بغرناطة أيام كونه بها وكان مفسرا حافظا أديبا نحويا وأقرئ العربية بغرناطة وكان يعرف بالسلاوي وكان قد أخذ العربية عن أبي الحسن ابن خروف روي عنه أبو العباس بن فرتون لقيه في سبتة في ربيع الثاني سنة 636 هجرية وذكره أبو عبد الله بن الحسن بن الخطيب إلى أن قال ذاكرا للنوازل ممتع المجالسة ، ظريف النوادر متقدما في النحو ذا حظ من قرْض الشعر تعرض له أحيانا غفلة ، فأقرئ ببلده وبمالقة ، ومراكش فاستقضي بها وخطب بآنفا واستقضي بها وتوفي بسلا بعد

رجوعه من الأندلس في حدود 640هـ ووقعت مخالفة بين ابن الزبير وعبد المالك في وفاة المترجم وزاد ابن عبد المالك أنه ولي القضاء ببلده وخطب بآنفا وولي القضاء بها انتهَى كلام ابن القاضي

ومن علماء آنفا المدرسين بها
علي بن ابراهيم بن علي الانصاري

قال ابن الخطيب في كتاب الإحاطة علي بن ابراهيم بن علي الأنصاري المالقي ، يكنّى أبا الخير صاحبنا حفظه الله آية الله في الحفظ وثقوب الذهن والنجابة في الفنون ، وفصاحة الالقاء خريج طبعه ، وتلميذ نفسه ومبرز اجتهاده ، امام في العربية لا يشق غباره حفظا وبحثا وتوجيها واطلاعا وعثورا على سقطات الاعلام ذاكر للبلاغة في الأدب قائم على التفسير مقصود للفتيا مشارك في الفنون ينظم وينثر فلا يعدو الاجادة والسداد سليم الصدر أبي النفس كثير المشاركة مجدد الصحبة بعيد عن التزمت رحل عن بلده مالقة بعد التبريز في العدالة والشهرة في الطب فاستقر بالمغرب فأقرئ بمدينة آنفا منوها به ثم بمدينة سلا فاستوطن بها رئيس المدرسة يفسر كتاب الله بين العشائين ، كثير الفنون محذوف الفضول بالغا أقصَى مبالغ الفصاحة مسمعا عن المحال النائية وحضَر المناظرة بين يدي السلطان أبي الحسن المريني ، فاستأثر بقسط من رأيه وأعجب بقوة جأشه وأصالة حفظه ، قال وهو بحالته الموصوفة قاضيا بشرق مالقة ، وأستاذا متكلما ، مفخرة من مفاخر قطره وشعره عجيب وادراكه بديع

ومن علماء آنفا ما جاء في كتاب
مفاخر البربر ذكر بعض العلماء من آنفا

منهم الشيخ الفقيه العالم القاضي العدل أبو عبد الله محمد بن اسحاق الفزازي تولى القضاء بمدينة آنفا وتوفي بعد عيد الفطر وقبره مشهور من الباب القبلي من الجامع ولم يذكر تاريخ الوفاة .

ومن علماء آنفا أيضا ، الفقيه العالم القاضي الأوحد الشهير بالورع المعروف عند جميع الناس بالعدل والفضل قاضي الجماعة أبو زكرياء يحيى بن حيون نزيل آنفا وتوفي بمراكش

ومن علماء آنفا الشيخ الفقيه البارع الأديب المتفنن أبو اسحاق ابراهيم بن مناد البرغواطي نزيل آنفا وتوفي بسبتة في عشرة السبعين وسبمائة هجرية

ومن علماء آنفا أبو القاسم
عبد الله بن يوسف بن رضوان

ترجمته في جذوة الاقتباس ، وذكر أنه توفي بآنفا ودفن بمقبرة الحاج صالح سنة 733 هجرية موافق 1332م

قال الناصري في الاستقصاء أبو القاسم عبد الله بن يوسف بن رضوان النجاري من كتاب السلطان أبي سالم ابن السلطان أبي الحسن صاحب كتاب السياسة وغيره

ومما نظمه هذا الفاضل عن اذن السلطان أبي سالم يكتب في طرة قبة رياض الغزلان قوله

هـذا محل المنَى بـالأمـن مغـمـور
من حـلـه فـهـو بـالأمـان مجـبور
مأوَى النعيم به ما شئت من ترف
تَهوَى محاسـنـه الولـدان والحور
ويـطلـع الـروض منه مصنعا عجبا
يضـاحك النور من لألائه النـور
ويسـطع الزهـر من أرجـائه أرجا
يـنـافـح الـنـد نشر مـنـه منشور

(33) الاستقصاء ــ الجزء 4 صحيفة 39 ــ 40

مغني السرور سقاه الله ما حملت
غـر الـغمام وحـلـتـه الأزاهير
انظر إلى الروض تنظر كل معجبة
مما ارتضـاه لـرأي الـعين تحبير
مر النسيم به يبغي القرا فقرا
دراهـم الـنور تـبـديـد وتـنـثير
وهامت الشمس في حسن الظلال به
فـفـرقت فوقـه مهـا دنـانير
كـأنما الـطير في أفـنائها صدحت
بشـكـر مالكـها والفضل مشكور
والـدوح نـاعمة تهتز من طرب
همسـا وصوت غناء الطير مجهور
والنهـر شق بساط الأرض تحسبه
سـيـفـا ولكنه في السلم مشهور
ينساب لـلـجـنة الخضراء أزرقه
كـالأيم جد انسياب وهو مذعور
هـذي مصانع مولانا التي جمعت
شمل السرور وأمر السعد مأمور
وهـذه الـقبة الغراء ما نظرت
لشـكـلـهـا الـعين الأعـز تـنـظير
ولا يصورها في الفهم ذو فكر
الا ومـنـه لـكل الحسن تصوير
ولا يرام بحصر وصف ما جمعت
من المحاسن الا صـد تـقصير
فيهـا المقـاصير تحميهـا مـهـابتـه
لله مـا جـمـعت تـلك المقـاصير
كـأنها الأفق تـبـدو الـنيرات بـه
ويـسـتـقيم بها في الـسـعد تسيير

ويـنشـأ المزن في أرجـائـه ولـه
من عـنبر الشـحر انشاء وتسـخير
ويهـمي القـطر منه وهو منسكب
مـاء مـن الـورد يـذكو منه تعطير
وتخفـق الـريـح مـنـه وهي نـاسمة
مـاء مـن الـورد يـذكو منه تعطير
وتخفـق الـريـح مـنـه وهي نـاسمة
مما أهب بـــه مسك وكـــافور
ويشرق الصبح منه وهو من غرر
غــر تلألأ مهن الأســاريـــر
وتطلع الشمس فيه من سنا ملك
تـبسم الـدهـر مـنـه وهـو مسرور

ومن العلماء الذين كانت تفتخر بهم مدينة آنفا وتتشرف به الامام الجليل في علم النحو والآداب وأحد المتبرزين في علوم اللسان الامام بن عصفور ننقل ترجمته من كتاب الديل والتكميلة

هو علي بن أبي الحسين بن موسى بن محمد بن علي بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عمر بن عبد الله بن المنصور بن عصفور الحضرمي الاشبيلي أخذ العربية والآداب عن أبي الحسن بن الدباج ، وأبي علي الشلوبين ، واختص به كثيرا روَى عنه الحسن بن عبد الرحمان بن عذرة وكان ماهرا في العربية ريانا من الآداب حسن التصرف من أبرع من تخرج على الشلوبين وأحسهم تصنيفا في علوم اللسان وشرح كتاب سبويه وجمل الزجاجي ومصنفه في التصريف جليل نافع والمعرب في النحو ، شاهد بذكره في العربية واشرافه على مشهورها وشادها وقد تحول وسكن ثغر آنفا مدة وأزمور أخرى واستوطن في آخر عمره تونس ومولده باشبيلية عام 597 هجرية وتوفي بدار سكناه بقصبة تونس بعد ظهر يوم السبت في 6 ذي القعدة سنة 659 هجرية .

ترجمة لسان الدين بن الخطيب
الغرناطي ذو الوزارتين

نظرا لكون لسان الدين بن الخطيب زار مدينة آنفا واستقر بها واتصل بعلماءها وأعيانها ، وترجم لهم في كتابه نفاضة الجراب واستقر عندهم بكل احتفاء واحتفال وهو الذي عرفنا آنفا من الناحية الاقتصادية والعلمية ناسب أن نذكره في تراجم علماء آنفا ، ولو على سبيل الاختصار ، هذا العالم الجليل ترجم له أحمد المقري في الجزء الثالث من نفح الطيب ناقلا ترجمته مما ترجم به هو نفسه في آخر جزء من كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة وترجم له الأمير العلامة اسماعيل بن يوسف بن السلطان بن محمد بن الأحمر في كتابه المسمى بفرائض الجمان فيمن نظمني وإياه الزمان وترجم له نقيب الاشراف العلويين بمكناس ابن زيدان في الجزء الأول من كتابه اتحاف أعلام الناس ونقتصر على هذه الترجمة

قال فيه أبو عبد الله بن الخطيب هو الامام القدوة الهمام العالم الأديب الكامل الفقيه الاكتب المتحلي بأجمل الشمائل الحافظ المتقن المدرس المتفنن ذو الوزارتين لسان الدنيا والدين وفخر الإسلام بالأندلس في عصره أبو عبد الله محمد ابن الفقيه الرئيس عبد الله ابن الفقيه الكاتب القائد سعيد بن عبد الله ابن الفقيه الصالح ولي الله سعيد بن علي بن أحمد السلماني القرشي القرطبي الأصل ثم الطليطلي ثم اللوشي ثم الغرناطي المالكي المذهب يعرف بيتهم قديما ببني الوزير وحديثا بلوشة ببني الخطيب ولد في الخامس والعشرين (25) من شهر رجب سنة ثلاثة عشر وسبعمائة (713هـ/ 1313م) وقرأ القرآن أولا على أبي عبد الله بن عبد المولى العواد ، ثم على أستاذ الجماعة أبي الحسن القيجاطي وقرأ العربية والفقه والتفسير على العلامة أبي عبد الله البيري وقرأ على الخطيب ابن جزي وعلى قاضي الجماعة أبي عبد الله بن بكر وتأدب بالرئيس ابن الجياب

وأخذ الطب والتعاليم وصناعة التعديل عن أبي زكرياء بن هذيل وقرأ على العلامة أبي القاسم محمد بن أحمد السبتي قاضي الجماعة بغرناطة المتوفي سنة إحدى وستين وسبعمائة وعلى العلامة شمس الدين أبي عبد الله محمد بن جابر المتوفي سنة سبعمائة وتسع وسبعين وعلى العلامة محمد بن محمد بن أحمد القرشي المقري قاضي

القضاة بفاس وغيرهم من العلماء الأعلام وأخذ عنه أفاضل الفطاحل من قادة العلم كابن المهي. والوزير ابن زمرك وأبي عبد الله الشريشي وأحمد بن سليمان بن فركون وأبي محمد بن عطية وغيرهم وترجمته أفردت بالتأليف توفي شهيدا بفاس سنة ست وسبعين وسبعمائة (776هـ) موافق 1376م ، ودفن خارج باب الشريعة المعروف اليوم بباب محروق وضريحه الآن عليه حوش صغير بمقابلة من روضة سيدي عبد النور يفصل بينهما الطريق الممرور عليها لظهر الخميس

ونختم هذه الترجمة بكلمة وجيزة لابن خلدون على ابن الخطيب قائلا وكان الوزير ابن الخطيب آية من آيات الله في النظم والنثر والمعارف والآداب، لا يساجل مداه ، ولا يهتدي فيها بمثل هداه ، ثم شرع يذكر بعض منتخبات رسائله فضربنا عنها صفحا تجنبا للتطويل ، ومادمنا نتكلم على ابن الخطيب بآنفا يجدر بنا أن نلم بمروره بدار أحد عظمائها الذين وصفه بأنه كان قارون قومه وعزيز صنفه ، وهي أطلال تبكي مالكها عبّو من بني الترجمان حيث يقول

قد مررنا بدار عبو الوالي وهي ثكلى تشكو صروف الليالي
اقصدت ربها الحوادث لما رشقته بصائبات نبالي
كان من قبل واليا مستطيلا فهو اليوم ما له من والي

وبنو الترجمان كانوا من عيون أعيان آنفا ، وقد سبق لنا نقل ترجمة أحد أفرادها وهو يحيى بن ابراهيم البرغواطي الصوفي ووصفه ابن الخطيب بأنه من بيت عال أولي شهرة وضغط ومكان الحظوة بباب سلطانهم ، ديدن الجباة ، والذي يظهر أن هذه العائلة من بقية برغواطة

انقسام المغرب إلى مملكتين، سلطان فاس وسلطان مراكش واعتداء سلطان مراكش على مدينة آنفا

هذا الحادث مسبوق بسلسلة حوادث تاريخية اضطررنا إلى ذكرها للتوصل إلى المقصود . كان لسان الدين بن الخطيب وزيرا للغني بالله محمد الأحمر يدعى المخلوع

ملك غرناطة وكاتبه الخاص وبينهما مصافاة ومودة إلى أن تكهرب الجو بينهما لأسباب داخلية ضربنا عنها صفحا

فالتجأ إلى عبد العزيز بن أبي الحسن سلطان المغرب ، فتلقاه بالمبرة والاحترام وما يناسب قدره من الاحتفاء والاحتفال ، وبينما هو عنده مكرما معظما إذ وشي به عند ابن الأحمر بأنه يحرض عبد العزيز بن أبي الحسن على تملك الأندلس وأنه اتفق معه على ذلك عند مرجعهما من تلمسان

واستفحلت العداوة بينهما ، فبعث ابن الأحمر لعبد العزيز بهدية لم يسمع بمثلها انتقَى فيها من متاع الأندلس وماعونها وبغالها الفارهة ومعلوج السبي وجواره وأرسل معها كتابا ضمنه ما اتهموا به ابن الخطيب من صدور كلمات منه تدينه بالزندقة والكفر ، وطلب منه فيها اسلام وزيره ابن الخطيب ، فأبَى ذلك عبد العزيز وأنكره ، وقال للرسل هلا انتقمتم منه وهو عندكم أما وهو في جواري فلا يتوصل إليه أحد بمكروه وبعد أيام قلائل هلك السلطان عبد العزيز وترك ولده السعيد طفلا صغيرا واستبد وزيره أبو بكر بن الغازي بالأمر فتحيز إليه ابن الخطيب فبعث ابن الأحمر إلى الوزير ابن الغازي بهدية أخرى وخاطبه فيها بمثل ما خاطب به السلطان عبد العزيز ، فأنف الوزير واستنكف عن ذلك وأقبح الرد وكان فيما قام به الوزير ابن الغازي ، أن نصب ولد عبد العزيز السعيد المذكور للملك وهو صبي فكفله وصار يحكم باسمه فلما رجع رسل ابن الأحمر بالخيبة التجأ إلى المكر والخديعة فأطلق الأمير عبد الرحمان بن علي ابن أخ أبي الحسن المريني يدعَى ابن أبي يفلوسن وعقد معه عهدا على أن يعينه في طلب ملك المغرب وأركبه الأسطول وقذف به إلى ساحل بطيوة فنزل بها في ذي القعدة سنة 774 هجرية موافق 1372م ، بمرسى مازيغن ومعه وزيره مسعود بن ماساي ، واجتمعت قبائل بطيوة عليه وبايعوه على القيام بدعوته والدفاع عنه فاتصل الخبر بالوزير أبي بكر بن الغازي المستبد بملك المغرب باسم ولد عبد العزيز والذي هو حامي ابن الخطيب فعقد لابن عمه محمد بن عثمان على مدينة سبتة وبعثه لسد ثغورها لما خشي عليها من بني الأحمر ونهض من فاس بالعساكر والآلات ونازل عبد الرحمان ببطيوة فامتنع عليه وقاتله أياما ثم رجع إلى تازة ثم إلى فاس ودخل عبد الرحمان إلى تازة فاستولَى عليها ودخل الوزير إلى فاس وقعد بمجلس الفصل وهو مجمع العودة إلى تازة لمقابلة عدوه عبد الرحمان .

وفي أثناء ذلك اتصل ابن الأحمر بمحمد بن عثمان الذي أرسله الوزير ابن بكر ابن الغازي واتصلت يده به وأمره أن يقيم للمسلمين سلطانا مستبدا يدافع عنهم لا يتركهم فوضى ويقطع بيعة الصبي بن عبد العزيز التي لم تعقد بيعته شرعا واختص بالأمر أبا العباس أحمد ابن السلطان أبي سالم بن أبي الحسن وفاء بحقوق أبيه الذي كان ملتجئا إليه بفاس وهو مخلوع

واشترط عليه أن ينزل على جبل طارق وأن يبعث إليه الأمراء المعتقلين بطنجة ليكونوا في إيالته وتحت حياطته ، وأن يبعث إليه بابن الخطيب

وشاءت الأقدار بعد حوادث يطول شرحها أن بويع أبو العباس أحمد المذكور بسبتة وطنجة ، وابن أبي يفلوسن سلطانا بتازة واتفق الأميران أحمد وابن عمه عبد الرحمان بن أبي يفلوسن على تقسيم مملكة المغرب ، يكون عبد الرحمان سلطانا على مراكش وأبو العباس أحمد على فاس والحد بين المملكتين ثغر أزمور الذي كان في نصيب مملكة فاس ، واستقل السلطان أبو العباس بن أبي سالم بملك فاس وأعمالها

وعبد الرحمان بن أبي يفلوسن ارتحل إلى مراكش واستولى عليها وذلك يوم الأحد السادس من المحرم سنة 776 هجرية موافق 1376م وبسبب ذلك استحكمت المودة بين أبي العباس وابن الأحمر وجعل له التفويض في نقضه وابرامه فصار ابن الأحمر بذلك محكما في الدولة المرينية .وأصبح المغرب كأنه من بعض أعمال الأندلس ثم انتقض الصلح بين سلطان فاس وسلطان مراكش والسبب في ذلك أنه كان للأمير عبد الرحمان بمراكش أخوان من ولد محمد بن يعقوب بن حسان الصبيحي وهما جرثومتا بغي وفساد ، فعدا عليٌّ كبيرهما عليَّ ابن عمه علي بن يعقوب بن علي بن حسان ، فقتله

فاستهدَى موسى أخو المقتول على السلطان وطلب منه الثأر فأعداه وأذن له أن ينتقم منه بأخيه فيقتله. فجزع لذلك أحمد أخ علي القاتل وهم بقتل موسى فاستجار موسى بيعقوب بن موسى ابن سيّد الناس رئيس بني ونكاس وصهر الأمير عبد الرحمان وأقام أياما في جواره ثم هرب إلى أزمور فلفحت نار الفتنة فنهض الأمير عبد الرحمان إلى أزمور وكان العامل عليها من قبل السلطان أبي العباس حسان بن علي الصبيحي فلم يملك الدفاع عنه فملك البلد وقتله فبلغ الخبر إلى سلطان فاس فنهض في عساكره وانتهَى بالوصول إلى سلا . ورجع الأمير عبد

الرحمان إلى مراكش وصار السلطان أبو العباس في اتباعه حتّى قرب من مراكش والقتال يتردد بينهما

ثم سعي بين السلطانين بالصلح ، فاصطلحا على حدود العمالة الأولى ورجع سلطان فاس إلى بلاده ، وبعث الحسن بن يحيا بن حسون الصهاجي عاملا على الثغر بأزمور

وبعد برهة من الزمن طلب عبد الرحمان ملك مراكش من سلطان فاس أن يدخل عمالة صهاجة ودكالة في عمالته فانقض الصلح ثانيا وكتب السلطان إلى الحسن بن يحيى عامله على أزمور أن يكفيه هذه المؤونة وينوب عنه ويسد المذاهب دونه ، وكان الحسن بن يحيى مُضغنا على الدولة وحاقدا عليها

فلما وصل إلى عبد الرحمان داخله في الخلاف وأن يملكه تلك العمالة فدخل عبد الرحمان وملك أزمور ودخل الحسن بن يحيى في طاعته ولم يقف عبد الرحمان بن أبي يفلوسن عند هذا الحد بل تطاول إلى التوسع بامتلاك آنفا

غزو سلطان مراكش مدينة آنفا

فبعث مولاه منصورا في عساكره واستولى عليها وصادر أعيانها وقاضيها وواليها فوصل الخبر إلى سلطان فاس ، فنهض في عساكره وانتهَى بها إلى سلا ففر منصور من آنفا وتركها ولحق بمولاه عبد الرحمان وهو بأزمور ففر إلى مراكش والسلطان أبو العباس في أثره حتّى انتهَى إلى قنطرة الوادي وأقام بها خمسة أشهر فاتصل الخبر بالسلطان ابن الأحمر بالأندلس فبعث خالصته الوزير أبي القاسم الروندي يبرم الصلح بينهما على أن يستوهن سلطان فاس أولاد الأمير عبد الرحمان عنده ، فتم الصلح بينهما على ذلك ، وبسبب هذه الحوادث تمكن ابن الأحمر من القبض على عدوه ابن الخطيب وامتحنه وسجنه وقتله رحمه الله وأسكنه في فسيح جنته نقلنا مجمل هذا الفصل من الجزء 7 من العبر صحيفة 716 إلى 719

والحسن بن يحيى المذكور في قصتنا هذه تقدم لنا الكلام عليه في رحلة ابن الخطيب وزيارته لأزمور وأنه مدحه هو وأولاده نظما ونثرا وتقدم لنا ترجمة ابن خلدون للحسن هذا وأنه اتصل بأبي العباس أحمد لأول بيعته بطنجة ، وأنه كان

عاملا بالقصر الكبير فدخل في دعوته وصار في جملته وشهد معه الفتح واستعمله في خطط السيف وولاه أزمور هذه الولاية ، راجع العبر الجزء السابع منه الصحيفة 717 ـ فكيف ساغ له والحالة هذه أن يتفق مع عبد الرحمان بن أبي يفلوسن عدو سلطانه ويسلم له عمالة أزمور ، وابن خلدون لم يبين لنا السبب وانما قال كان مضغنا على الدولة ولم يبين لنا وجه ضغينته

وحيث كان في القصة توجه عبد الرحمان للاستيلاء على أزمور ووجوده عاملا عليها حسان بن علي الصبيحي وأنه لم يملك الدفاع فقتله عبد الرحمان ، يتبين من هذا أن الحسن بن يحيى كان عاملا على أزمور من قبل أبي العباس فعزله بغير سبب وولى مكانه حسان بن علي الصبيحي وهذا هو تفسير ضغينة الحسن على الدولة والله أعلم

ومن ديول قصة انقسام المغرب إلى سلطان فاس وسلطان مراكش يجدر بنا أن نلم بخبر مصير الظلمة عبد الرحمان ومولاه منصور وعاقبتهم المحتومة

فعندما رجع السلطان أبو العباس من حرب عبد الرحمان وانبرام الصلح بينهما عندما وصل ليلا في طريقه لفاس إذ ورد عليه جماعة من خدام الأمير عبد الرحمان من بني مرين وغيرهم ، كان منهم أحمد بن محمد بن يعقوب الصبيحي ولقي في طريقه مولى لعبد الرحمان فجاء به مكرها إلى السلطان أبي العباس وكان من النازعين إليه يعقوب ابن سيّد الناس كبير بني ونكاسن. وأبو بكر بن رحو بن الحسن بن علي بن أبي الطلاق ، ومحمد بن مسعود الادريسي وزيان بن علي بن عمر الوطاسي وغيرهم من المشاهير ، وقدموا على السلطان بسلا فتقبلهم وأحسن كرامتهم

ولما رجع السلطان إلى فاس وبدا من الخلل في دولة الأمير عبد الرحمان وانتقاض الناس عليه ، نزع يده من التعويل على العساكر وشرع في تحصين **البلاد وضرب الأسوار على القصبة وحفر الخنادق**

مهلك عبد الرحمان وولديه ومولاه منصور وصفاء الجو لأبي العباس أحمد

[34]وبسبب هذه الحوادث انتقض شيخ هسكورة وكبير المصامدة وهو علي بن

(34) العبر الجزء السابع صحيفة 724 ـ 725 ـ الاستقصاء الجزء 4 صحيفة 65

زكرياء فتلافى أمره مع صاحب فاس ودخل في دعوته فبعث إليه الأمير عبد الرحمان مولاه منصورا يستألفه فعلم بذلك علي بن زكرياء فبعث في طريقه من حاشيته من قتله

ثم بعث برأسه إلى فاس فنهض السلطان في عساكره إلى مراكش واعتصم الأمير عبد الرحمان بالقصبة ، وقد كان أفردها على المدينة بالأسوار ، وخندق عليها ، فلك السلطان المدينة ورتب على القصبة المقاتلة من كل جهة ونصب الآلة وأدار عليها من جهة المدينة حائطا وأقام يحاصرها سبعة أشهر يغاديها بالقتال ويراوحها ، وكان أحمد بن محمد الصبيحي من الذين بوأوا المقاعد لقتالها فهم بالانتقاض وحدثته نفسه بغدر السلطان والتوثب به وسعَى بذلك إلى السلطان فقبض عليه وسجنه وبعث السلطان بالنفير إلى أعماله ، فتوافت الأمداد من كل ناحية ، وبعث صاحب الأندلس إليه مددا من العسكر فلما اشتد الحصار بالأمير عبد الرحمان ونفذت الأقوات وأيقن أصحابه بالهلاك وأهمتهم أنفسهم ، هرب عنه وزيره نحو من بقية بيت محمد بن عمر ، شيخ الهساكرة والمصامدة لعهد السلطان أبي الحسن وابنه

فلما لحق نحو هذا بالسلطان ، وعلم أنه انما جاء مضطرا قبض عليه وحبسه ، ثم انفض الناس عن الأمير عبد الرحمان ونزلوا من الأسوار ناجين إلى السلطان وأصبح في قبضته منفردا ، وقد بات ليلته يراود ولديه على الاستماتة وهما أبو عامر وسليم وركب السلطان من الغد في التعبئة ، وجاء إلى القصبة فاقتحمها بمقدمته ولقيهم الأمير عبد الرحمان وولداه باسارك الميدان الذي بين أبواب دورهم فجالوا معهم جولة قتل فيها هو وولداه ، تولى قتلهم علي بن ادريس التنالفتي ، وزيان بن عمر الوطاسي قال ابن خلدون وطالما كان يمتري ثدي نعمتهم ويجر ذيله خيلاء في جاههم فذهب مثلا في كفران النعمة وسوء الجزاء والله لا يظلم مثقال ذرة وكان ذلك خاتم جمادَى الثانية سنة 784هـ. ثم رحل السلطان منقلبا إلى فاس وقد استولَى على سائر أعمال المغرب وظفر بعدوه ودفع المنازعين عن ملكه والله أعلم من تمام كلام ابن خلدون

وانما سقنا إلى القارئ هذا تبيانا لعاقبة الظالمين المحتومة ونتيجة الاطماع التوسعية مصداقا لقوله تعالى : «وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ» وقوله عليه

السلام (ان الله يمهل على الظالم حتَّى يأخذه فإذا أخذه لم يفلته) حديث شريف

من تمام ما نقلناه عن العبر والاستقصاء سابقا

فاتصل هذا التقسيم بالمغرب واستمر زهاء عشرة أعوام وكان الحد الفاصل بين الدولتين ثغر أزمور من سنة 774هـ موافق 1372م إلى منتصف سنة 784 هجرية موافق 1384م حتَّى صار المغرب بسبب الأطماع التوسعية والعدوان والظلم كأنه دولتان

مساهمة مدينة آنفا بما لها من الأسطول في فك الحصار على المسلمين بالجزيرة الخضراء من دولة اسبانيا

في سنة 677هـ موافق 1278م حاصر الاسبنيول مدينة الجزيرة الخضراء برا وبحرا وأحاط بهم العدو وضيق عليهم الحصار وشد عليهم القتال وقلت عندهم الأقوات وعميت عليهم الأخبار إلا ما كان يأتيهم به الحمام من جبل طارق وفني أكثرهم بالقتل والجوع وسهر الليل على الأسوار حتَّى أشرف بقيهم على الهلاك وأيسوا من الحياة ، وجمعوا صبيانهم وختنوهم خوفا عليهم من معرة الكفر وكانوا قد أرسلوا إلى السلطان يعقوب بن عبد الحق يستصرخونه ويستنصرون به فوجده الحال مهمكا في مشاكله

فنهض من مراكش في ثالث شوال من نفس السنة 677هـ قاصدا طنجة فوصل إلى قرية مكول من بلاد تامسنا فتوالت عليه الأمطار والسيول فحالت بينه وبين متابعة السفر ثم وصله الخبر بثورة مسعود بن كانون السفياني ببلاد نفيس من أرض المصامدة وذلك في خامس قعدة من السنة وأن الناس اجتمعوا عليه من قومه وغيرهم فخرقت على السلطان الفتوق وتوالت عليه الخطوب ولم يدر ما يصنع فرأى أن يقدم أمر ابن كانون والعرب

فكر راجعا إليه وقدم بين يديه حفيده تاشفين بن أبي مالك ووزيره يحيى بن أبي حازم وجاء هو على ساقتهم وفر مسعود بن كانون ولحق بجبل سكسيوة واعتصم

به وشايعه عبد الواحد السكسيوي ونازله السلطان يعقوب بن عبد الحق من عساكره وهو مهتم أشد الاهتمام بحصار الجزيرة وكان أقسم أن لا يرتحل عن ابن كانون حتَّى ينزل على حكمه أو يهلك دون ذلك ففكر فيما يكون به خلاص أهل الجزيرة فعقد لولي عهده ابنه الأمير يوسف وكان بمراكش على الغزو إليها وبعثه إلى طنجة وكتب إلى الثغور باعداد الأساطيل بعمارتها وتوجيهها إليه وحض الناس على النهوض فتوفرت همم المسلمين على الجهاد وكان أشدهم حماسا وغيرة وإعانة الفقيه أبا حاتم العزفي صاحب سبتة فأبلَى البلاء الحسن فهيأ خمسة وأربعين أسطولا واستنفر كافة أهل بلده من المحتلم إلى الشيخ فركب البحر أجمعون ولم يبق بسبتة إلا النساء والشيوخ والصبيان وساعدهم ابن الأحمر باثني عشر أسطولا وساهمت آنفا وسلا بخمسة عشر أسطولا واجتمع من الأساطيل اثنان وسبعون واجتمعت كلها بمرفأ سبتة وهي في أحفل زي وأكمل استعداد ثم تقدمت إلى طنجة ليراها الأمير يوسف فشاهدها وسر بها وعقد لهم رايته مع جماعة من أبطال بني مرين رغبوا في الجهاد ثم أقلعت الأساطيل عن طنجة ثامن ربيع الأول سنة ثمان وسبعين وستمائة (678هـ) موافق 1279م وانتشرت قلوعهم في البحر فأجازوه وباتوا ليلة المولد الكريم بمرفأ جبل الفتح وصبّحوا العدو وأساطيله يومئذ تناهز أربعمائة فتظاهر المسلمون في دروعهم وأخلصوا لله عزائمهم وتنادوا بالجنة وشعارها ووعظ خطبائهم وذكر صلحاؤهم والتحم القتال ونزل الصبر فلم يمر إلا زمن يسير حتَّى نضحوا العدو بالنبل ففسدت أفروطتهم واختل مصافهم وانكشفوا وتساقطوا في عباب البحر ، فاستلحمهم السيف وغشيهم اليم واستولَى المسلمون على أساطيلهم فلكوها وأسروا قائدها الملند في جماعة من حاشيته ، واستمر مثقفا بفاس حتَّى فر بعد ذلك وسر المسلمون الذين بداخل الجزيرة بفساد افروطة العدو وهلاكها

ولما رأى عسكر الطاغية الذي في البر ما أصاب أهل البحر مهم من القتل والأسر داخلهم الرعب وخافوا من هجوم الأمير يوسف عليهم إذ كان مقيما بساحل طنجة مستعدا للعبور ، فقوضوا أبنيتهم وأفرجوا عن البلد لحينهم وانتشر المسلمون والنساء والصبيان بساحة البلد كأنما نشروا من قبر وغلبت مقاتلتهم كثيرا من عسكر العدو على متاعهم فغنموا من الحنطة والادام والفواكه ما ملأ أسواق البلد أياما حتَّى وصلتها المسيرة من النواحي

نقلنا هذا البحث من الجزء الثالث من الاستقصاء صحيفة 50 ــ 51 بتصرف .

أضرحة الأولياء بالدار البيضاء
هي نفسها مزارات مدينة آنفا

توجد في كل مدينة من مدن الإسلام أو قرية أو قبيلة مزارات مشهورة عندهم يتبركون بها ويقصدونها للزيارة الفينة بعد الفينة ويتوسلون بأرواحها عند الله ، وهكذا توجد في أقطار الإسلام شرقا وغربا وهذه الأضرحة توجد لها تراجم خاصة في كتب مدونة يذكرون فيها بعض الكرامات للولي المترجم له وتاريخ وفاته والدار البيضاء مدينة حديثة البناء جددها السلطان سيدي محمد بن عبد الله على أنقاض مدينة آنفا سنة 1199 هجرية موافق 1782 ميلادية تقريبا ومدينة آنفا هدمها البرتغال سنة 1468 ميلادية موافق 912 هجرية وفي الدار البيضاء أضرحة ومزارات لا يعرف سكانها لها تراجم ولا تواريخ الشيء الذي يدل أنها مزارات لمدينة آنفا بقيت قائمة لم يشملها الهدم والدليل على ذلك

أولا أنني شخصيا وقفت على صورة لمدينة آنفا وهي محطمة بريشة فنان مؤرخة بتاريخ 1515 ميلادية وهذا التاريخ هو الذي رجع فيه البرتغال إلى مدينة آنفا بعد هدمها

والصورة وجدتها عند الطبيب الدكتور سبيدير الرديولوجي بالدار البيضاء وبالأسف فقد رجعت إلى الطبيب بعد مدة لنطلب منه نسخة منها فوجدته قد مات ونقلت أمتعته ، فيعاين الرائي في هذه الصورة تراكم الأحجار لأنقاض الدور والمتاجر والفنادق كما يعاين بعد مزارات الأولياء وصوامع المساجد لازالت قائمة ، والشيء الذي يدل على أن البرتغال عندما شرعوا في تحطيم المدينة احترموا الأضرحة والمزارات مع الصوامع قائمة لم يشملها الهدم وترى صوامع المساجد مزخرفة بالنقوش مما يدل على حضارة سكان المدينة وتدينهم واعتنائهم بالمعاهد والمساجد

ثانيا أن الحسن الوزان عندما زارها وهي محطمة شهد بمتانة بنائها وقيام بعض أضرحتها ومساجدها كما سيأتي لنا وصفه لها

ثالثا لو كانت هذه الأضرحة وجدت بعد بناء الدار البيضاء لعرف سكانها تراجم أوليائهم وتواريخها ونقلوها لنا وان والدي رحمه الله نقل من الرباط بصفته عدلا إلى مدينة الدار البيضاء بنفس الوظيفة في ولاية السلطان مولاي الحسن سنة

1295 هجرية موافق 1880 ميلادية يعني بعد تجديد الدار البيضاء لمدة تقل عن قرن

ولاشك أنه وجد بها المستعمرين لها الذين جددت المدينة عليهم أو على أحفادهم ، وكان رحمه الله مولعا كأهل زمانه بقصص كرامات الأولياء والصالحين لشدة تدينه ولم يحدثنا رحمه الله بأنه نقل عن أحد من سكانها ترجمة أحد من أولياءها ولا تاريخه

الشيء الذي يدل على أن الدار البيضاء جددت على أضرحة أولياء مدينة آنفا ولتعلق قلوب السكان بحب الأولياء والاعتقاد فيهم بقيت أسماء أولياء هذه الأضرحة محفوظة بالتواتر ولاشك أنها بعد هدمها سكن في أطلالها سكان البوادي المجاورين لها

غير أننا اهتدينا إلى ترجمة الولي الصالح سيدي بليوط من صلحاء آنفا الذي يقال له أبو الليوث وسيأتي لنا ترجمته

وهذه المزارات الموجودة بالدار البيضاء هي

أولا ضريح سيدي بليوط — أو أبو الليوث — ويوجد خارج سور مدينة الدار البيضاء قرب البحر وقرب محطة القطار في هذا العصر الحالي

ثانيا ضريح الولي الصالح سيدي علال القيرواني وهذه النسبة تبين لنا أن أصله من القيروان

ويمكن أن يكون جاء من القيروان عند تخريب بني هلال لها وخروج بعض الأعيان عنها ومهاجرتهم إلى المغرب وكان ذلك في القرن السادس من الهجرة ويوجد ضريحه داخل سور المدينة العتيقة من جهة البحر

ثالثا سيدي فاتح ويوجد داخل المدينة القديمة أيضا

رابعا ضريح سيدي مبارك ويوجد داخل المدينة العتيقة قرب باب مراكش يحيط به مقبرة للأهالي القديمة ، وكان السلطان الراحل سيدي محمد بن يوسف رحمه الله أذن للفقيه السيد محمد الضرباني في بناء مدرسة علمية في تلك المقبرة وشيد بها مدرسة ونسبت إلى مشيدها الضرباني وتخرج منها عدة طلبة وطالبات .

خامسا ضريح سيدي معروف ، كان قبل الاحتلال بالمقبرة العامة للأهالي التي كانت قرب ضريح أبي الليوث وعندما اقتضت مصلحة بلدية مدينة الدار البيضاء بتعمير محل على تلك المقبرة ونبشت قبورها وجمعت في حفرة ونقل جثمان سيدي معروف إلى المدينة الجديدة وبني عليه ضريح وهو الآن سمي باسمه حي من أحياء الدار البيضاء الجديدة

سادسا ضريح سيدي بوسمارة ويوجد داخل سور المدينة مجاور للمسجد العتيق بها وقرب المقاطعة الأولى حاليا

سابعا ضريح للا تاجة ويوجد داخل المدينة قرب جامع ولد الحمراء وباب المرسى

وأسماء هذه الأضرحة أطلقت على أسماء الأحياء التي توجد بها يقال حي سيدي علال القيرواني وحي سيدي فاتح وحي سيدي معروف الخ وللا تاجة اسم حميري

(فـائـــدة)

ذكر صاحب القاموس نقلا عن ابن هشام في مادة شفر ، قال والشفر والد تاجة ، وقال ابن هشام حفر السيل عن قبر باليمن فيه امرأة في عنقها سبعة مخانق من الدر وفي يديها ورجليها من الأسورة والخلاخل والدمالج سبعة سبعة ، وفي كل اصبع خاتم فيه جوهرة مثمنة وعلى رأسها تابوت مملوء مالا وعليه لوح مكتوب فيه «باسمك اللهم اله حمير أنا تاجة بنت ذي شفر بعثت مائرنا إلى يوسف فأبطأ علينا فبعثت لاذتي بمد من ورق لتأتيني بمد من طحين فلم تجده فبعثت بمد من ذهب فلم تجده فبعثت بمد من بحري فلم تجده فأمرت به فطحن فلم أنتفع به فاقتفلت فمن سمع بي فليرحمني وأية امرأة لبست حليا من حلي فلا ماتت إلا ميتتي فاستفيد من هذه القصة أن القحط الذي ذكره الله في كتابه العزيز في قصة يوسف قد عم الشرق الأوسط كله بما في ذلك اليمن وأن التدبير الذي سلكه يوسف كان نفعه جزئيا وأن تاجة اسم حميري والظاهر أن هذا الاسم جاء مع العرب الذين جاءوا من اليمن إلى

المغرب في قصة صهاجة واكتامة ، الذي نقله ابن خلدون عن الطبري والجرجاني والمسعودي والسهيلي والله أعلم

راجع العبر الجزء الثاني صحيفة (95)ـ (96)

ترجمة سيدي بليوط – أو أبو الليوث

في إبان الطلب سافرت إلى فاس لصلة الرحم مع بعض أقاربي فاغتنمت هذه الفرصة فزرت مكتبة القرويين عمرها الله ، باحثا عن مراجع التاريخ ، فعثرت على تويلف مخطوط فيه تراجيم بعض الأولياء مبتور الأول والآخر وبسبب ذلك كان مؤلفه مجهولا قيل لي انه من كتب خزانة مولاي المصطفَى العلوي الذي كان قاضيا بمراكش ، وعند وفاته حبست زوجته الأميرة خزانته على مكتبة القروبين ليعم النفع بها فتصفحته فوجدت فيه ترجمة سيدي بليوط ونقل أنه كان بالعشرة الخامسة من المائة الثامنة وكان يحج كل عام وكان منزله بالدار البيضاء قرب البحر ووادي بوسكورة وكان يتعيش بصيد السمك ، ونقل بعض هذا من كتاب الدوحة فراجعت دوحة الناشر ابن عسكر من صلحاء القرن العاشر فلم أجد فيه ترجمة سيدي بليوط ولا أبي الليوث فحكمت بأنه باطل ومما يدل على بطلانه أن منزله كان بالدار البيضاء وتاريخ وفاته كان بالمائة الثامنة ، وفي هذا التاريخ كانت آنفا موجودة حيث كان هدمها سنة 912هـ والدار البيضاء جددها السلطان سيدي محمد بن عبد الله على أنقاض آنفا سنة 1197 هجرية ، 1784م

ثم وقع بيدي كتاب التشوف لأبي يعقوب يوسف بن يحيى بن عيسى بن عبد الرحمان التادلي المعروف بابن الزيات ، فوجدت فيه ترجمة أبي حفص عمر بن هارون المديوني ذكر أنه كان من أهل آنفا قال كان عبدا صالحا واعتزل عن الناس وكان أكثر جلوسه في المقابر فيأتيه الأسد فيمسح ظهره بيده ويقول له اذهب جعل الله رزقك حيث لا تضر أحدا من المسلمين فينصرف عنه

قال حدثني عبد الواحد بن سالم المصمودي قال حدثنا عبد الرحمان بن اسماعيل البناني قال زرت أبا حفص عمر وكان عندي مخْلات فيها موطأ مالك بن أنس رحمه الله : وقال لي أنت عندي ضيف ولو كان عندي خادم يقوم بك لبت

عندي ولكني منقطع هنا ، ثم قال لي أحق ما قرئ كتاب الله وما في مخلاتك يعني موطأ مالك ، وما رآه ولا أخبرته به

ثم قال لي أتعرف الشيخ أبا ابراهيم الركراكي من أهل الدار ؟ فقلت نعم ثم قال لي لم يبق من ينبغي أن يزار ببلد المصامدة غير أبي ابراهيم ولا في بلاد القبلة غير أبي موسى

ثم أخبر أن المترجم توفي سنة 595هـ ، وترجح عندي أنه هو سيدي بليوط أو أبي الليوث وذلك لأسباب

أولها أنه من أهل آنفا ، وثانيا أنه من أهل مديونة مديوني ، والدار البيضاء مبنية بقبيلة مديونة

وأما كرامته واتصاله بالأسد ومسح ظهره بيده منقول عند سكان الدار البيضاء بسيدي بليوط وهذه الكرامة هي التي كني بها أبو الليوث ، وأن اسمه هو أبو حفص عمر بن هارون وأنه مديوني الأصل وأن وفاته كانت سنة 595 هجرية وفي هذا القرن كان معاصرا لمولاي بوشعيب المدفون بأزمور وسيدي أبي العباس السبتي بمراكش ولمولاي عبد السلام بن مشيش بالجبل ولمولاي بوعزة بن عبد الرحمان المدفون بازعير قرب قبيلة أزمور أشلح والله أعلم ولعلّ الأسود التي كان يتّصل بها صاحب الترجمة ولقب من أجلها بأبي الليوث هي التي ذكرها الشريف الادريسي في كتابه «**نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**» عندما تعرّض في رحلته من مراكش إلى إقليم تامسنا ووصف مرسى فضالة فذكر أنه توجد بعدها غابة مملوءة بالأسود (انظر الكلام عليها في فصل وصف الشريف الإدريسي لمنطقة تامسنا من كتابنا هذا) كما يمكن الاحتمال أن اتصاله بهذه الأسود كان يحدث عندما يخلو بنفسه مبتعدا عن العمارة والسكنَى حسب ما جاء في ترجمته والله أعلم

سقوط مدينة آنفا
واضمحلالها من الوجود

وظلت آنفا زاهرة بحركتها التجارية والفلاحية والبحرية واتصال تجارها مع أوربا في الصادرات والواردات .

وكانت لهم تجارة واسعة مع اسبانيا والبرتغال وايطاليا والانجليز وكانت مرساها ناشطة وورود البواخر التجارية عليها صباح مساء حسب ما وصفها شاهد عيان لسان الدين بن الخطيب في كتابه معيار الاختيار بقوله

تهوي إليها السفن شارعة ، وتبتدرها مسارعة ، وانها مهبط السلاع وجون الحط والاقلاع إلى آخر ما تقدم لنا وصفه ، وكانت مدارسها عامرة بالطلبة الأنجاب وعلماء أجلة يلقنوهم صنوف العلوم الإسلامية التي كانت تدرس في ذلك العصر كالتفسير والحديث ومختصر ابن الحاجب في الفقه ومغنى اللبيب ، والتسهيل ، ومقدمة ابن أجروم وألفية ابن مالك والأصول والارشاد لامام الحرمين ، ومقامات الحريري وغير ذلك من الكتب النافعة بقي هذا النشاط زاهرا إلى صدر المائة التاسعة الهجرية ، حيث ضعفت معنوية دولة بني مرين بسبب ما أصابها من الانحلال في جهاز الحكم والهلهلة في شؤون الدولة وسوء النظام بسبب تصرف الوزراء المباشر لأهوائهم وأغراضهم الشخصية فعمت الفوضى وعجزت الدولة على الدفاع على البلاد ، وصادف ذلك ظهور دولتي الاسبان والبرتغال فكثرت أسفارهم في البحر وتمكنوا من الحصول على عدة مراكز في شواطئ البحر من سواحل المغرب

[35]في سنة 818 هجرية موافق 1415 ميلادية ، استولوا على مدينة سبتة بعد محاصرتهم لها ستة (6) أعوام وفي 862 هجرية موافق 1457م استولوا على قصر المجاز

وفي سنة 869 هجرية موافق 1464 ميلادية استولوا على مدينة طنجة وفي حدود سنة 876 هجرية موافق 1471 ميلادية استولوا على مدينة أزيلا وفي هذا التاريخ 1468 استولوا على مدينة آنفا وبعض سواحل السوس وفي سنة 907 هجرية موافق 1501م استولوا على المدينة الجديدة وبنوا حصن البريجة وطال مقامهم بها وفي سنة 910 موافق 1504 استولوا على مدينة العرائش وبعد ذلك استولوا على مدينة أكادير وفي حدود سنة 912هـ موافق 1506 ميلادية ملكوا مدينة آسفي ، ومنها رجعوا لمدينة أزمور فاستولوا عليها ، في سنة 914هـ موافق

(35) الجزء 4 من الاستقصاء صحيفة 110

1508 ميلادية ثم المعمورة وهي المهدية استولوا عليها في سنة 920هـ موافق 1514م

وفي هذا التاريخ رجعوا إلى مدينة آنفا ، فلم يبق من ثغور المغرب الأقصَى إلا القليل مثل سلا والرباط وبسبب ذلك أدخلوا الرعب على سكان المغرب وبالأخص سكان سواحله

وفي هذه الفترة فكر سكان مدينة آنفا في الدفاع على حوزة البلاد والاعتماد على أنفسهم ليأسهم من دولة بني مرين وكان فيهم بحارة ماهرون في أسفار البحر موصوفون بالشجاعة والاقدام إلى حد المغامرات فقرروا الهجوم على البرتغال في عقر دارهم بما يملكونه من أسطول بحري فجعلوا يهجمون على بلاد البرتغال ويصلون إلى جزيرة كاليس ونهر التاج الذي يشق بلادهم فكانوا يلحقون بهم أضرارا مادية وخسارة فادحة ، فقرر سلطان البرتغال الفونصو الخامس رد الفعل ولما يعلمه من شجاعة أهل آنفا تهيب الهجوم على المدينة قبل معرفة خريطتها فأعد للهجوم عدته ، فنقل أندري آدم عن المؤرخ داميو دوا الفلورنسي أن الملك بعث جاسوسا لمدينة آنفا تمهيدا للهجوم ، فوصل الجاسوس على ظهر سفينة للفاكهة إلى آنفا وتنكر في زي تجار التين والزبيب وتجول في شوارع المدينة ليعرض سلعته في كيس فحصل على معلومات هامة من خريطة المدينة وشوارعها ورجع بها إلى الملك ، فجهز أسطولا بحريا مشتملا على خمسين (50) قطعة تحمل عشرة آلاف من مهرة أبطالهم فلما وصل الأسطول المدينة وتحقق به السكان جمعوا ما قدروا عليه من الأمتعة الثمينة ، وفرّوا إلى مدينة الرباط وسلا وبقيت المدينة خاوية فارغة ينعق فيها الغراب ، وعندما علم رئيس الأسطول بفرارهم وفراغ المدينة أنزل جنده واحتلوها دون معركة ولا قتال وكأن السكان أشعروا العدو بهذا العمل بأن المدينة مفتوحة لتبقَى محفوظة من التلف ، ولكن الرئيس أمر الجنود بهدم المدينة وخرابها فنهبوها نهبا قبيحا وهدموا أسوارها وأبنيتها الجميلة وصارت أكواما من الحجر وقد سبق لنا بفصل أضرحة الأولياء أنني وقفت على صورة لآنفا وهي محطمة فلتراجع

كما يستفاد من الصورة أن الدار البيضاء بنيت على أنقاض آنفا

تصور أيها القارئ هذه القوة التي هجموا بها على آنفا وهي خمسون قطعة حربية

تحمل عشرة آلاف من الأبطال ما كانوا يحسبونه من حساب لعظمة آنفا كأنهم هجموا على دولة من الدول

وبهذا تعلم ما كان لآنفا من الهيبة في قلوبهم

وقوف الحسن الوزان المعروف بليون الافريقي على المدينة بعد هدمها ووصفه لها

ذكر الحسن الوزان في كتابه وصف افريقيا ، أن آنفا مدينة كبيرة بناها[36] الرومان على شاطئ البحر وتبعد عن الأطلس بنحو ستين ميلا من جهة الجبل وعن أزمور بنحو ستين ميلا من جهة الشرق وعن الرباط بنحو أربعين ميلا من جهة الغرب

وكانت هذه المدينة متقدمة فيما سلف ، وترابها صالح لغرس الحبوب على اختلاف أنواعها وهي واقعة في أحسن وأجمل موضع بافريقيا يحيط بها سهل مساحته نحو الثمانين ميلا

توجد بها دكاكين وبناءات جميلة كما تدل على ذلك الأطلال والقطع التي لازالت قائمة إلى يومه وفيها كذلك حقول للدوالي وأجنة تزرع فيها فواكه مختلفة وبطيخ في شهر أبريل فينقله سكانها إلى مدينة فاس حيث هو بطيء الانضاج وكان أهل المدينة متصلين بصفة مستمرة مع جنس البرتغال والانجليز

لهذا كانت حياتهم منظمة وفيهم علماء وكانوا يتأنقون في لباسهم

والسبب في خرابهم ومهلكتهم شيئان أنهم أرادوا أن يستقلوا ولم تكن لهم الوسائل اللازمة لذلك

وثانيا أنهم كانوا يملكون مراكب يسافرون عليها إلى جزيرة كاديس ونهر البرتغال

---

(36) تقدم لنا في ذكر الخلاف في تأسيس آنفا ورجحنا القول بأن المؤسس هم القرطاجنيون الفينيقيون بحجج محسوسة لا تدع مجالا للشك وأن الرومان لم يتعدوا مدينة شالة .

فيضرون بأهلها إلى حد أن سلطانهم عزم على تخريب مدينتهم فألف جيشا متركبا من خمسين قطعة تحمل قدرا مهما من الطبجية ورجالا ماهرين في الهجوم

فلما رآهم أهل المدينة أخذوا ما كان لهم من البضائع الثمينة واجتمعوا وذهبوا إلى الرباط وسلا بقصد السكنى بهما وكان هذا الهجوم سنة 873 هجرية وموافق 1468 ميلادية[37]

أما رئيس الأسطول فلم يشعر بفرارهم فلما تحقق بأن المدينة فارغة أرسل عساكره إلى الأرض

فلما نزلوا أخذوا يهدمون ويخربون في أقل من يوم فحطموها وأضرموا النار في الديار وهدموا الأسوار في محلات متعددة ، وبقيت المدينة خالية من السكان

قال الحسن الوزان

لما توجهت إليها وشاهدت ذلك المنظر فاضت دموعي ولم أتمكن من حبسها لما رأيته من الخسارة الناتجة عن ذلك في الحال والمستقبل لأن المدينة كانت في الماضي جميلة كما يدل على ذلك المساجد العظيمة والدكاكين التجارية والبناءات الحسنة التي لازالت قائمة وعن مجدها الماضي شاهدة

ومن الممكن أن نعاين أجنة لم يبق من مغروساتها إلا بعض الفواكه ولا رجاء في عمارتها مرة أخرى مادامت سلطة سلطان فاس ضعيفة ، أما شهادة الحسن الوزان بفرار السكان وذهابهم إلى الرباط وسلا يؤيده ما جاء في كتاب «من أعلام الفكر المعاصر» للأستاذ عبد الله الجراري بصحيفة 10 في قوله وهؤلاء جماعة من أهل الدار البيضاء تقدر بستمائة أسرة أخرجهم البرتغال من ديارهم فنزلوا بالبحيرة من الرباط إذ أنقذهم الله من شر العدو البرتغالي

وقوله من الدار البيضاء أي يقصد بها آنفا

تعليق على شهادة الحسن الوزان

يستفاد من قوله يوجد بها دكاكين وبناءات جميلة ، أن الهدم والتحطيم لم يأت

(37) وعند الناصري في الاستقصاء أن الهجوم كان سنة 874هـ الجزء 4 صحيفة 116

على جميع البنايات لمعاينته قيام الدكاكين والأبنية الجميلة وذلك لمتانة البناء وقوته كما يستفاد أن ما شاهده من جمال البناء أن أهلها كانوا أهل ثروة ويسار وحضارة ومن تأنقهم في لباسهم حضارتهم ومدنيتهم وقوله فيها حقول للدوالي وأجنة تزرع فيها فواكه مختلفة أن سكانها كانوا يحترفون الفلاحة السقوية والعالمون بفنوبها حيث كانوا ينتجون الفواكه المبكرة في شهر أبريل ويصدروبها إلى مدينة فاس حيث كانت بطيئة الانضاج

ومن قوله أن أهل المدينة كانوا متصلين بصفة مستمرة مع التجار البردقيز والانجليز

شهادة مجملة وتفصيلها تقدم في فصل علاقة السكان بالأروبيين فلتراجع

وقوله السبب في خرابهم ومهلكتهم شيئان أحدهما أنهم أرادوا أن يستقلوا ولم تكن لهم الوسائل اللازمة لذلك يفيد بذلك طموحهم إلى الاستقلال والحرية فيرجع السبب فيه أن آنفا كانت عاصمة برغواطة وأن أصل سكانها منهم وتقدم لنا الكلام في تاريخهم أنهم دافعوا على عقيدتهم مدة تقرب من أربعة قرون وذلك بسبب العناد والتصلب المركوز في طبيعتهم وهذا الخلق ورثوه عن آبائهم وأسلافهم وحبهم إلى الاستقلال والحرية وعدم الخضوع للأجانب له ارتباط بما ذكره الدكتور عثمان عثمان اسماعيل في كتابه تاريخ شالة الإسلامية عندما تكلم على البرغواطيين[38] قال أن شهرتهم في التاريخ نجمعها في مسألتين قال في احداهما التي تميز البرغواطيون بها يستطيع المؤرخ استخلاصها من النصوص والارشادات فهي ما فطر عليها هؤلاء القوم من روح استقلالية على مر الزمان ولعمري أنها لميزة حميدة تلك التي دفعتهم إلى النهوض ضد المستعمر الروماني والوقوف في وجهه واقلاق راحته حتَّى اضطر جيش روما العظيم أن يوقف زحفه عند أبواب بلادهم فلم يتعد خط منطقة شالة حدودهم الشمالية

ثم قال بعد كلام وإذا كان عندي ما أؤيد به كتفسير لهذا الموضع فهو ما انطوت عليه جوانح البرغواطيين من جنوح شديد نحو الاستقلال وتصلب قوي بالتمسك بفطرتهم المتحررة قد وقفت حاجزا ومانعا دوبهم ودون السير مع كل اتجاه

(38) تاريخ شالة الإسلامية صحيفة 132 و133 .

جديد ، لقد أنفوا أن تذوب شخصيتهم في بوتقة الرومان

ثم قال وسوف لا أعدو الحقيقة إن قلت أن البرغواطيين على الرغم من انطواء صفحتهم الا أنهم خلفوا آثارا قوية في التمسك بروح الاستقلال وهذه الفكرة من الدكتور عثمان يؤيدها هجوم بحارتهم على البرتغال في عقر دارهم والحاقهم بها اضرارا فادحة

وقول الحسن الوزان انهم كانوا يملكون مراكب بحرية يسافرون عليها إلى جزيرة كاديس وبهر البرتغال ، يؤيد هذه الشهادة ما تقدم لنا من مساهمتهم بمالهم من الأسطول في فك الحصار عن الجزيرة الخضراء سنة 677 هجرية موافق 1277 ميلادية في عصر يعقوب بن عبد الحق المريبي

وقوله وكان فيهم علماء ، تقدم تفصيله في فصل الحياة العلمية وبعدما جلبنا شهادة الحسن الوزان والتعليق عليها يجدر بنا أن نشفعها بشهادة مؤرخ آخر ورحالة

شهادة المؤرخ الرحالة مرمول
الذي وقف عليها أيضا وهي محطمة

قال في كتابه وصف افريقيا صحيفة 139 ، كان سكان آنفا ذوي عدد كثير وبعدما بين حدودها مع أزمور والرباط والأطلس وبين المسافة بيها ، قال اعتبرها البعض من المدن التي بناها هانون وفق ديوان قرطاجنة

وهي واقعة في أحسن موقع في افريقيا يحيط بها البحر من جهة ومن جهة أخرى سهول خصيبة ترعَى فيها قطع كثيرة من المواشي ويحتمل أنها كانت جميلة البناء متمدنة بسبب تجارة النصارَى بها وكان لها مرسى صغير يقصدها تجار أوربا ولذلك جدد بناءها بعدما هدمت وكثرت العمارات بها بسبب سهولة مرساها وأن السكان كانوا يتمكنون بسبب سهولة المرسى من جعلها مركزا لمراكب للهجوم بها على شواطئ أوربا ، حتَّى أن سلطان البرتغال «الفونصو» أرسل إليها «دون فراند» أخاه في عشرة آلاف جندي فحرقوها وهدموها لأن السكان عندما رأوا الأسطول فروا مها

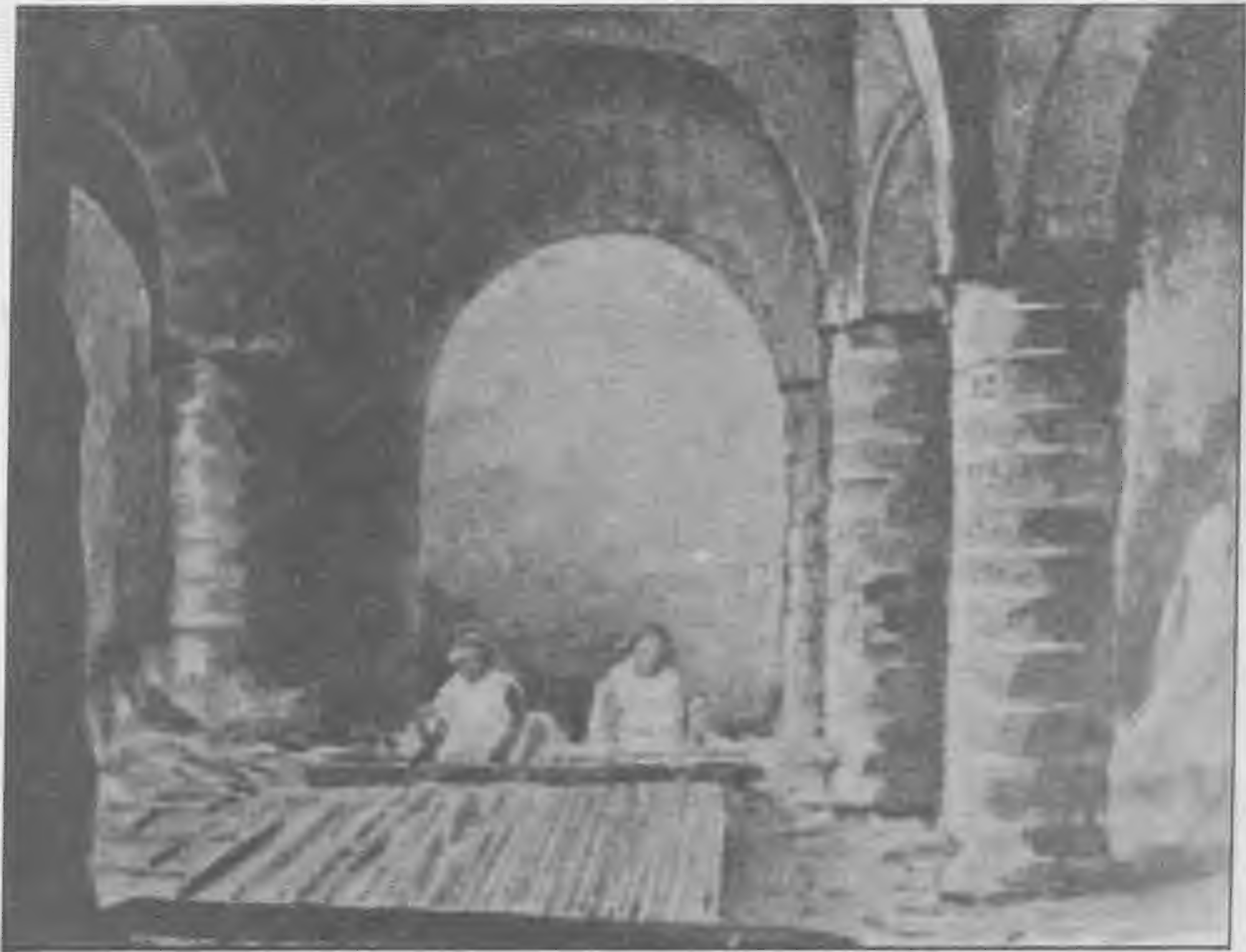
ولازالت أطلال الجدران القديمة قائمة العين بها إلى الآن نشاهدها بالعيان لكثرة متانة بنائها وكذلك بعض المساجد بها

ثم تكلم على رجوع البرتغال إليها سنة 1515 ميلادية انتهَى كلامه

أهم أثر بقي من مدينة آنفا
وأهم أثر خلفه الاستعمار البرتغالي

(وقع بأيدينا تويلف للدكتور فسيجربر الذي قدم للدار البيضاء في أواخر القرن التاسع عشر بقصد تمهيد استعمار فرنسا للمغرب وسمى كتابه الدار البيضاء والشاوية سنة 1900 وأهداه للجبرال (داماد) الذي احتل الدار البيضاء سنة 1907 ذكر في كتابه هذا أن البرتغاليين لما هدموا مدينة آنفا سنة 1468 انسحبوا منها ورجعوا إليها سنة 1515 وعندما دنوا منها ظهرت لهم دار سلمت من الهدم سموها كازا برانكا لبياضها وبقيت هذه الدار إلى سنة 1900 وأخذ منها صورة

وهذه الدار على حسب التقاليد بذكره كانت أمام مدخل ضريح سيدي بوسمارة وكانت سدا لشارع دار المخزن وكانت مأوَى للجنود الذين يردون مؤقتا على الدار البيضاء فهدمت ليتصل شارع دار المخزن بشارع سيدي بوسمارة والأثر الثاني الذي خلفه الاستعمار البرتغالي بناية جعلوها سجنا لهم ، وكان هذا السجن موجودا قرب ضريح سيدي بليوط بشارع الحنصالي حاليا عن يسار المواجه للضريح وكان معملا للحصر إلى احتلال فرنسا وعند احتلال فرنسا للدار البيضاء هدم هذا السجن لتوسيع شارع الكتريام جواف الذي يسمَّى الآن بشارع الحنصالي ونقلت أعمدته إلى شارع الحسن الثاني أمام حديقة الجامعة العربية ونقلنا صورة الأعمدة التي توجد بهذا الكتاب .



السّجن البرتغالي الذي كان قرب ضريح «أبو الليوث» وأخذت صورته أواخر القرن التاسع عشر وهو معمل الحصور ، وهدّمته فرنسا للزّيادة في شارع الحنصالي حاليا ، ونقلت أعمدته لشارع الحسن الثاني .



هذه أعمدة السجن البرتغالي الذي كان قرب ضريح أبي الليوث ، وبعد هدمه نقلت إلى حديقة الجامعة العربية .



هذه الدار أثر من آثار مدينة آنفا سلمت من الهدم سنة 1468م ، ولما رجع البرتغال سنة 1515 لآنفا ظهرت لهم بيضاء فأطلقوا عليها كازا برانكا وحوّلها السبنيول للغتهم كازا بلانكا ، ويشاع على ألسنة المسنّين من الأهالي لمّا وقف عليها السلطان سيدي محمد بن عبد الله سأل عنها فأخبروه باسمها الدّار البيضاء فأمر بتسمية المدينة بالدّار البيضاء ، ويؤيّده أنّ محمد بن عبد السلام الضعيّف ذكر في تاريخه أن السلطان سيدي محمد بن عبد الله أطلق صهره عبد الله الرحماني من سجن آسفي وعينه عاملا على الشاوية وأمره أن يبني داره بالدار البيضاء سنة 1199هـ.

[– تجديد مدينة آنفا بمدينة الدار البيضاء
– ولاية عبد الله بن محمد الرحماني على الشاوية
– بناء داره بالدار البيضاء بأمر من السلطان سيدي محمد بن عبد الله]

منح السلطان سيدي محمد بن عبد الله لشركة اسبانية الامتياز لتصدير الحبوب من مرسَى الدار البيضاء

نقلا عن محمد بن عبد السلام الضعيف الرباطي بتصرف

بقيت مدينة آنفا متهدمة البنيان فارغة من السكان وغراب البين ينعب بأطلالها وآثار الحزن بادية على ربوعها

يصدق عليها وصف ياقوت الحموي لمدينة خراسان لما اكتسحها الماغول وخربها بقوله فأصبحت تلك القصور كالممحوي من السطور وأمست تلك الأوطان مأوَى للأصداء والغربان يتجاوب في نواحيها البوم ويتفاوح في أراجيها الريح السموم ، ويستوحش فيها الأنيس ويرثي لمصابها إبليس إلى أن أدركتها عناية الله وشملتها رحمته الواسعة بأن وقف السلطان الجليل عالم الملوك وملك العلماء من رد للدولة العلوية شبابها وهيأ لها أسبابها المنعم السلطان سيدي محمد ابن السلطان مولاي عبد الله ابن فخر الملوك مولاي اسماعيل

فبعدما بنى مدينة الصويرة سنة 1188 هجرية موافق 1771 ميلادية ، فكر رحمه الله في بناء الدار البيضاء ، ففي يوم السبت 16 ربيع الثاني عام 1199 هجرية موافق 1784م على حسب ما نقله لنا الضعيف لما رجع من مدينة الصويرة ووقف على موقع الدار البيضاء ، فرأى مرساها فأعجبته فأمر ببنائها وأمر ببناء أسوارها ومنح شركة اسبانية موقعها بقاديس الامتياز في تصدير الحبوب وولى على الشاوية صهره عبد الله بن محمد الرحماني بعد أن أطلق سراحه من سجن آسي ، وكان ولاه من قبل على مدينة الرباط ثم ولاه على الشاوية ، وأمره أن يبي داره بالدار البيضاء ، فبناها بقرب الدار البيضاء بطريق الرباط قرب عين مازي ، وبقي آثارها إلى احتلال فرنسا وكانت تسمَّى عند البيضاويين قصبة الرحماني

ونقل لنا الدكتور فيسجربر صورة أطلالها من خزانة سودان ، أخذت هذه الصورة سنة 1896م

وموقع هذه الدار بي قربه بناية نقابة العمال بالدار البيضاء ، فتبين لنا أن تاريخ البناء كان سنة 1784م وما نقله بعض المؤرخين الأوربيين عن طوماسي من أن الامتياز الذي منح للشركة المذكورة كان سنة 1782م مخالف لتاريخ الضعيف

ويشاع على ألسنة أهالي الدار البيضاء أن السلطان كلف رؤساء قبائل الشاوية بواسطة عبد الله الرحماني ببناء الأسوار ، وفرض الرؤساء على قبائل الشاوية ضرائب لانجاز هذا المشروع وكل قبيلة كلفت ببناء ربع

وحيث أننا نجد السور المفتوح فيه باب مراكش بداخل المدينة القديمة توجد بناية دار تسمى أروى ابن رشيد ، علمنا أن السور المفتوح فيه باب مراكش تكلف ببنائه أولاد حريز وبقي إلى أن تولى عبد السلام بن رشيد فاستعمله كنزل له ونسب له وصار يسمى اروى ابن رشيد

وقد حصل الباشا عبد السلام بن رشيد على ظهير سلطاني بتملكه لهذا المحل كما أن السور المفتوح فيه باب المرسَى من جهة جامع ولد الحمراء ، نجد دارا داخل المدينة واسعة الأرجاء كان يستعملها قائد مزاب كنزل له

يوجد باب هذه الدار الآن بالدار البيضاء بشارع طنجة مما يدل على أن المكلف ببنائه هم قبيلة مزاب

ولما احتلت فرنسا الدار البيضاء جعلوها مركزا للمقيم العام كنزل له وفي عصر الاستقلال استعملتها وزارة الأشغال العمومية في مصالحها والآن سد بابها بالحجارة كما يوجد بهذا السور جامع ولد الحمراء وولد الحمراء هذا كان من قبيلة أولاد محمد من أعيان مزاب. وسنتكلم عليه في ولاية السلطان مولاي سليمان. كما بنيت بالسور المذكور قرب جامع ولد الحمراء تكنة للجنود الموجودين بالدار البيضاء وصار الآن مدرسة يطلق عليها مدرسة فاطمة الفهرية

وتحصينا للمدينة من الغارات البحرية والبرية شيد على أسوارها سبعة أبراج

الأول بقرب ضريح سيدي بليوط يسمَّى برج الوداية ــ والثاني قرب باب مراكش يسمَّى برج السبع ــ والثالث كان يوجد بملاح اليهود قرب جامع السوق .

كما يسمَّى برج الملاح — والرابع برج بوخويمة داخل لدرب بوخويمة — والخامس برج العرائش بالتناكر قرب عرصة الزرقطوني — والسادس قرب باب المرسى يسمَّى البرج الصغير — والسابع البرج اليزيدي بفسحة سيدي علال القرواني قرب الزاوية الدرقاوية

وجلب لهذه الأبراج مدافع من جزيرة مالطة ونقل لها نحو ألف من العبيد البخاريين ، كما نقل لها جالية من قبيلة حاحا تعزيزا للجنود

وبسبب هذه التحصينات ألبسها صبغة رسمية كما ألبسها بذلك منعة وقوة

جاء في كتاب درة السلوك وريحانة الملوك تأليف الأمير مولاي عبد السلام بن السلطان سيدي محمد بن عبد الله في مآثر والده رحمه الله وكذلك تجديد مدينة آنفا وكانت قد اندثرت رسومها وطمست معالمها فجدد بناءها ورفع قواعدها فبنَى بها المساجد والحمامات واتخذ بها المعاقل الجهادية وسكن فيها ألفا من العبيد فقصدها تجار من مملكته وسائر بلاده فجاءت من أحسن الثغور نسأل الله أن يضاعف له الحسنات ويوفر له الأجور — انتهَى

والجالية الحاحية كان يرأسها قائد مهم يسيرها وينظمها في حراسة المدينة فإذا مات أبدلوه بغيره ولهم في المدينة العتيقة حي خاص بهم يسمَّى درب الشلوح وبنوا به مسجدا للصلاة يسمَّى جامع الصومعة المكرجة

ويسمَّى بهذا الاسم لأن الحاج المعطي قائد سطات كانت له دار مجاورة لهم

فمنع من اتمام الصومعة بعلة الاشراف على عياله ، ثم بعد موته أكملوها وبقي خلفهم إلى الآن بالمدينة منهم عائلة أبو الزرع وعائلة اجضاهم وعائلة أبلاط وعائلة الكابوس وعائلة أناكوف ، وعائلة ابن الجنداوي وعائلة أبو الضربات وعائلة براد وعائلة الصهاجي

سبب تسميتها بالدار البيضاء
والحكم الشرعي في التصرف في بقايا مدينة آنفا

يشاع على ألسنة الأهالي أن السلطان سيدي محمد بن عبد الله لما وقف عليها

فوجد البناء الذي بقي بآنفا وهي الدار التي سلمت من الهدم وبقيت قائمة إلى رجوع البردقيز لها سنة 1515م وأطلقوا عليها اسم كازا برانكة وحولها الاسبنيول إلى لغتهم كازا بلانكة فقيل له أنها تسمى عند الاسبنيول كازا بلانكة فسئل عن ترجمتها فقيل له الدار البيضاء فقال سموا هذه المدينة الدار البيضاء

وسنتكلم على بقية عمارة المدينة بتفصيل بعد الكلام على الحكم الشرعي الذي تمسك به السلطان سيدي محمد بن عبد الله في التصرف في مدينة آنفا

ومادمنا نتكلم على تجديد مدينة آنفا بمدينة الدار البيضاء فلا يفوتنا الكلام على الحكم الشرعي الذي تمسك به السلطان سيدي محمد بن عبد الله وجعله سندا لوضع اليد على هذه الأرض السعيدة للتصرف فيها لقائل أن يقول

ان آنفا كانت آهلة بسكانها الذين كانوا يملكون دورها ومتاجرها وفنادقها ويستغلون بساتيها وأجنتها بالملك والتصرف برسوم شرعية توارثها الخلف عن السلف ثم أصيبوا برزية البرتغال الذين حطموها وأحرقوها وصارت أثرا بعد عين وجهل سكانها واضمحلوا ولم يبق لهم أثر ولا خبر فما هي الحجة الشرعية في وضع اليد على هذه الأراضي وتملكها والتصرف فيها ؟

الجواب ان هذه المسألة تناولها التشريع الإسلامي بالدرس والتمحيص وتكلم عليها الفقهاء مما يشفي ويكفي وعلقوا عليها فصولا وهي المسماة عندهم باحياء موات الأرض والكلام عليها من وجوه

الأول النص الشرعي

والثاني التعريف للموات

والثالث أنواع الاختصاص الذي يمنع احياء الموات

والرابع ما يفتقر للاذن من الامام في احياء الموات وما لا يفتقر

والخامس الأعمال التي يمكن احياء الموات بها

فأما النص الشرعي فقوله عليه الصلاة والسلام (من أحيا أرضا ميتة فهي له) قال الرهوني هذا الحديث نسبه في الجامع الصغير للامام أحمد والترمذي — وأبي داوود — والضياء عن سعيد بن زيد رضي الله عنه قال المناوي في شرحه : قال الترميذي حسن غريب انتهى .

وهو في الموطأ ولفظه مالك عن هشام بن عروة عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال من أحيا أرضا الخ

ونقل عن تنوير الحوالك أنه وصله أبو داوود والترميذي والنسائي من طرف أيوب عن هشام بن عروة عن أبيه عن سعيد بن زيد ثم قال في الموطأ ما نصه

قال مالك عن ابن شهاب عن سالم بن عبد الله عن أبيه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه

قال من أحيا أرضا ميتة فهي له ، قال مالك وعلى ذلك الأمر عندنا انتهَى

وفي ابن عرفة ما نصه البخاري عن عائشة عن النبي ﷺ (من أعمر أرضا ليست لأحد فهو أحق بها) قال عروة قضَى بها عمر بن الخطاب في خلافته ونقل عن النسائي عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ (من أحيا أرضا ليست لأحد فهو أحق بها)

تعريف الموات نقلا عن شروح خليل

فقال ابن غانم موات الأرض هي التي لا نبات بها لقوله تعالى «فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا» فلا يصح الاحياء إلا في البور وعرفه ابن الحاجب بقوله

الموات الأرض المنفكة عن الاختصاص وهذا التعريف تبع فيه ابن شاش وابن شاش تبع فيه الغزالي وتبعهم خليل فقال موات الأرض ما سلم عن الاختصاص بعمارة ولو اندرست ومعنَى الاختصاص أي لا اختصاص فيها لأحد

أنــواع الاختصاص

فقد قال ابن شاش الاختصاص أنواع

أولا العمارة فمن أعمر أرضا بالأسباب التي ستذكر فهي له ولو اندرست

وفيه تفصيل فإذا كان الاندراس طويلا مرت عليه مدة طويلة ثم أحياها غيره فهي للثاني .

لما جاء في المدونة من أحيا أرضا ميتة ثم تركها حتّى اندرست وطال زمها وهلكت أشجارها وتهدمت آبارها وعادت كأول مرة ثم أحياها غيره فهي لمحييها الثاني

فقال ابن يونس قياسا على الصيد إذا اصطاده أحد ثم أفلت ولحق بالوحش وطال زمانه ثم صاده غيره فهو للثاني

قال مالك وهذا إذا أحيا في غير أصل كان له

فأما من ملك أرضا بهبة أو شراء ثم أسلمها فهي له وليس لأحد أن يحييها

وإذا لم يطل الاندثار ولم تطل المدة وأحياها ثان ، ففي التوضيح عن ابن رشد وانما يكون الثاني أحق إذا طالت المدة بعد عودته إلى الحالة الأولى

وأما ان أحياها ثان ، ولم يطل الاندثار فإن كان عن جهل منه بالأول فله قيمة عمارته ، قائمة للشبهة ، وان كان عن معرفة فليس له إلا القيمة لعمارته منقوضة بعد يمين الأول وهو أن يقول ان تركه إياه لم يكن اسلاما له وأنه على نية عودته وزاد الحطاب وينبغي أن يفيد بأن لا يكون عن علم بعمارة الثاني ، وإلا كان سكوته دليلا على تسليمه إياه هذا التفصيل على مذهب ابن القاسم وذكر بناني قولا لسحنون قال أنها للأول وان أعمرها غيره حكاه عنه صاحب البيان وحكا قولا ثالثا وهو ان كان قريبا من العمران فالأول أولى بها ، وان كان بعيدا فالثاني أولى بها

قال وهو عندي صحيح على ما في المدونة ، ان ما قرب من العمران ما يحيا الا بقطعة من الامام

فكأنه صار ملكا وبقيت الفصول للطول تركنا للقارئ مراجعتها في كتب الفقه وبالله التوفيق

عمارة المدينة

وكلف المسؤولون بالمدينة الخبراء لتصميمها وتخطيطها والأغلب على الظن أنهم لم يتبعوا هندسة مدينة آنفا في التخطيط وشيد بها بيت مال تحصينا لأموال الدولة بأمر من السلطان .

قال الزياني في كتابه الترجمان في ولاية مولاي اليزيد ابن السلطان سيدي محمد سنة 1204هـ أنه قدم إلى الدار البيضاء وفتح بيت مال بها وأخذ منه مليونين ولم يبين المعدود والأغلب على الظن أنه من المثاقل والسلطان سيدي محمد بن عبد الله كما أمر ببناء بيت المال بالدار البيضاء أمر ببنائه في كل مرسى من مراسي المغرب وكانت تفتح بيوت الأموال عند تمام كل ثلاثة أشهر ويعطي منها العسكر كل ثغر مرتب كل ثلاثة أشهر سواء منهم الحاضر أو الغائب كما في كتاب الاتحاف لابن زيدان في ترجمة السلطان سيدي محمد بن عبد الله وفتح باب الهجرة للمدينة فقصدها سكان الشاوية ودكالة وتجار المدن كفاس والرباط وسلا وفتح دفترا لتسجيل المهاجرين الراغبين في الحصول على محلات السكنَى ، والمهاجرون المسجلون من الشاوية ودكالة كانوا يحصنون المحلات التي كانت تمنح لهم بالزرب وهو نبات شوكي يحصنون به أهل البادية المآوي للغنم ويسمون المأوَى بالزريبة فأطلق على هذا الكناش كناش الزرائب

قال في المصباح الزرب حظيرة الغنم والجمع زروب مثل فلس وفلوس والزرب بالكسر لغة والزريبة مثله والجمع زرائب مثل كريمة وكرائم انتهَى

وكانت هذه البقع تمنح دون عوض ثم فرضوا عليها تعويضا تافها سنويا وعين لكلّ ناحية من نواحي المدينة قيمة فإذا أراد رب البقعة شراءها فيدفع من القيمة 60٪ مقسطا على السنين ترغيبا للهجرة ويعفَى من الباقي وهو 40٪ وقسموا المدينة بحسب القيمة إلى أقسام

قسم للأغنياء والتجار والأجانب ومحل القناصل والمصرف ــ هو ناحية الباب الكبيرــ الذي هو الآن فسحة محمد الخامس إلى ضريح سيدي بوسمارة إلى باب المرسى إلى ضريح للا تاجة إلى فسحة دار قنصل ألمانيا هذه الناحية ، كان من نصيب التجار أهل الحاضرة ، والتجار الأجانب وقناصل الدول والقسم الثاني للمتوسطين نواحي باب مراكش ووسط المدينة ، والقسم الثالث أغلبهم سكان أهل البادية وهو حي التناكر الذي كان يعج بالنوالات ثم جعلوا يبدلونها بالبناء بالحجر فصارت المدينة كلها مبنية ولا يوجد بها كوخ وكان في أول الأمر اقبال المهاجرين في الهجرة قليلا جدا إلى ولاية السلطان مولاي عبد الرحمان

وقد وقفت على تأليف الشريف سيدي العربي ابن مولاي عبد الله بن محمد



القائد السيّد أحمد بن العربي صحبة أعوانه داخلا إلى المحكمة التي هي حاليا المقاطعة الأولى.

الوزاني الرباطي يسمى بلوغ المنى والأمل في تراجم من لقيناه من أهل الفضل والكمال ، ترجم فيه لعلماء الدار البيضاء وغيرهم ومن جملة من ترجم لهم ولي الله السيد محمد بن العربي الدلائي الحراقي طريقة الذي هاجر إلى الدار البيضاء من الرباط وبنَى بها زاويته بالدار البيضاء في ولاية مولاي عبد الرحمان وكان القائد آنذاك للدار البيضاء السيد محمد بن ادريس الجراري لودي

ونقل في كتابه أن المدينة كانت خالية من السكان في ذلك الوقت وكان بها نحو العشرين دارا ولم يكن بها دار للنصارَى الا دار فريول في عصر السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان

وفي ولاية هذا القائد زاد عمرانها وكثر بناؤها حتَّى ضاق المسجد العتيق بالمصلين ، فكتب العامل للسلطان سيدي محمد بن مولاي عبد الرحمان في بناء مسجد وحمام ، فبنَى جامع السوق والحمام الذي بقربه واشتغل الشيخ باصلاح زاويته

تخطيط المدينة

نرَى في وضعية المدينة من حيث التخطيط أنها خططت على طرق عصرية هندسية بتوسيع الشوارع وتخللها بساحات فسيحة على غرار ما نراه في المدن العصرية وعلى سبيل المثال فإن فسحة محمد الخامس داخل المدينة يمتد منها شارعان رئيسيان الأول الشارع المعنون بشارع شكيب أرسلان الموجود به جامع السوق فإن هذا الشارع يتعدى في اتساعه نحو العشرة أمتار وبعد نحو خمسين مترا نجد ساحة فسيحة وتصلح للعب الأطفال وللتجمع البشري ثم نجد سوق الأحذية المسمى درب أكناوة ، نجد ساحة أخرى فسيحة مفتوح فيها شارع آخر على اليمين يبلغ في اتساعه نحو العشرة أمتار وهكذا يمتد الشارع متخللا بساحات فسيحة والشارع الثاني الرئيسي الممتد من فسحة محمد الخامس المسمى شارع الكمندان بروفو مفتوح في أوله على اليمين شارع سوق الزرع وهو عبارة عن فسحة كانت سوق الزرع للمدينة قبل الاحتلال ، ثم يمتد الشارع نحو الخمسين مترا

نجد ساحة أخرى مفتوح فيها شارع دار المخزن ، وبعده بنحو العشرين مترا نجد

ساحة أخرى مفتوح فيها شارع آنفا وبعده نجد فسحة أخرى مفتوح فيها من اليسار ساحة أخرى وبعده يمتد بنحو العشرين مترا نجد شارع قنصلية اسبانيا الذي كان حيا للتجار الاسبانيول ودار قنصلية اسبانيا وبعده بنحو العشرة امتار نجد شارع قنصلية الانجليز التي كانت بها دار قنصلية الانجليز وبعده بنحو عشرة أمتار نجد ساحة أخرى تسمَّى ساحة التجارة يمتد منها شارع يوصل إلى ساحة أخرى تسمَّى شارع الأميرال فليبس وبعد هذا الشارع بنحو العشرة أمتار نجد ساحة أخرى فسيحة مفتوح فيها دار قنصلية ألمانيا وهكذا جميع الشوارع وبالاجمال نجد في كل شارع رئيسي ساحات واسعة

دعانا إلى هذا الوصف ردا على ما ذكره الدكتور فيسجرير في وصف أزقة المدينة بالضيق والاعوجاج والوسخ والقادورات

وكانت الأزقة معبدة مرصفة مدرسة بالمسن وهي أحجار صماء تجلب من شاطئ البحر بأحجام صغيرة لهذا الغرض

والترصيف بهذا المسن يمنع تلوث الأزقة بالطين عند نزول المطر والمهاجرون كانوا يبنون دور سكناهم بالبقع التي منحت لهم كل على قدر طاقته ووسعه

وكانت الدار مجهزة بالبير وخزان للماء يسمَّى مطفية يجمع ماء المطر وماء البير كان يستعمل لغسل الدار وأواني المطبخ وماء المطر كان يستعمل لغسل الثياب ولشرب الشاي ، والماء الصالح للشرب كان يجلب من عين السبع في راويات مصنوعة من عود مخصوص مربوطة بحلق من حديد وتسمى البراميل وكل راوية تحمل على عدل والعدل يحمل على حمار أو بغل والراويتان تسمى زوجة وكان السقاة يحملونه ويبيعون الماء للسكان وكان الماء أيضا يجلب من سانية أولاد حدو في قرب محمولة على بهائم وكان لأهل الثراء والغناء أعيان المدينة اسطبلات لبهائم الركوب من بغلة أو فرس وحمار أو بغل لنقل الماء من عين السبع وبقرة للحليب وكان لبقر المدينة راع خاص ، فيذهب خادم الدار عبد أو أمة بالبقرة إلى باب الرخا قرب ضريح أبي الليوث حيث يكون الراعي هناك في الانتظار فإذا اجتمع البقر يسوقه الراعي إلى مرعَى بعين السبع أو غيره وفي العشي يروح بها الراعي إلى باب الرخا حيث اجتمعت فتذهب كل بقرة إلى منزل ربها تلقائيا دون سائق

تنظيف المدينة

كان السكان يجمعون ما كنسوه من قمامات الدار (الأزبال) في أوعية خاصة ويطرحونها بأبواب الدور وكان عملة خاصة مكلفين بتنظيف المدينة يطوفون على الأزقة في كل يوم ويحملون تلك القمامات على بهائم حمير أو بغال وكل طائفة من هؤلاء العمال كانت مكلفة بتنظيف أحياء خاصة وبسبب ذلك كانت الأزقة في غاية النظافة شبه ما هو الحال اليوم وكانت طائفة من اليهود مكلفين بتسريح قنوات كنوف المدينة وكانوا يجتمعون في محل خاص ، وكان هذا التنظيف من وظيف المحتسب في نظام الدولة العلوية

عثرنا على ظهير شريف للسلطان مولاي الحسن في تعيين نفقة تنظيف الأزقة من مستفادات المجزرات مؤرخ بعاشر ربيع الأول 1296هـ توجد نسخة منه بقسم الوثائق بمكتبة تطوان العامة

تسمية بعض الأحياء بالمدينة العتيقة

ومادمنا نتكلم على تخطيط المدينة فنجد فيها بعض الأحياء لها أسماء مضافة إلى أعلام تاريخية مثل درب الكرواوي ، ودرب اللبادي ، ودرب الميلودي ، ودرب الكباص ، ودرب أكناوة ، ودرب سبع برم ، وذرب ابن سعيد

فيجدر بنا أن نلم بتاريخ هذه الأعلام ليكون القارئ على بصيرة منها

فدرب الكرواوي يوجد مدخله قبالة الزاوية الناصرية

والكرواوي هذا هو الحاج الكرواوي السعيدي كان من أغنياء الدار البيضاء ووجهاءها ويظهر لنا أنه كان محميا لبعض الدول ـ وقفنا على بعض الوثائق التي تتعلق به ـ

1 ـ الوثيقة الأولى مؤرخة في 11 صفر عام 1295هـ موافق 14 / 2 / 1878 مضمنها جواب من الحاجب السلطاني موسَى بن أحمد للأمين الحاج محمد بن العربي الطريس حول امتناعه من أداء واجب الباب وصدور الأمر إليه بضرورة الأداء .

هذه الوثيقة موجودة بالمكتبة العامة والمخطوطات بتطوان بالمحفظة رقم 34 / 79

2 والوثيقة الثانية مضمنها جواب حسني شريف إلى العامل الحاج محمد بن العربي الطريس حول مطالبته بأداء ما بذمته من دين لبعض التجار الأمريكان وايداعه السجن هذا الجواب مؤرخ جمادى الثانية 1297هـ موافق 12 / 6 / 1880م واستفدنا أنه كان محميا لبعض الدول من رفع قضيته للسلطان

توجد هذه الوثيقة بالمكتبة العامة لتطوان بمحفظة رقم 34 / 79

ودرب اللبادي فهو مضاف للحاج مَحمد بن محمد اللبادي التطواني كان أمينا بمرسى الدار البيضاء ، واشترَى أملاكا بها وصار من الملاكين بها وهذا الدرب يوجد مدخله قرب فسحة سيدي علال القيرواني وقفنا على وثائق تاريخية تتعلق به منها رسالة أرسلها إلى الأمين الحاج محمد بن العربي الطريس يخبره فيها بموافقة الجلالة الشريفة على طلب اعفائه من خدمة الأمانة وتعيين خلف له مؤرخة 22 ربيع الأول عام 1295هـ موافق 26 / 3 / 1878 هذه الوثيقة موجودة بالمكتبة العامة بتطوان بالمحفظة رقم 70 ، 62 ووثيقة أخرى تتضمن رسالة منه إلى العامل الطريس يوصيه بمساعدة محمد سلامة فيما كلفه به من السهر على مصالحه بالدار البيضاء

وانها توجد بالمكتبة السالفة الذكر ، بالمحفظة رقم 98 / 13 مؤرخة 19 رجب 1297هـ موافق 27 / 6 / 1880م

ومحمد سلامة هذا يظهر من الوثائق التي عثرنا عليها ، أنه كان وكيلا عاما على قبض الأكرية للأملاك بما في ذلك أملاك المخزن وساءت أخلاقه وتدهورت أحواله فتقاعد على ما بذمته من أموال الناس وأودع السجن بأمر مولوي

وسنتكلم عليه في ولاية السلطان مولاي الحسن

أما درب الميلودي فيوجد عن اليسار الداخلي من باب مراكش وهو ينتسب إلى القائد الميلودي بن محمد سمي الدرب باسمه لسكناه به ، كان قائدا على مديونة وزناتة وفضالة في عصر السلطان مولاي الحسن وسنتكلم عليه في عصر هذا السلطان الجليل ان شاء الله وبقي هذا الاسم منسحبا على ذلك الدرب إلى احتلال فرنسا للدار البيضاء . فعين محمد الكباص قائدا على الدار البيضاء . فوجد الدار المعدة

لقائد الدار البيضاء مشغولة بسكنَى الشريف محمد المراني نائب السلطان بها فسكن الكباص بدرب الميلودي فأطلق على الدرب المذكور اسم الكباص وبقي ساكنا به إلى سنة 1331هـ فترقّى إلى الوزارة

(درب حمام سبع ابرم)

وأما درب حمام سبع أبرم جمع برمة مثل غرفة وغرف

هذا الحي يشاع على ألسنة المسنين من الأهالي انه سمي بهذا الاسم لأنه شيد على أنقاض حمام من عهد مدينة آنفا بقي أثره فأطلق عليه هذا الاسم ولا ندري هذه البرم التي وجدت بالحمام هل هي متصلة به أو مفترقة

وهذا الحي يوجد خلف الكنيسة المسيحية بالمدينة العتيقة

(درب أكناوة)

يطلق هذا الاسم على قرية يسكنها متجمع بشري من الأفارقة السود أغلبهم من غانا ولهم زي خاص وهذا الاسم صار يطلق بالغلبة على ما جاور القرية من أحياء ويوجد مثلهم في جميع المغرب

والذي يظهر أن هذا الاسم جاء من غانا أو غينيا كأنه جمع غاني وهو جمع على غير قياس ، إذ جمعه مذكر سالم يقال غانيون رفعا وغانيين جرا ونصبا

أما كناوى فعالى فهو جمع لفعلاء اسما ووصفا كصحراء وعذراء ويجمع كرسي على كراسي لقول ابن مالك

وبالفعالي والفعالَى جمع صحراء والعذراء والقيس اتبعا
واجمل فعالى لغير ذي نسب جدد كالكرسي تتبع العرب

(درب بنسعيد)

هذا الدرب يوجد قرب حي سيدي فاتح ، ودرب لفرينة

وبنسعيد هذا رجل من أهل فاس كان يسكن بالدرب المذكور فاشتهر به ، وهو من أهل عصرنا لنا معرفة به وقد توفي

عناصر سكان الدار البيضاء بالمدينة العتيقة

تقدم لنا أن السلطان سيدي محمد بن عبد الله لما أنشأ المدينة نقل لها جالية من أهل حاحة تعزيزا لجيش البخاريين بقصد حراستها وفتح باب الهجرة

فهاجرت إليها طائفة من الشاوية وأغلبهم من قبيلة مديونة وأولاد حدو لهراويين الرواجع والمعارف وأولاد المجاطية والرغاغية وأولاد مومن وغيرهم ودكالة

كما هاجر إليها أهل الحضر وأغلبهم من فاس نخص بالذكر منهم على سبيل المثال لا على سبيل الحصر عائلة بنجلون التويميين منهم الاخوة الحاج عبد الواحد ، والسيد محمد والسيد عبد الرحمان أبناء لحسن بنجلون التويمي وأبناء عمهم السيد هاشم وعائلة بنكيران نخص بالذكر منهم الاخوة السيد الحاج عبد الكريم والحاج عبد المجيد والسيد العربي والسيد أحمد والسيد الفاتحي أبناء الطيب بن كيران وأبناء عمهم

وعائلة بن أحود وعائلة بنيس ، وعائلة برادة وعائلة أبو زكري وعائلة بن زاكور والشرفاء العلميون نخص بالذكر منهم السيد أحمد العلمي والسيد محمد والسيد بنعثمان والسيد العربي وغيرهم

والشرفاء اليعقوبيين السيد محمد ، والسيد أحمد والسيد مَحمد والسيد عبد العزيز

والشرفاء الطاهريون نخص بالذكر منهم سيدي ابراهيم الطاهري

ومن أهل الرباط عائلة المستاري ، وعائلة ولد الضاكة وعائلة الزيادي وعائلة أمبيركو ومن أهل سلا عائلة بوشنتوف وعائلة كلزيم ، ومن أهل تطوان عائلة افتيح وعائلة عكور ، وعائلة ابريشة ، وعائلة اللبادي وعائلة ابن المفتي وهؤلاء العناصر كلهم كانوا يتعاطون للتجارة

ومن غيرهم عائلة الصهاجي ، وعائلة ابن أمسيك ، وعائلة ابن حمان ، وعائلة الأخيري ، وعائلة ابن العيساوي من أولاد حدو ، والهراويين كثير

فجاء أهل حاحة بما جبلوا عليه من طبيعة الجد والحزم والأنفة والشاوية ودكالة

بما طبعوا عليه من الشجاعة وكرم الضيافة وأهل الحضر أغلبهم من فاس بما طبعوا عليه من المدنيةّوالحضارة فتجاوروا وتساكنوا وتصاهروا وامتزجوا مع بعضهم بعضا فتخلق كل عنصر بطبيعة جاره فانصهروا في بوتقة الفضيلة من الجد والصفاء والوفاء والصدق وكرم الضيافة وحب من هاجر إليهم وايثارهم على أنفسهم فخرج مهم جيل طيب لهم ماض جميل يحسدون عليه ويحق الافتخار به وهذا الماضي هو الذي أظهر أحد أبناءهم النجباء السيد أحمد زياد في صدر كتابه لتاريخ الحركة الفكرية بالمغرب حنينه واشتياقه إليه بقوله وإذا قيل فيما يمكن أن يقال في هذا الكتاب أني أحن إلى ماض مضَى وانقضَى فإنني أعلن إصراري على التمسك بهذا الحنين وبهذا الماضي إلى أن يظهر في هذا العصر الحاضر الذي نعيشه ما يمكن أن ينسيني محاسن ذلك الماضي بكل ما يحيط بجيدها من لآلئ المروءة والصفاء والوفاء ومن القدرة على الخلق والابتكار ومن نفس طويل كان وسيظل مضرب الأمثال في بلدنا إلى أن يجد ما يكون قادرا على نسخة بأحسن منه وصدق أحمد زياد فإن محاسن هذا الماضي يتجلى في فضيلتين أولاهما تتجلى في طبيعة كرمهم وجودهم على طائفتين من الناس أولاهما العدول المنتصبون لتلقي الشهادات وتحرير الرسوم

وقد كانوا يغدقون عليهم من كرمهم حسبما يطلبه العدل مهم وبالأخص في تحرير رسوم الأملاك من بيع وهبة وشراء وصدقة وحبس ووصايا وتركات واراثات ومخارجات ومحاسبات وقد كانوا يعطوبهم أجورا خيالية الشيء الذي قيل في حقهم ان العدل بالدار البيضاء أحسن حالا من القاضي في بلد آخر ماديا

والطائفة الثانية العلماء الذين كانوا يردون عليهم بقصد الاقراء والتدريس وقد كانوا يتكفلون لهم بالانفاق عليهم وعلى عائلتهم واسكانهم

من ذلك لما ورد عليهم الفقيه العلامة السيد علي بن منصور الدكالي قاموا بالاحسان إليه والانفاق عليه هو وعائلته واسكانه مدة مقامه عندهم إلى أن توفي بشهر قعدة عام 1329هـ ودفنوه بضريح سيدي أبي الليوث

ثم ورد عليهم الفقيه العلامة السيد محمد بن عمر دنيا الرباطي وقد فرضوا له من أموالهم ما يكفيه من الراتب الشهري واسكانه هو وعائلته إلى أن توفي بالدار البيضاء بتاريخ ربيع النبوي عام 1331هـ ونقل جثمانه إلى الرباط مسقط رأسه

ثم ورد عليهم الفقيه العلامة السيد محمد بن عبد القادر الحريزي فأحسنوا إليه

بالانفاق عليه وقد تصدَّى أحد أعيان الدار البيضاء وهو الحاج محمد بن جدية المنسوب إليه الدرب المشهور بالدار البيضاء فصاهره بنته ومنحه دارا لسكناه وبقي تحت اكرامهم وانفاقهم إلى أن توفي بالدار البيضاء

ثم ورد الفقيه العلامة سيدي محمد الزويتن فتباروا بالاحسان إليه والانفاق عليه هو وعائلته ومنحه أحد أعيان الدار البيضاء وهو السيد أحمد بن عبد السلام التليدي البيضاوي دارا من الدور الكبار لسكناه فسيحة الأرجاء ذات طابقين وبقي بها إلى أن منحه على سبيل العطية أحد تلامذته الأسخياء وهو الطالب السيد أحمد بن الجيلالي براد من أعيان جالية حاحا بالدار البيضاء قطعة أرض نحو أربعمائة مترا قرب قصر المعرض فبناها بإعانة المحسنين مهم دارا فسيحة الأرجاء شبيهة بمنازل الوزراء وبقي بها إلى أن توفي بتاريخ محرم 1370هـ

ثم ورد عليهم الفقيه العلامة السيد عبد الرحمان بن محمد النتيبي فتلقوه باحتفاء واحتفال والاحسان إليه هو وعائلته إلى أن أثرى من فتوحاتهم فاشترَى دارا بحي لفرينة بالمدينة العتيقة وبنَى بها مسجدا للصلاة والدراسة وبنَى فوقه دارا فسيحة الأرجاء وبقي بها ساكنا إلى أن رغب منه سكان المدينة الجديدة في الانتقال عندهم ، فاشترَى بدرب كرلوطي قطعة أرض وبنَى بها مسجدا للصلاة والدراسة وبازائه مطحنة وبنَى فوقها دارا ذات طابقين لكثرة عياله واسعة الأرجاء

والفضيلة الثانية ناتجة عن شجاعتهم تتجلى في وطنيتهم وكفاحهم وقدرتهم على الخلق والابتكار فبتاريخ 17 قعدة 1348هـ موافق 16 مايو 1930 صدر الظهير البربري الذي أعده الاستعمار للتفرقة بين عناصر الأمة المغربية والقضاء على وحدتها

قام المغرب من أقصاه إلى أقصاه بالاستنكار والتظاهر في المساجد بقراءة اللطيف وصدر الأمر بمحاكمة المتظاهرين وإثر صلاة العصر بمسجد جامع السوق تظاهر المصلون بتلاوة اللطيف احتجاجا واستنكارا على هذا الظهير المشؤوم فسيق المصلون كلهم وجلهم من أعيان الدار البيضاء إلى المحكمة بقصد محاكمتهم

فكان الباشا السيد الطيب المقري مترئسا للجلسة مع المراقب المدني وكان رحمه الله دفاعا على الناس يسأل كل واحد مهم على حدة هل شارك في المظاهرة باللطيف فمن أنكر أطلق سراحه ومن اعترف حكم عليه بثمانيه أيام سجنا وجل المحاكمين اعترف فحكم بثمانية أيام سجنا.

الحركة العلمية والثقافية في الدار البيضاء
قبل الحماية الفرنسية وبعدها

لم تكن مدينة الدار البيضاء قبل الحماية الفرنسية تختلف عن باقي الحواضر والبوادي في المملكة المغربية في مجال التعليم وفي طرق مناهجه فقد كانت الحركة العلمية ترتكز على أسس ومراحل ثلاث

أولها الكتاب القرآني

ثانيا حلقات الدروس في العلوم الإسلامية في الفقه واللغة العربية والحديث والتفسير الذي كان يقوم بالقائها عدد من الفقهاء البارزين في مساجد الدار البيضاء

ثالثا حلقة الدروس التي كان يعقدها الطلبة في منازلهم بكيفية دورية

كان الكتاب في حواضر المغرب وبواديه يلعب دورا هاما في تعليم النشء الكتابة وحفظ القرآن وطرق رسمه وكان بالدار البيضاء عدة كتاتيب لا يخلو منها حي داخل الدرب وعلى قارعة الطريق وكان يسيرها عدة أساتذة تخرج على أيديهم عدة طلبة حفظوا القرآن وأتقنوا رسمه

فمن هؤلاء الأساتذة السيد علال بضريح الولي الصالح سيدي علال القيرواني والفقيه السيد عبد الفاضل مع معينيه سيدي لحسن قرب فسحة التجارة والطالب السيد محمد الطويل بضريح سيدي فاتح والفقيه سيدي محمد الأعرج بشارع سيدي فاتح ، والفقيه سيدي أحمد الحداوي قرب جامع السوق ، والسيد الهواري الدكالي بالزاوية الناصرية ، والسيد عبد العزيز الدكالي بالزاوية الحمدوشية والسيد حميد الشيظمي بجامع الشلوح ، والسيد محمد المكناسي بجامع أولاد مومن ومادمنا نتكلم على الكتاتيب القرآنية يجدر بنا أن نلم بترجمة شيخنا وعمدتنا السيد محمد اغربي التطواني

ترجمته

ومن الأساتذة الذين يستحقون الذكر والتعريف لما امتاز به من خصائص في

مناهج تعليمه شيخنا الأستاذ المقرئ المجود الحكيم السيد محمد أغربي التطواني

ومن حسن حظي أن ألحقني والدي بكتاب هذا الأستاذ الجليل وأنا في سن الطفولة منذ طور التعليم في الحروف الهجائية إلى أن توفي رحمه الله

قدم هذا الأستاذ للدار البيضاء من مدينة تطوان بقصد الاقراء والاستيطان حوالي 1320هـ أول القرن العشرين الميلادي وقد كان رحمه الله يكتري دارا واسعة الأرجاء متعددة البيوت ويجعلها كمدرسة نموذجية لحفظ القرآن وتجويده وضبط رسمه وقد أقبل عليه أعيان الدار البيضاء ووجهائها لالحاق أبناءهم بكتابه وكان يخيرهم في بقاء أولادهم محروسين بالكتاب من الشروق إلى الغروب ويرسلون إليهم وجبة طعام الفطور والغذاء وكان بعض آباء التلاميذ اختار هذه الطريقة خوفا على أولادهم من الاتصال بأبناء السوء المنحرفين وكان والدي رحمه الله فضل هذه الطريقة ، وكان يخصص الحجرة الكبيرة للدراسة ويخصص بيتا له للأكل والنوم وبيتا آخر لأمتعته الخاصة به وبيتا آخر للتلاميذ المحروسين لتناول طعامهم ووجبة الفطور والغذاء ، وله أنظمة خاصة به

منها الاستراحة ــ الرياضة ــ تعليم الرماية بالحجر أو بالرصاص ــ طريقته في تسهيل حفظ القرآن ــ طريقته في الحفلة المسماة بالزردة ــ إلمامه بصنع بعض الأدوية للتلاميذ

أما نظامه في الاستراحة ، كان يبتدئ القراءة من طلوع الشمس إلى الزوال فيطلق سراح التلاميذ الخارجيين لتناول طعام الغذاء ويبقَى التلاميذ المحروسون داخل الكتاب

ثم يدخل بيته الخاص به لينام وكان أحد التلاميذ الكبار مكلفا بتعليم التلاميذ الداخليين المحروسين الخط والكتابة في تلك الفترة وبعد الظهر يرجع التلاميذ من منازلهم ويستيقظ من نومه ويستأنف القراءة إلى وقت العصر فيذهب إلى بيته لتناوله طعام الغذاء بعد أن يأمر التلاميذ بالكف عن القراءة من أجل الاستراحة والرياضة فينطلق التلاميذ للعب والرياضة وسط الدار

فإذا فرغ من طعام غذائه ، رجع واستأنف التلاميذ القراءة إلى وقت الغروب فينطلق الجميع إلى منازلهم

وهذه الاستراحة قد عرفناها قبل مجيء الفرنسيين إلى المغرب وقد سبقهم إليها والرياضة وتعليم الرماية من نظامه

كان رحمه الله إذا كان يوم الخميس الذي هو يوم عطلة في جميع كتاتيب المغرب ومدارسه ، يأمر التلاميذ المحروسين كل واحد منهم يأتي بقرش – والقرش نصف عشر الريال – فيشتري بهذه القروش السكر والشاي والحلوى ، وكان يملك خنجرا وسيفا وبندقية بما يعد لها من البارود والرصاص وبعد تناول طعام الغذاء من يوم الخميس يخرج بالتلاميذ المحروسين إلى شاطئ البحر محل مسابح البلدية بالدار البيضاء الآن ، ويحمل معه زربية ولبدة لجلوسه والصينية والكؤوس والابريق ومجمر الكاز والشاي والسكر والحلوى ويتأبط خنجره داخل الجلباب ويخرج معه البندقية وما يحتاج لها من البارود والرصاص ، فيجلس على الزربية ، فينطلق التلاميذ للعب والرياضة وصيد السمك

فمن أنواع الرياضة التي كنا نستعملها كان التلاميذ ينقسمون إلى قسمين ويبتعد القسمان عن بعضهما نحو عشرة أمتار وكل قسم يبني أمامه بنايات من الأحجار وبين البنايتين نحو المترين وكل قسم يرمي بنايات القسم الآخر المقابلة له وهذه الرماية تسمَّى لعبة البناني

وفي بعض الأحيان كان الأستاذ يعلم بعض التلاميذ الكبار الرماية بالرصاص فكان يبني أحجارا واقفة ويملأ البندقية بالبارود والرصاصة فيأمر التلميذ الذي يريد أن يعلمه بالجلوس أمامه ويصوب البندقية جهة البناية ويأمره بوضع يده على الزناد وبعد تحققه من الهدف يأمر التلميذ بالضغط على الزناد فيصيب البناية وكان تعليمه للرماية دوريا الواحد تلو الآخر

ومن أنواع الرياضة أن يقف أحد التلاميذ في دائرة محددة ولا يخرج منها ويقف على رجل واحدة ويحلق الباقي من التلاميذ به ويضربونه بأيديهم على كتفه وظهره ، وهو واقف على رجل واحدة ، ويركلهم بالرجل الأخرى وكل واحد يحتاط ويشمر ليلا يصاب بركلة رجله ومن أصيب منهم كان عليه أن يقوم مقامه في الوقوف والضرب على كتفه وظهره

ومن أنواع الرياضة كان التلاميذ ينقسمون إلى قسمين يمثلون فرقتين كل فرقة تحت رئيس وكانوا يقطعون النبات الذي يصنع منه الحصر المسماة بالسمارة وكل

واحد يقطع منه حزمة ويربطها ربطا ويشدها بيده كسلاح فيقع نزاع بين الفرقتين ويهجم بعضهم على بعض وسلاحهم ذلك النبات فيشتبك البعض بالبعض فتستحيل المعركة إلى مصارعة بين الطرفين كل واحد يصارع خصمه كمصارعة اليبانيين في عصرنا وبعض التلاميذ يذهب إلى صيد السمك

ومن الرياضة المسابقة على الأرجل فيعينون المبدأ والغاية فإذا انتهَى التلاميذ من أنواع الرياضة نادَى عليهم الاستاذ لشرب الشاي وأكل الحلوَى فيوزع عليهم الحلوَى بالعدل

ذات يوم خرجنا على العادة فلما انطلقنا للعب والرياضة إذا بفارسين من البدو كانا مارين فاختلطا بالتلاميذ فظن الأستاذ بهما شرا فسل خنجره وجلس على ركبتيه وتحفز للوثوب عليهما ان بدا منهما شر ولكن الفارسين اكتفيا بالتعرف على حال التلاميذ فرجعا لحال سبيلهما فاطمأن الأستاذ وجلس

طريقته في تسهيل حفظ القرآن

كان رحمه الله يأمر التلاميذ الكبار الذين يحفظون القرآن عن ظهر قلب أن يقرأوا جماعيا خمسة أحزاب في كل صباح فيختمون القرآن في ظرف اثني عشر يوما ثم يعيدونه مرة أخرى وهكذا دواليك ويأمر التلاميذ الذين لم يبلغوا مستواهم أن يجلسوا في حلقة القارئين وحسبهم السماع والانصات ويأمر التلاميذ الصغار الذين يحفظون خمسة أحزاب الأخيرة من حزب يسبح إلى حزب سبح أن يقرأوا جماعيا كل يوم حزبا فيختمون خمسة أحزاب في خمسة أيام، ثم يعيدونها مرة أخرى وهكذا دواليك ، ثم يأمر التلاميذ الصغار الذين لم يبلغوا حزب يسبح أن يجلسوا معهم وحسبهم الانصات والسماع

ومن وصل في لوحه الحزب السادس أو السابع عليه أن يجلس في حلقة الكبار وحسبهم الانصات والسماع بسبب هذه الطريقة يسهل حفظ القرآن ويثبت

وهذه الطريقة أعطت نتائج مرضية فكان التلميذ إذا كتب لوحه وراجعه ثلاث مرات أو أربع مرات يحفظها بسبب ما تقدم له من السماع

عادته في صنع طعام الزردة

الزردة عبارة عن ما يصنع للاحتفال عند بلوغ التلميذ مرحلة من مراحل القرآن

كحزب تبارك والرحمان ويَس وطه فكان التلميذ إذا وصل مرحلة من هذه المراحل في جميع الكتاتيب تزخرف له لوحه من حواشيها ويكتب وسط الزخرف بعض الآيات بخط جميل ويذهب بلوحه إلى عائلته تشجيعا له وتنشيطا على حفظ القرآن فتفرح بها العائلة

وكان من العادة أن يهيئوا له طعاما للتلاميذ والطلبة يسمَّى ذلك الطعام الزردة وكانت هذه العادة شائعة في جميع كتاتيب المغرب

أصل هذه الكلمة من اللغة العربية ، جاء في المصباح زرد الرجل اللقمة يزردها من باب تعب زردا ابتلعها وازدردها مثله

وفي القاموس زرد اللقمة كسمع بلعها كازدردها

فعلى ما في المصباح مصدرها زَرَداً وعلى ما في القاموس مصدرها زَرْداً والذي يظهر أن تسمية هذا الطعام بالزردة من باب تسمية الشيء باسم ما يؤول إليه على حد قوله تعالى «إنِّيَ أراني أَعْصِرُ خَمْراً»

وكما أن الطعام يؤول إلى الازدراد كذلك أن العنب بعد عصره يصير خمرا والذي يظهر أيضا أن التاء في الزردة للوحدة لا للتأنيث ، كما في قوله تعالى «إذْ قَالَتْ نَمْلَة» فألتاء فيها للوحدة لا للتأنيث

وهذه الكلمة اطلاقها على الصنيع المذكور المعد للطلبة والعلماء خاص بالقطر المغربي في اصطلاحهم ولا نعلمها لغيرهم ولها اطلاقة أخرى لغوية

جاء في القاموس زردة ــ قلعة بدار تنك وجبل بشراز وككتف للسريع الابتلاع وقد تناولها بعض الأدباء في أشعارهم

فمن جواب السيد أحمد بناني قاضي الرباط في قصيدته التي أجاب بها صديقه السيد أحمد الزعيمي الرباطي في شأن ديك كان أهداه السيد الحاج الطاهر الشرقاوي للقاضي السيد أحمد بناني المذكور

جاء في هذه القصيدة

وهيئوا بطونكم لزردة تفصل
فطورها فرتونة (*) تسقط لها الحوامل

(*) الفرتونة : عند أهل الرباط هي الحريرة .

ثم أتاي معه غريبة وقرشل
بغريرها منوع مسكر معسل
وكفتة من فوقها بيضة كل تجعل
ثم دجاج بعدها الصحيح والمفصل
ثم شراب قهوة عن حسها لا تسأل
والطيب عم نفعه قري ومندل
وماء ورد عاطر زينه قرنفل
وروض أنس باسم والبسط فيه شامل
حيث يكون قيّماً ذاك الهمام الفاضل
أعني أبا رقية والغير ملغًى مهمل
فإنه يأتي بما يهتز منه المحفل
إذ لا يحرك ولا يرتاح منه الزنبل
ولا فنيق سكر من رميه لا يقلل
إلى آخر القصيدة

وكانت عادة الأستاذ في هذه الزردة أن لا يكلف بصنع هذا الطعام من التلاميذ إلا من كان حافظا من القرآن ما قرأه عن ظهر قلب والحافظون له على ثلاثة أقسام الأغنياء ــ والمتوسطون ــ والضعفاء

1 ــ فالأغنياء يتوسعون في ألوان صنع الطعام على قدر حالهم من الغناء من لحم ودجاج وغير ذلك

2 ــ والمتوسطون يقتصرون على صنع ثلاثة صحون أو أربعة صحون من الكسكس عليها لحم وخضر وقالب من السكر وربع رطل من الشاي

3 ــ ومن دونهم في اليسار يقتصرون على صنع الفطور وهي عبارة عن مائدة مملوءة بالسفنج وقالب من السكر وربع رطل من الشاي فإذا حضرت المائدة قام أحد التلاميذ الكبار باذن من الأستاذ فيوزع السفنج على التلاميذ بالعدل

وهذا الطعام المسمَّى بالزردة تارة يستدعي والد الطفل الأستاذ ومن معه من التلاميذ والطلبة لمنزله ، وتارة يأتي بالزردة إلى الكتاب .

ويوم الاحتفال يقدم التلميذ للأستاذ نصف ريال ويكون ذلك اليوم يوم عطلة

إلمام الأستاذ بعلاج بعض الأمراض وبالأخص أمراض الجلد

كان رحمه الله يصنع دواء لمن أصيب من التلاميذ بقروح أو بثور أو جرب فيفحصه ويعطيه دواء وهذا الدواء على نوعين أحدهما أقوَى من الآخر وكلاهما دهن فيعطيه ما يناسب مرضه فيدهن به فيشفَى وفي بعض الأحيان كان يصنع مسهلا من أوراق السنا المعروف بسنا حرام والورد والنافع والزبيب الأحمر

فيعزل أوراق السنا من عيدانه ويقول أن العيدان تحدث الوجع في البطن ويطبخ الجميع ويصفي ويتناول من كان به امساك وقبض كأسا كبيرا عند الصباح قبل الفطور وكان يصنع الخل من عصير الرمان فيصفي العصير ويجعله في زجاجات ويسد عليها محكما ويعلقها وسط الدار عاما كاملا وعند تمام العام يكون خلا جيدا

ومن خصائصه صنع سبائك الذهب

وكان رحمه الله يصنع سبائك الذهب ولا نعلم بما يصنع وكيف يصنع وكان صنعه لها في بعض الأحيان سرا عندما يحتاج للمال ذات يوم دفع سبيكة ذهب لأحد الطلبة المخلصين له لتباع بسوق الصياغين اليهود فأعلمه بأنها بلغت بالمزاد العلني ستين ريالا فوافق على بيعها

وعندما كان مريضا مرض الموت كانت سبكة تروج في محل جلوسه وكنا نظنها قطعة حديد لأنها كانت مصبوغة بسواد ، فأخبرنا أحد التلاميذ إلذي كان يلازمه وهو السيد محمد بن الحاج الطاهر القدميري بأن هذه القطعة من ذهب فانكرنا عليه وقلنا انها حديد فأخذ موسَى وكشطها فإذا هي تلتهب التهاب الذهب

وهذه القطعة أخذها عمه الحاج بوعزة القدميري الذي تولى تجهيز جنازة الأستاذ عند موته

وطنيتـه

وكان رحمه الله وطنيا خالصا ، فعندما احتلت فرنسا الدار البيضاء ووقع الحرب بينها وبين الشاوية كان له أصدقاء يأتونه بنتائج الحرب فإذا أخبروه بهزيمة فرنسا

واندحارهم يظهر فرحا وسرورا فيجمع التلاميذ فيخبرهم بانهزام فرنسا وانتصارات الشاوية عليهم ، ويبقي متتبعا للأخبار إلى أن استسلمت قبائل الشاوية ، وبقيت المذاكرة في الميدان ، فتأتيه الأخبار بانتصاراتهم فيعلم التلاميذ بها وفي تلك الفترة تأخر أحد التلاميذ وهو أحمد بن الحاج ادريس المسفيوي عن الحضور وقت الظهر إلى وقت العصر فسأله عن سبب تأخره فاعتذر بتأخر طعام الغذاء فلم يكتف الأستاذ بهذا العذر فأمر بالاتيان بالفلاقة[39] وجلده وكان الطفل حادقا يعرف نفسية الأستاذ فلما أدنوه للجلد استجار بقبيلة المذاكرة بأن قال أنا مزاوك في المذاكرة فتبسم الأستاذ وأطلق سراحه

ومن حسن سمعة هذا الأستاذ أنه سمع بحاله الشيخ سيدي محمد بنعبود السلاوي شيخ التربية في عصره فقدم لزيارته ، فاحتفل له وفرح بقدومه وكان هذا الأستاذ رحمه الله في شهر شعبان يهيء حفلا فاخرا يستدعي له الطباخة تصنع له طعاما فاخرا من لحم ودجاج وبسطيلة ويستدعي لها آباء التلاميذ ، وكان جلهم من أعيان المدينة ووجهاءها فيكون ذلك اليوم عنده يوم فرح وسرور رحمه الله رحمة واسعة

سبب مرضه وموته

كان له رحمه الله ابن أخ مكفول له كولده يعينه داخل الكتاب وخارجه

ذات يوم أغفل هذا الولد عمه واختلس له جميع ما يملك ، فلما شعر به عمه وتحقق بغدره شل نصفه وخرس لسانه فبقي مريضا إلى أن توفي رحمه الله

وكان من أمر هذا السارق المجرم أن اتصل بالحمارين أصحاب النقل بالبهائم وعقد معهم شركة بأن اشترَى لهم بغالا وما يحتاجون للنقل فلما توصلوا بالبهائم وكانت تحت حوزهم أنكروه وغدروا به وهددوه بالقتل فجزي بمثل فعله وصدق عليه قول الله تعالى «مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ»

وقول الشاعر

(39) الفلاقة بفاء ولام ألف وقاف مفتوحات وتاء مربوطة عصا قصيرة سميكة مفتوح وسطها بفتحتين مربوط بالفتحتين وسطها حبل قصير يجعل فيه أرجل المعاقب وترفع ليجلد بالسوط .

أنت بما قد سقيت شارب
من صفاء كان أو كدر

وكانت عاقبة هذا الغادر أن افتقر ومرض وجلس على قارعة الطريق يتكفف إلى أن توفي

ولازلنا نتكلم على المرحلة الأولى من مراحل التعليم

فإذا انتهَى التلميذ من حفظ القرآن أو الاشراف على حفظه فينتقل إلى المرحلة الثانية ، وهي اشتغاله بحفظ المتون كمقدمة ابن اجروم وألفية ابن مالك ، والمرشد المعين لابن عاشر وتحفة الحكام لابن عاصم والرسالة لأبي زيد القيرواني إلى آخره

ومن هذه المرحلة ننتقل إلى حلقات الدروس على بعض العلماء والفقهاء الأذكياء الذين كانوا يكرسون جزءا من وقتهم لأداء رسالتهم العلمية التي لا يخفَى آثارها في ميدان المحافظة على مقوماتهم الدينية والفكرية وركائز الأصالة التي طبعت الشعب المغربي طول عهود التاريخ

وفي أثناء هذه الدروس كان الطلبة ينكبون على دراسة المراجع المختلفة لتوسيع مداركهم العلمية والثقافية

وكان بالدار البيضاء علماء أكفاء في الفقه والأدب والحديث والتفسير والأصول والبيان والمعاني والعروض كل عصر ورجاله

في عصرنا الحاضر كان العلماء الذين يتدارسون العلم في مساجد الدار البيضاء ، يكرسون أوقاتهم في تثقيف الطلبة ، منهم الفقيه العلامة السيد محمد أزويتن الفاسي رحمه الله فأول ما قام به أن فتح درسا لرسالة ابن زيد القيرواني بجامع الشلوح بين العشائين وكان هذا المسجد يغص بالحاضرين

وكان يشرح المتن بشروح الرسالة ويتوسع بشروح خليل ويحكي الأقوال ويتفصل على القول الراجح أو ما جرى به العمل مستدلا على ذلك بنصوص الفحول

وكان يخلل بمواعظه ونصائحه من علم التصوف يخص ذلك لعوام الناس بقصد النصيحة والارشاد

وكان له درس خاص بالطلبة في شرح ألفية ابن مالك في جامع الشلوح من

الساعة العاشرة إلى الزوال وكان صنيعه في التدريس إذا جلس وحلق الطلبة يقرأون المتن جماعيا فإذا انتهوا منه شرع في الدرس ويقول تقدم لنا بالأمس ويحكي الدرس مجملا ، ثم يقول الآن يقول المصنف ويقرأ متن الدرس ثم يبينه مجملا ثم يفصله تفصيلا

وكان يقرر بشرح الامام الماكودي وله قارئه وشرح الموضح لابن هشام وله قارئه

وكان يحكي في الدرس أقوال الشراح في المسألة من البهجة للسيوطي والشيخ ياسين والاشمني وابن عقيل ثم يبينه مجملا فيكون بهذا الصنيع فتح مدارك الطلبة للتوسع في مسائل الفن والبحث عن دقائقه ، ويختم الدرس بقراءة القارئ للمكودي والقارئ للموضح وكانت له دروس أخرى مع الطلبة في باقي العلوم الإسلامية ضربنا عن ذكرها صفحا اكتفاء بما تقدم توفي رحمه الله شهر المحرم 1370هـ

ومن العلماء الذين كانوا يلقون دروسهم بالدار البيضاء ، الفقيه العلامة الصوفي المحدث المفسر السيد علي بنمنصور الدكالي كان معتكفا بالزاوية القادرية للدروس الليلية والنهارية

وممن تخرج عنه الفقيه العلامة السيد محمد بن ملوك الحداوي البيضاوي توفي رحمه الله

ومن العلماء الفقيه العلامة السيد محمد بن عمر دينيا الرباطي كان يلقي دروسه بالجامع العتيق بين العشاءين ودرسا مع الطلبة بالنهار

ومن العلماء الأجلاء الفقيه العلامة السيد محمد بن ملوك الحداوي البيضاوي السالف الذكر قرأ مختصر خليل وألفية ابن مالك قراءة تحقيق وتدقيق

وكان الفقيه العلامة الشريف مولاي أحمد بن المامون البلغيثي لما تولى القضاء بالدار البيضاء فتح درسا مع العدول والطلبة بتحفة ابن عاصم وختمها صباحا ودرسا آخر في التفسير والحديث بين العشاءين

ومن الفقهاء البارزين والعلماء المحققين الفقيه العلامة السيد عبد الرحمان بن محمد النتيفي

فكان يدرس الشيخ خليل والرسالة يتناولها بالخلاف العالي فيأتي بالمسألة وما قيل فيها في المذاهب الأربعة وغيرهم مستدلا على كل مسألة بالكتاب والسنة

وكان هذا شأنه في الدروس الفقهية والحديثية

وفي العربية كان يأتي بتوجيهات النحويين واللغويين ويستدل على كل وجه بكلام العرب من شعر ونثر وهكذا شأنه في قراءة الأصول والبلاغة

قرأنا عليه مقدمة ابن السبكي فكان يأتي بالعجب العجاب

وكان حافظا حجة ، في ليلة المولد درس الآية الكريمة «لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ إِلَى ٱلْعَظِيمِ» فتناولها بأربعة عشر علما أملَى فيها نحو ثلاث ساعات ، وكان يميل إلى السلفية ، ودرس مع الطلبة عدة فنون

ومن الفقهاء المعتمدين السيد محمد بن عبد القادر الحريزي ، درس متن الشيخ خليل ورسالة ابن زيد القيرواني وألفية ابن مالك ولامية الزقاق ولامية الأفعال وتحفة ابن عاصم وكان مهاجه في التعليم أن يقتصر على ما جاء في الشرح والمحشي ويوضح ذلك توضيحا حتَّى يقوم الطلبة محصلين على فائدة كبرَى

ومن الفقهاء المحققين الفقيه العلامة الشريف مولاي أحمد العلمي قدم إلى الدار البيضاء في أوائل الأربعينات بعد آستعفائه من وظيف القضاء بمدينة الصويرة بقصد نشر العلم بها تدريسا وإفتاء ، فقد كان مقصودا للفتوى في النوازل الفقهية وكانت فتواه تنير السبيل في حل المشاكل للقضاة لما آمتاز به من الوضوح والبيان كان يدرس مع الطلبة تحفة ابن عاصم وألفية ابن مالك ولامية الزقاق ولامية الأفعال قراءة تحقيق وتدقيق ، وكان يخلل دروسه بمواعظ ونصائح من علم التصوف للعوام والطلبة توفي بمراكش بعد الرحيل إليها وكانت وفاته في 8 ربيع الأول عام 1358 ودفن بضريح سيدي آمحمد ابن سليمان الجزولي

ومن العلماء الأجلاء الذين كانوا يلقون الدروس بالمساجد بالدار البيضاء مهم الفقيه العلامة المفسر المحدث الصوفي السيد محمد بن علي البيضاوي المدعو ولد عائشة هذا العالم بعد احتلال فرنسا للدار البيضاء سنة 1907 بنحو العامين سافر إلى الحجاز بقصد أداء فريضة الحج وهو شاب ولم يحصل إلا على مبادئ قليلة من

العلم ، وهاجر إلى المدينة المنورة واستوطنها وأخذ العلم عن علماء الحرمين ومكث في المدينة إلى سنة 1935 موافق 1353 فرجع للدار البيضاء بعلم غزير متبحر في العلوم في الكتاب والسنة والفقه

وشرع يلقي دروسه الإسلامية من تفسير وسنن وفقه على المذهب المالكي

وكان رحمه الله قد أعطاني ترجمته لشيوخه الذين أخذ عنهم العلم من علماء الشرق وبالأسف ضاعت لي هذه الترجمة ، وكان موصوفا بالتقوَى والورع ، وبقي يلقي دروسه بمسجد جامع ولد الحمراء مثابرا على القاء الدروس ، وكان المسجد يغص بالحاضرين لما يبديه بالدرس من ذرر وغرر إلى أن مرض رحمه الله بالشلل فلازم بيته إلى أن توفي رحمه الله بيوم الأحد 19 يبراير سنة 1961م وفي أثناء غيبته سافر من المدينة إلى الشام بعد الحكم التركي في الحرب العالمية الثانية ثم رجع إلى المدينة

وبعد وفاته رحمه الله وقع بأيدينا تأليف له في المناسك تحت عنوان الطريق السالك في المناسك جمع فيه ما أفترق في غيره يغني القارئ عن المطوّلات

ومن العلماء الأجلاء الفقيه العلامة الأصولي المفسر المحدث اللغوي سيدي زين العابدين ابن شيخ التربية في وقته الصوفي سيدي محمد بن عبود فرغما عن كونه كان متوليا خطة القضاء بالدار البيضاء كان يلقي درسين أحدهما بالليل والآخر بالنهار في التفسير والحديث بنفس عالي وكان في آخر الأمر يختم الدرس الليلي بجامع ولد الحمراء بدرس آخر يعلم فيه العوام قواعد النحو يشرح فيه مقدمة ابن أجروم وكان يلقن الحاضرين المتن يقرأونه جماعيا ثم يشرع فيه بالشرح والبيان انتفع منه عدة عوام

ولازال متابعا على الدرس إلى أن مرض وأجريت له عملية جراحية وتوفي بسببها

ومن العلماء الأجلاء الفقيه العلامة السيد العربي بن أمبارك السلاوي وقد كان يلقي الدروس في مساجد الدار البيضاء من تفسير وحديث وفقه وألفية ابن مالك والحكم العطائية وغيرها انتفع منه عدة طلبة .

ومن العلماء الأجلاء الفقيه العلامة السيد القائد اسما ابن بوشعيب الهراوي البيضاوي كان يلقي دروسه في الفقه والعربية والحديث والتفسير بجامع الشلوح وجامع ولد الحمراء ، وانتفع منه عدة طلبة ولازال متابعا دروسه إلى أن مرض بمرض الشلل فلزم بيته ولازال في حالة مرض الى أن توفي رحمه الله

ومن العلماء الأجلاء الفقيه العلامة السيد المفضل الحريزي الغماري قد كان قاضيا بالشاوية وأعفي وانخرط في سلك العدول بالدار البيضاء وتصدَّى لتعليم العلم بالدار البيضاء وكان يلقي دروسا في العربية بألفية ابن مالك والفقه بشروح خليل ورسالة ابن أبي زيد القيرواني ولازال على حاله إلى أن مرض ولزم بيته وتوفي رحمه الله

ومن العلماء الأجلاء الفقيه العلامة السيد الحسن بن مَحمد فتحا العبدي المسناوي كان يلقي دروسه بالجامع العتيق

ومن العلماء الأجلاء المحققين الفقيه الفلكي الحيسوبي الموقت السيد أبو بكر حركات السلاوي البيضاوي ، كان موقتا بالدار البيضاء ويتعاطَى خطة العدالة بها قرأنا عليه بجامع السوق (المنيا) لابن غازي في الحساب وفرائض خليل بالعمل وبقي موقتا بالدار البيضاء إلى أن توفي رحمه الله بها وقد أخبرني شيخنا سيدي محمد بن علي الدكالي مؤرخ سلا أن له ترجمة حافلة عنده للسيد أبو بكر المذكور وعدني بارسالها مع ترجمة الفقيه العلامة السيد أبو بكر بوشنتوف وحالت المنية دون ذلك مع شديد الأسف

المرحلة الثالثة

كان للطلبة بالدار البيضاء حلقات دروس علمية دورية في منازلهم ليلة الجمعة ، وكان الطلبة ينقسمون إلى قسمين الطلبة الكبار والطلبة الصغار وكل واحد منهما له جمع خاص

الطلبة الكبار يتكون جمعهم من الأمين الفقيه السيد محمد بومهدي الحداوي والفقيه السيد محمد بن ملوك الحداوي والفقيه السيد أحمد القصري الرباطي وأخينا الفقيه السيد أحمد المعروفي والفقيه السيد الرداد الدكالي وغيرهم ، فكانوا يجتمعون

على مدارسة العلوم الإسلامية من فقه وحديث وسيرة ويختمون دروسهم بتناول طعام العشاء ، وكان رئيسهم سيدي محمد بن ملوك

ولما توفي انتقلت الرياسة إلى السيد محمد بن بومهدي

وجمع الطلبة الصغار يتكون من تلامذة الفقيه السيد محمد زويتن وهم عبد ربه وأخي الفقيه السيد المختار المعروفي والفقيه السيد محمد بن عبد السلام السالمي الزياني والفقيه السيد عبد السلام بن أحمد بن قانية والفقيه السيد بوشعيب بن ملوك والفقيه السيد المختار السكوري والسيد ادريس بن الحاج قاسم الدكالي والسيد ابن ريان الحريزي والسيد بوشعيب الدكالي وكان ينخرط في سلكهم بعض الأصدقاء المحبين للعلم منهم السيد الحاج التهامي ولد عائشة المنسوب إليه الدرب المذكور ، والتاجر الحاج علي الدمناتي والسيد بوشعيب بن الفاطمي وكان جمعهم دوريا كل ليلة جمعة بمنزل أحدهم

وكانوا يدرسون في جمعهم مختصر الشيخ خليل ورسالة ابن أبي زيد القيرواني

وكانوا يخصون الدروس بالشهور الفاضلة بما يناسبها ، وكانوا يخصون شهر رمضان بدرس أحكام الصيام من فقه وحديث وربيع الأول بما يناسبه من دراسة الشفاء للقاضي عياض والمواهب اللدنية وشرح البردة والهمزية ، ويخللون جمعهم بتلاوة البردة والهمزية وكانوا يخصصون ذي الحجة بأحكام الحج والضحية ، والمحرم بدراسة أحكام الزكاة

وكانوا يقتصرون في طعام العشاء على الكسكس واللحم والخضر والشاي وكانوا يتناقشون في مسائل من العلم ويتجادلون في أحكامها الفقهية أو اللغوية أو حديثية أو نحوية

فإذا اختلفوا في مسألة أرجأوا حلّها إلى جلسة الأسبوع المقبل فيراجعون المسألة في مظانها ويحررونها تحريرا وفي بعض الأحيان كان كل واحد منهم يأتي بمسألة علمية يختار موضوعها من لغة أو فقه أو حديث أو نحو فيمليها في المجلس وكانت هذه الدراسة دورية وغالبا ما كنت أنا نأتي فيما نختاره من كتاب مغني اللبيب للامام ابن هشام ، هكذا كانت الحياة العلمية والثقافية في الدار البيضاء .

تأثير سكان المدينة القديمة العتيقة بطبيعتهم على نفسية سكان المدينة الجديدة في عوائدهم وتحضرهم

لما احتلت فرنسا الدار البيضاء سنة 1907م وكان مقامهم في المغرب متوقفا على بناء اقتصاد واسع النطاق يضمن لهم البقاء واستغلال خيرات البلاد ففكروا في بناء مرسى الدار البيضاء وأنشأوا معامل ومصانع لتحقيق هذا الهدف واحتاج الأمر إلى اليد العاملة وتقاطر على الدار البيضاء سكان المغرب من حواضره وبواديه من كل حدب وصوب فأنشئ لسكناهم المدينة الجديدة حي الحُبُس، ودرب كرلوطي، ودرب مارتيني ، ودرب الكبير ، ودرب الطلبة ، والمعاريف ، وعين الشق ، وعين السبع وغيرها من الأحياء وكان ممن عمر هذه الأحياء سكان المدينة العتيقة فبنوا بها دورا للسكنى ومحلات تجارية وبسبب مجاورتهم لهؤلاء المهاجرين الجدد ومخالطتهم لهم أثروا في عوائدهم في حفلاتهم وأعراسهم ومآتمهم

جاء في الكتاب المسمَّى المدينة الجديدة في الدار البيضاء درب كرلوطي في موضوع دراسة طبائع المدينة الجديدة الذي شارك في تأليفه عدة أساتذة فرنسيين بقلم «جان الوي ميج» بصحيفة 147 تحت عنوان سكان درب كرلوطي قسّم العائلات إلى ثلاثة أقسام برجوازية ومتوسطة وفقيرة

وبعدما بين أن القسم البرجوازي قليل قال ان القسمين الآخرين يتكونان من صناع الخشب التقليديين وقد جاء أغلبهم من المدينة القديمة ليكونوا قريبين من مكان عملهم حي الحبس وأسواق الحبوب وأن سمعة هذه المنطقة كانت طيبة

حيث أن دار المخزن كان مزمعا بناؤها هناك ، وقد كان سيبني فيها كبار الحمامات وأجمل القساريات وأحدث المعاهد ، وهذا العامل النفسي كان له دور يذكر على السّكان الذين كانوا في نفس الوقت متعلقين بتقاليدهم القديمة محبذين لكل تطور حديث ولكن أهم عنصر بشري في الحي هم أهالي (البوادي) قال الكاتب ومن 304 حالات درسوها 70 فقط أقروا أن أصلهم من الدار البيضاء وهذه الكمية كبيرة إذا ما قورنت ببقية أحياء الدار البيضاء وبصحيفة 25 قال والروابط القبلية التي تبدو في المدينة القديمة بقيت قوية هنا في .الدرب .

ثم جعل يصف سكان المدينة الجديدة وأن زيارة بعضهم إلى قراهم ليست من النوادر

وكثير مهم يعود مرة في السنة إلى باديته ، فمن بين أربعين عاملا درسوا حالتهم 23 عاملا يرجعون إلى قبائلهم وبشكل عام في الصيف وقت الحصاد حين يقل الطلب على العمال في المعامل كذلك أن أغلب العمال يرسلون النقود إلى عائلتهم في البادية والمراسلة بين العمال وأهليهم كثيرة ولكن هذه الروابط تفككت في بعض الأحيان وخاصة وأن السكان أصبحوا حضريين ومستقرين فالأولاد يولدون في الدار البيضاء ثم يكبرون ويتزوجون ويشعرون أنهم أصبحوا بيضاويين ، وهناك تأثيرات أخرى تلعب دورا وليست هذه التأثيرات هي المتعلقة بالحياة الجديدة في المدينة أو التأثيرات الأروبية فحسب ، وإنما هناك عوامل أخرى أهم وهي تتعلق بالمجتمع الذي تحضر منذ مدة طويلة ، وأخص بالذكر منها تأثير العرب وهم أهالي فاس وأهالي الدار البيضاء القدماء (البيضاويين الأصليين)

ونواة المجتمع البيضاوي مؤلف من هؤلاء البيضاويين والفاسيين وحتّى ولو كان الرأي السائد أنهم أقلية وهذا عامل اجتماعي عام في الدار البيضاء عام 1907 أظهر الاحصاء وجود خمسة وعشرين ألف (25.000) مغربي مستقرين منذ زمن طويل في المدينة ، وعام 1912 كان في الدار البيضاء حوالي أربعين ألف مسلم وإذا أضفنا لهذا العدد السكان الذين سكنوا في الدار البيضاء فيما بعد والذين جاءوا إليها من بقية المدن نجد أن مجمع السكان القدماء (أي البيضاويين والفاسيين) هو أكبر مجموع

وقد كان لهم دور الاطار الأصلي بتحضر السكان الذين جاءوا من القرَى وخاصة في الأحياء الجديدة مثل درب كرلوطي انتهَى

وسيأتي لنا بقية الكلام على تطور هذه الأحياء عندما ستتكلم على تطور المدينة والتوسع السكني ان شاء الله .

المعاهد الدينية للمدينة القديمة
وبالأخص المساجد المعدة لإقامة
صلاة الجمعة (المسجد العتيق)

أول مسجد بني بالمدينة العتيقة على تقوَى من الله ورضوان هو هذا المسجد المجاور لمقر الحكومة دار المخزن التي تحولت الآن المقاطعة الأولى بالمدينة العتيقة ويوجد تاريخه مكتوب على رخامة بباب هذا المسجد نص ما يوجد فيها

بسم الله الرحمان الرحيم أسس هذا المسجد في عهد السلطان المقدس سيدي محمد بن عبد الله عام 1201 هجرية ، وزاد في رحابه السلطان الهمام مولانا الحسن عام 1308 هجرية وفي خامس شوال 1377 هجرية عندما أدَّى به فريضة الجمعة جلالة أمير المومنين وناصر الملة والدين سيدي محمد الخامس أيده الله لاحظ أنه يضيق بالمصلين فأمر دام علاه وزارة الأوقاف بهدم الدور والحوانيت الحبسية المتصلة به وضمها إلى رحابه كما أمر أن يهد مناره ويشيد من جديد فتم ذلك وفق أمره وشريف نظره في أواخر شعبان الأبرك عام 1379 هجرية وصارت مساحته 3866 متر مربعا بدلا من 1783 مترا وقد قام حفظه الله بتدشينه يوم الجمعة 28 من شعبان المذكور أبقاه الله عن الدين ذائذا ولمعالمه بانيا ومشيدا انتهَى ما كتب بالرخامة

ملاحظة

ان الزيادة فيه من السلطان مولاي الحسن غلط من الكاتب ، وانما كانت هذه الزيادة من الناحية المجاورة للمقاطعة الأولى من الصومعة إلى آخره في عهد السلطان مولاي عبد العزيز ، فقد وقفت على رسالة في موضوع الزيادة في جواب من السلطان مولاي عبد العزيز إلى ناظر الأحباس السيد ادريس بن محمد الفيلالي مؤرخ 1320هـ أطلعني عليها ولده السيد أحمد وطلبته في أن يسلمها فظن بها

جامـع السـوق

شيد هذا المسجد في عهد القائد السيد محمد بن ادريس الجراري لودبي الذي

كان عاملا على الدار البيضاء في عهد السلطان مولاي عبد الرحمان وولده السلطان سيدي محمد

وفي كتاب بلوغ المنَى والآمال . فيمن لقيناه من أهل الفضل والكمال ترجم فيه لولي الله السيد محمد بن العربي الدلائي الدرقاوي الحراقي طريقة الذي هاجر من الرباط إلى الدار البيضاء

نقل عنه أنه كانت الدار البيضاء خالية من السكان في أوائل عصر السلطان مولاي عبد الرحمان ، ولما زاد نموها وكثر عمرانها طلب السيد محمد بن العربي الدلائي المذكور القائد السيد محمد بن ادريس الجراري أن يسعَى في بناء مسجد آخر لضيق المسجد العتيق بالمصلين فكتب القائد المذكور للسلطان سيدي محمد ابن مولاي عبد الرحمان يلتمس منه بناء مسجد آخر وحمام حيث أن الدار البيضاء لا حمام بها فأجابه بزيادة بناء مسجد وبناء حمام والانفاق على المسجد من غلة الحبس وعلى بناء الحمام من مستفاد مرسى الدار البيضاء ، وقد تعرض سيدي أحمد الناصري في الاستقصاء في ولاية السلطان سيدي محمد بن مولاي عبد الرحمان لهذا الخبر الجزء 9 صحيفة 127 طبع الدار البيضاء

أما الأرض التي بني عليها المسجد فقد أخبرني قائد الدار البيضاء ومديونة السيد أحمد بن العربي رحمه الله رحمة واسعة أن الأرض التي بني عليها المسجد كانت مملوكة لامرأة تسمَّى عناية بنت الدراوي وكان لها ولد يسمى الهاشمي ولد مكراز وكان هذا الولد أحدث في هذه الأرض روضا وغرس فيه أنواع الرياحين من ورد وقرنفل وزهر وغير ذلك وحفر فيها بئرا وبنَى محلا بالقصب جعله مقهَى لأهل البلاد كان الناس يجتمعون في ذلك الروض ويتناولون فيه شرب الشاي والقهوَى إلى أن حبست تلك الأرض شك القائد المخبر هل من الأم أو من الولد ولما ورد الأمر ببنائها كلف القائد محمد الجراري المذكور ببناء مسجد السوق المعلم محمد أجضاهيم البنّاء وكلف المعلم محمد أبو الزرع ببناء الحمام ، وكلاهما من جالية أهل حاحا محترفان بمهنة البناء وبقي كذلك إلى أن ضاق بالمصلين ، واستدعى الأمر للزيادة فيه وكان للمحسن الحاج عبد السلام بن أحمد بومهدي الحداوي البيضاوي الذي كان أمين الصائر للسلطان سيدي محمد بن يوسف دار مجاورة للمسجد المذكور من ناحية غروبه ، فتبرع بها ابتغاء مرضاة الله وزيدت في المسجد فاتسعت رحابه من يومئذ وهي التي توجد بها خصة الماء للوضوء .



الجامع الكبير بالدار البيضاء ، أخذت صورته في أواخر القرن التاسع عشر .

جامع ولد الحمراء

هذا الجامع يوجد بجوار السور المفتوح فيه باب مرسَى الدار البيضاء وولد الحمراء هذا من قبيلة أولاد مَحمد فرقة من قبائل لعشاش المنتمين لقبائل مزاب وسيأتي لنا الكلام عليه في عصر السلطان مولاي سليمان في حوادث 1208 هجرية

وبابه من جهة الغروب مؤرخ بـ 1204 وفي هذه السنة توفي السلطان سيدي محمد بن عبد الله الذي جدد الدار البيضاء وتولى ولده مولاي اليزيد ولا ندري هل بني في عصر السلطان سيدي محمد أو في عصر السلطان مولاي اليزيد ويحتمل أنه ابتدى بناؤه في عصر السلطان سيدي محمد وتمم في ولاية ولده مولاي اليزيد والشائع على السنة المسنين من سكان الدار البيضاء أن السلطان مولاي اليزيد هو الذي أمر بتسقيفه

ويوجد بباب صومعته تاريخ بنائها سنة 1310 هجرية في آخر عهد السلطان مولاي الحسن ، الشيء الذي يدل على أن السلطان مولاي الحسن هو الذي أمر ببناء الصومعة وما حولها وهو من أكبر المساجد بالمدينة القديمة

جـامـع الشـلـوح

هذا الاسم حادث وكان يسمَّى قبله جامع الكرمة نسبة إلى شجرة كرم كانت نابتة فيه لما كان كتابا لتعليم كتاب الله

وسبب تسميته بجامع الشلوح ما يحكي عن الأهالي المسنين منهم أن حراسة المدينة في الليل كانت موكولة لجالية شلوح حاحا الذين أتى بهم السلطان سيدي محمد بن عبد الله لحراسة المدينة وقد تقدم الكلام عليهم وكانوا يجتمعون كل يوم عند العشي بباب الجامع المذكور فيوزعهم رئيسهم للحراسة فينطلقون من باب المسجد ، وبسبب ذلك نسب المسجد إليهم ولما دعت الحاجة لجعله مسجدا تقام فيه صلاة الجمعة تكلفت وزارة الأحباس والأوقاف ببناءه وبناء صومعته ولما ضاق بالمصلين زيد فيه الدور التي كانت مجاورة له وكانت هذه الزيادة في عصر ناظر الأحباس سيدي ادريس الفيلالي

الزاوية القادرية

الذي تولى بناءها وجعلها مسجدا تقام فيه صلاة الجمعة وهو السيد الحاج المعطي بن الكبير بن المدني المزمزي قائد سطات ونواحيها وبنَى مجاورا لها بعض الأملاك وحبسها عليه لتصرف علتها في إقامة حفلة المولد النبوي وما فضل يوزع على طلبة حفظة القرآن فكان في كل عام في ربيع الأول يقام ليلة المولد بصنع طعام وشراب وطيب وكان يختتن فيها أولاد الضعفاء والفقراء من أبناء المدينة من فتوحات الولي الصالح سيدي أبي الليوث كما سيأتي الكلام على ذلك

جامع السيد الكبير

يوجد هذا الجامع قرب ضريح سيدي فاتح ، والسيد الكبير هذا هو السيد الكبير بن محمد الحريزي المنسوب إليه درب الكبير . هو الذي بناه وجعله مسجدا تقام فيه صلاة الجمعة

ضريح الولي الصالح
سيدي أبي الليوث

تقدمت لنا ترجمته أنه من صلحاء آنفا وأنه مديوني وأن اسمه هو أبو حفص عمر بن هارون وتوفي سنة 595هـ وكانت الفتوحات التي يتقرب إلى الله بها صدقة على الفقراء كانت تجعل في صندوق يسمى ربيعة الشيخ وقفنا على ظهائر عزيزية تتعلق بوجوه صرفها نقلناها من الجزء الأول من اتحاف ابن زيدان صحيفة 439.

نص أولها

نأمر خديمنا الأرضَى ناظر أحباس الولي الصالح سيدي أبي الليوث بمحروس الدار البيضاء أن يكون يدفع الأجرة المتعارفة للمعلمين الذين يختانون الصبيان اليتامَى وأولاد الضعفاء بالزاوية القادرية هنالك ، وأن يكسوهم بما يناسب حالهم



ضريح سيدي بليوط المسمى في التاريخ أبو حفص عمر بن هارون
من صلحاء آنفا وأثر من آثارها .

كل عام وقت الاختتان من فتوحات الولي المذكور والسلام في 8 ربيع الثاني عام 1316.

ونص الثاني

خديمنا الأرضَى ناظر الشيخ أبي الليوث بمحروسة ثغر الدار البيضاء وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد فقد بلغ علمنا الشريف أن المرضي من الأفاقيين وأهل البلد الذين لا مأوَى لهم يمرضون في الطرقات وينقلون لبيوت خارج المدينة ويبقون هنالك حتَّى يموتوا جوعا وعطشا وقد اقتضَى نظرنا الشريف جمعهم بالبيوت التي قرب ضريح الشيخ المذكور فنأمرك أن تجمعهم فيها وتخص الرجال ببيوت منها والنساء ببيوت مها كذلك بعد أن تصلح ما لابد من اصلاحه منها وتزيد ما يتوقفون عليه من البيوت وتكون تدفع لكل مريض خبزتين أو ثمنهما في كل يوم ، ومن توفي مهم يقوم بتجهيزه ناظر المواريث ، ومن حصلت له العافية يتوجه لحاله وتسقط مؤونته ومن زاد تزاد له مؤونة أمثاله وهكذا

وقد أمرنا الخديم أحمد المديوني بالوقوف في ذلك وشد العضد فيه حتَّى ينفذ شريف أمرنا على مقتضاه والسلام في 6 قعدة عام 1318

ونص الثالث

خديمنا الأرضَى ناظر أبي الليوث وأحباس الدار البيضاء. الطالب ادريس الفيلالي وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد فقد وصل جوابك عما أمرت به من تنفيذ الخبز للمرضَى والأفاقيين وجعل البيوت لهم بانك نفذت ترتيب الخبز لهم من مستفاد الضريح المذكور غير أن العامل أطلعك على كتاب شريف بأن الصائر يكون من ربيعة الشيخ مع أن الربيعة تفتح على يد أمناء المرسَى والقاضي ويفرق ما يوجد فيها فالثلث على الضعفاء القاطنين بجوار الشيخ والباقي يصير في ختان اليتامَى وأبناء الضعفاء وتعين عليك أن تصير على المرضَى مما تحت يدك من المستفاد مبادرة لامتثال ما أمرناك به والعمل على ما يصدر لك ثلثاه من وفر الأحباس الكبرَى والثلث الواحد هو الذي يكمل من فتوحات الولي المذكور وما عداه من بقية الفتوحات ينفذ في مصالحه ووظائفه المعهودة فيه فليجر عملك عليه وقد كتبنا للقاضي والأمناء والعامل بمثله والسلام في 15 قعدة عام 1319هـ

الكنيسة المسيحية

من المعاهد الدينية بالدار البيضاء الكنيسة المسيحية توجد هذه الكنيسة بشارع طنجة

وقفت على أن السلطان مولاي الحسن أنعم على ملك اسبانيا بقطعة أرضية بالدار البيضاء لإقامة كنيسة مسيحية في وثيقة في فهرس الوثائق التاريخية المكتبة العامة والمحفوظات بتطوان تاريخ هذا الانعام 12 جمادى الثانية عام 1294 هجرية موافق 24 / 6 / 1877م المحفظة عدد 118، 4

وسيأتي لنا ذكرها بعصر السلطان مولاي الحسن

الحياة الاقتصادية بالدار البيضاء في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي

وقع بأيدينا توليف للدكتور ف. فايسيجيربر الفرنسي الذي زار الدار البيضاء سنة 1895 بقصد التعاطي لمهنة الطب فيها صورة ، وفي الواقع جاء بقصد تمهيد الاستعمار الفرنسي بالمغرب بتحرير التقارير عن المغرب ووضع الخطط الاستعمارية والمخططات الجغرافية

وهذا التوليف كان أهداه للجنرال داماد الذي كان احتل الدار البيضاء سنة 1907 واسم الكتاب الدار البيضاء والشاوية سنة 1900

نتركه يحدثنا عن الحياة الاقتصادية بالدار البيضاء من أسعار المبيعات من عقار وحيوان ومواد غذائية وأكرية الدور وغيرها كما يحدثنا عن حياة الأجانب بعدما بين لنا المعاملة بالنقود ، فبين لنا المعاملة بالمثقال الذي كان يستعمل في بيع العقار وكانت قيمته تساوي ثلاثين سنتيما فرنسيا وكان المثقال يقسم كما يأتي المثقال الواحد — عشر أوقيات — الأوقية — أربع موزونات — الموزونة ستة فلوس — والفلس ستة قراريط .

وهذه الوحدة النقدية كانت نظرية وكانت العملات المستعملة في الحياة اليومية ذهبية وفضية

الذهبية ـ اللويز ـ يساوي عشرين فرنكا فرنسية ـ وأربع ريالات مغربية

والفضية ـ الريال الحسني ـ ونصف الريال ـ وربع الريال

والريال عشرة دراهم ـ ونصف الريال خمسة دراهم ـ وربع الريال درهمان ونصف والدرهم عشر الريال ونصف الدرهم ـ القرش ـ والبسيطة درهمان

والعملة الاسبانية كانت تتبع العملة المغربية ، وحين وصوله إلى الدار البيضاء سنة 1895 كانت قيمة الريال والدورو تساوي أربع فرنكات فرنسية ، ولما نزل من الباخرة إلى الدار البيضاء فاستقبله المفتش الصحي في الباخرة وعرض عليه أن ينزل عنده في داره واتفق معه على أن يدفع له ريالا حسنيا في اليوم أكلا وشربا ونوما فأنزله في داره التي توجد الآن بزاوية بين زنقة الكمندار بروفو وزنقة قنصل اسبانيا التي تحمل الآن رقم 2 عن اليمين الداخل للزنقة فوصف لنا وجبة الطعام بأنها أولا البيض مسلوقا مع الطماطم ، ثم سمكا ثم طاجين بالخضر واللحم ثم دجاج مشويا ثم شلاضة ثم جبنا ثم فواكه ثم خمرا وقد تعجب في البداية لقلة ما يدفعه في مأكله ومبيته ولكن زال عجبه حين علم أن أسعار المواد الغذائية رخيصة ، وكان صاحب الدار الذي أضافه يتناول معه الطعام على طاولة واحدة وهو اسباني من جبل طارق وكان هو أول من علمه أحوال المغرب وقد أمن له خادما مغربيا بـ24 بسيطة في الشهر أي ما يعادل 19 فرنكا ذلك الوقت

وبعد نصف شهر من وصوله انتقل إلى دار أخرى بزنقة آسفي فيها ثلاث غرف ومطبخ ومراح مفروش بالزليج وغرفة على السطح يوجد بها حوش مغطًى مساحته نحو 100 متر مربع مع اسطبل للبهائم اكترَى هذه الدار كلها بثمان ريالات وقد أخبره بعض سكان الدار البيضاء بأن هذا الكراء غاليا وجعل يخبرنا عن حياته المعيشية بالدار البيضاء

العيش والحياة في الدار البيضاء

كانت الحياة في الدار البيضاء سهلة ومريحة. وكانت أجرة كراء أجمل الدور لا

تتعدّى إلا نادرا ستين بسيطة وكانت أجرة الخادم تتراوح من 15 و30 بسيطة في الشهر أي من 12 إلى 20 فرنكا وكانت وحدة الشراء القرش وهو نصف الدرهم 20 سنتيما وبقرش واحد كان يمكن شراء المواد الغذائية كرطل (800 غرام) من لحم الضأن أو البقر أو دجاجة صغيرة أو سمكة متوسطة أو مقلية أو خمس بيضات أو رغيف خبز عربي أو ثلاثة أرباع ليتر من الحليب أو بطيخة أو دلاحة أو 12 برتقالة أو رطل تين أو سلة من العنب أو قفة من الخضر مختلطة من جزر ولفت وبادنجان وغير ذلك

وبقرشين كان يمكن شراء دجاجة كبيرة أو حمامات أربعة وكان خمر المائدة أي الخمر البسيط المستورد من اسبانيا أو من الكناري كان يساوي 25 سنتيما لكل ليتر فجعل يصف لنا ثمن الخمور والخنزير

ثم قال وكان ثمن الخروف يتراوح بين 5 15 بسيطة حسب وزنه وحسب فصول السنة وكان ثمن البقرة بين 40 ، 100 بسيطة وبعد فترة طويلة من الجفاف الذي أصاب المنطقة رأينا الخروف يباع ببسيطة واحدة والبقرة بثمان بسيطات وكان ثمن الحمار يتراوح بين 20 إلى 30 بسيطة أما ثمن الحصان الذي كان يستعمل للحرث والحمل كان بين 30 إلى 60 بسيطة أمّا الذي يستعمل للركوب فقط كان بين 100 - أو- 150 بسيطة

أما الحصان الجيد كان بـ 200 بسيطة

وكانت البغلة التي تستعمل للركوب فقط مطلوبة عند وجهاء البلاد المغاربة وثمنها يرتفع إلى 500 بسيطة

وأمّا الشعير والقش أي التبن فكانا علفا للخيل والبغال وكان يكلف الحصان الواحد بحسب السنة بين 5 و15 بسيطة في الشهر ولذلك فإن كل الأوربيين كان لهم اسطبلات غنية بالأحصنة التي لابد من وجودها للتنقل في ذلك الوقت حيث أن أصغر رحلة كان لابد للقيام بها من قافلة.

الجالية الأوروبية

بعدما وصف حياة سكان الدار البيضاء شرع يتكلم على الجالية الأوروبية من حيث الكيف والكمية

كانت جالية الأوروبيين في الدار البيضاء أكبر جالية في المغرب ولكن بعد جالية طنجة

وكانت جالية طنجة تصل إلى عدة آلاف نسمة وأما الجاليات من المدن والمراسي المغربية الأخرى فكان عددها بعشرات الأوروبيين أما في فاس ومراكش فكان العدد قليلا جدا

أما الدار البيضاء فقد كان فيها جالية مؤلفة من (500) أوروبي تقريبا مهم (400) اسباني و(30) فرنسي وكذلك (30) انكليزي وألماني و(20) من جنسيات مختلفة وكل هؤلاء الأوروبيين أو معظمهم كان يتكلم اللغة العربية والاسبانية بجانب لغة كل واحد مهم

وكانت الدار البيضاء حركة لأربع قنصليات القنصلية الفرنسية والاسبانية والانجليزية والألمانية كذلك كان فيها (10) قنصليات بالنيابة أو عشر ممثلين قنصليين لايطاليا والبرتغال وبلجيكا وهولندا والنمسا وهنغاريا والسويد والنرويج والدنمارك واليونان والولايات المتحدة الامريكية والبرازيل وكانت أعلام هذه الدول تزين المدينة كل يوم أحد

وكان معظم التجار الأوروبيين يعيشون برخاء وغنى في الدار البيضاء ولكن لم نكن فيها ثروات كبيرة جدا وكان الناس يتكلمون عن واحد مهم كانت ثروته تتعدى المليون

وكان حق الأجانب بامتلاك العقارات في المغرب قد سمح به منذ معاهدة مدريد

ولكن شراء العقارات كان مرتبطا بموافقة المخزن ولم يكن المخزن يعطي موافقته في هذا المجال ولذلك فقد لجأ الأوروبيون إلى الحيلة فقد كان التاجر الأوروبي الذي يحتاج إلى بيت سكنَى ومستودع ، يتفق مع أمين المستفادات على أن يبني عمارة

تتناسب مع حاجته أن يدفع أجرة شهرية تساوي 60٪

وقد كان ثمن البناية الكبيرة في ذلك الوقت لا يتعدَّى 20 ألف بسيطة وقد توصل بعض الأوروبيين بالرغم من ذلك إلى أن يصبحوا ملاكين للأراضي وذلك في ضواحي الدار البيضاء وفي ذلك الوقت لم يكن لملكية العقارات أهمية كبرَى ، ولم يكن الناس يتسابقون وراء مثل هذه الممتلكات ولذلك فإن الأرض التي أصبحت فيما بعد مزرعة آميو وكان فيها دار للسكنَى وملحقاتها من بستان جميل مزروع بالأشجار هذه الأرض عرضها صاحبها الإسباني للبيع بمبلغ (20.000 بسيطة و(16000 فرنك) ولكنها لم تجد من يشتريها إلا بعد فترة طويلة جدا

ثم قسم الأوروبيين إلى ثلاثة أقسام

كان المغاربة يقسمون الأوروبيين إلى ثلاثة أقسام الباشادور (أو السفراء والوزراء) الذين كانوا يعيشون في طنجة برخاء وغني كبيرين والذين كانوا مخولين بجلب «فريكاتا» أي سفينة حربية مسلحة بعدة مدافع وذلك لمساندة طلبات مواطنيهم وأما في باقي مدن الساحل (القنصو) وهو رئيس النصارَى وكان يوزع بطاقات الحماية للناس وأخيرا التاجر وهو الذي يهتم بالبيع والشراء والتصدير إلى الخارج وكان يلجأ إليه في بعض الأحيان حيث يكون اجحاف من السلطات الشريفة وهؤلاء كلهم كان لهم امتيازات

وكان المغرب يحاول دائما أن يرد هذه الامتيازات له بواسطة هؤلاء لذلك فكان للأوروبيين في ذلك الوقت تقدير واحترام ، وان لم يكن المغربي يدعو الأوروبي (سيدي)

وهذه الكلمة تعي الخضوع لمن يدعى بها والمومن لا يطلق هذه العبارة على كافر

فإن المغربي كان يطلق عليه كلمة (تاجر) وهذه الكلمة أصبحت فيما بعد تعي الاحترام

وكان كثير من الأوروبيين لا يعرفون إلا باسمهم (وليس بكنيتهم أو اسم عائلتهم) مسبوقا بلقب تاجر وذلك لصعوبة لفظ أسماء هؤلاء على العربية وهكذا ، فإن اسم التاجر بيبي هو اسم بيب وكان اسم صاحب هذا اللقب **José** واسم تاجر

بوسبير Prosper بروسبير وتاجر بيدرو هو Pedro إلى آخره

ولم يفت هذا الدكتور أن سجل لنا ما سمعه من بعض ظرفاء سكان الدار البيضاء من الألقاب المضحكة التي أطلقت على بعض الأجانب تمثيلا لصورهم على سبيل المزح والتسلية قائلا وكان بعض الأوروبيين يطلق عليهم صفة أو لقب يحاكي شكلهم أو منظرهم وهكذا فقد دعي أوروبي بالبلارج أي اللقلاق لعظم أنفه وطول ساقيه وآخر بالموكة (أي البومة) لكبير رأسه ولقصر أعضائه ولوسع أعينه وآخر يدعَى أيضا بحلوف الغابة ، لقصره وكثرة شعره الغزير ورأسه الداخل بين أكتافه ولكثرة تأففه دائما ، وهذه السيدة الطويلة القامة كانت تنظر من أعاليها إلى الناس باحتقار وازدراء والتي كان نظرها ضعيفا ، كانت تنط رقبتها لتعرف الناس يسمونها بالناقة وأخرى لقبت بالملوية لتلويها الخ

ثم جعل يصف لنا حياة الأجانب في الدار البيضاء

كان كل الأوروبيين لهم اسطبلات غنى بالأحصنة فإن حرمة الأوروبي كانت تتطلب منه الظهور بمظهر الغنَى وكان لابد له من نقل خيام وأثاث وأدوات شخصية ومعدات النوم والسلاح والذخيرة وعدة أواني المطبخ وصحون كثيرة وسطول ودلاء ومصابيح وحبال وزاد كثير ، وكان يلزمه رجال لرفع الحمل على البهائم أو وضعه ورجال للاهتمام بالدواب وآخرين لسقاية الدواب

وكانت المياه غالبا بعيدة عن موضع الخيام ، وكان يحتاج إلى من ينصب له الخيام ومن يقوم له بطبخ الطعام الخ

وبعد كلام قال

وأوربيو الدار البيضاء يبدون وكأنهم حققوا الوحدة الأوروبية ، فقد كانوا يتّصفون بحسن الضيافة والاستقبال فيما بيهم وحتَّى بالنسبة للأجانب العابرين للدّار البيضاء

وكانت أعمالهم سهلة وإن لم تكن كثيرة الرّبح فقد كانت توفر لهم أوقات فراغ واستجمام تسمح لهم بالاستمتاع في المغرب

ولم يكن يوجد مقاهي في الدار البيضاء إلا أنه كان هناك ناديان نادي

آنفا[40] الدولي الذي تأسس عام 1894 والنادي الاسباني وكان في كل منهما لعبة بيار وكان كل ناد يقوم بحفلات مسائية راقصة ومن وقت لآخر كانت تصل إلى هذه النوادي بعض فرق الرقص الاسبانية وكانت ترقص على مسارح بعض الفنادق ، وكان يوجد في الدار البيضاء ملعب للكرة الحديدية وثلاثة أو أربعة ملاعب لكرة المضرب ، وملعب لكرة القدم ، وفي الربيع وفي مناسبة عيد الفصح كان محبذو الرياضة والفروسية يخيمون في حقل يمكن اعتباره حلقة سباق للخيل وذلك في عكاشة يدعى اليوم (الصخور السوداء) وكانوا يقيمون يومين أو ثلاثة يتسابقون بأفراسهم ، ويقومون بألعاب فروسية متنوعة ، ومنها سباق الخواتم ، وكان هذا السباق المخصص بالشباب الصغار يعتمد على الجري بسرعة كبيرة بالفرس ، ثم بالمرور تحت باب مبني في آخر أرض السباق أو تحت صقالة مجمعة في طرف حقل السباق ثم بنزع (حلقات) معلقة على هذه الصقالة مربوطة فيها شارات ملونة وكان الرابحون يعلقون هذه الحلقات على أكتافهم ثم يهدونها للمتفرجات الجميلات اللواتي كن يأتين بكامل زينتهن

وابتداءاً من شهر يونيو كان الشاطئ الذي لازال اليوم يمتلئ بالخيام للمصطافين في البحر ، وبما أن كل الأوروبيين كانوا يركبون الحصان والبغال فإنه كان يقوم في الدار البيضاء حفلات صيد ورحلات ومخيمات ونزهات إلى واد الحصار ، وإلى غابات البرتقال في العرصة على الواد المالح وكانت نزهاتهم تتعدّى أحيانا ضواحي الدار البيضاء فتصل فضالة أو حتّى إلى الرباط إذا كان الأمان يسمح بذلك وقد وصلت هذه الرحلات حتّى مزارع البرتقال بمهيولة بعد أزمور وكان هواة الصيد كثيرون فالصيد كان مسموحا به وكان البلد يعج بالحيوانات ففيه الأرانب البريَة ودجاج قرطاجة والقطا والحجل ودجاج الأرض والبط البري وكذلك الخنازير البرية والثعالب وأبناء آوَى وكانت كثيرة في أدغال البطن على الساحل وكان يشاهد طائر الحبارى الكبير فوق هضاب أولاد علي (الزيايدة) وكان الدلدل (نوع من القنافذ الكبيرة) يسكن جرف بوادي المالح والنفيفيخ ، وكان كلب الماء مازال موجودا بكثرة في هذه المنطقة من المغرب وكانت قطعان الغزلان تغمر البادية بعد سطات ودار ابن أحمد

---

(40) نادي آنفا سميت به زنقة آنفا الموجودة بالمدينة العتيقة ، وكان محل سكن العامل ابريشة وقبله العامل حصار عامل الدار البيضاء .

وكان يشاهد عند الباعة في شوارع الدار البيضاء جلود الفهود وكانت ترد من المذاكرة ومن زعير ، ونادرا كان يشاهد جلد أسد ، اصطيد من جبال الأطلس المتوسط وان لم تكن الحياة في الدار البيضاء سهلة فإنه كان هناك سحر في كل المغرب يجذب إليه الناس وللتمتع بجمال المغرب وسحره كان لابد من الابتعاد عن الجو السياسي والاجتماعي وغض الطرف والقلب كما فعل الكاتب (بيرلوتي)

وسيأتي لنا الكلام معه على سلطة العامل بالدار البيضاء لنقله أخبارا مزيفة عن رجال السلطة بالدار البيضاء والرد عليه بمحسوس من الحجج فلتراجع والمقصود من وصفه الحياة بالدار البيضاء هو اشعار المغرب وما فيه من خيرات وكنوز لأبناء جنسه وترغيبهم لاستعماره حيث كان الهدف لزيارته للمغرب هو احتلاله واستعماره، وحيث كانت زيارته للدار البيضاء في أواخر القرن التاسع عشر ، كان الواجب تأخير هذا الوصف والكلام إلى عصر السلطان مولاي الحسن وتقديمه في عمارة الدار البيضاء كان من باب جمع النظائر.

نظام القضاء في الدار البيضاء وهي في طور التكوين

بما أن الدار البيضاء كانت في أول أمرها في طور التكوين ، كان نظام قضائها تابعا لقضاة الرباط ، وكان قضاة الرباط ينيبون عنهم أحد عدولهم من الفقهاء المبرزين والموثقين النبهاء وقد عرفنا من القضاة والنائبين عنهم ثلاثة

تعرفنا على هؤلاء القضاة ونوابهم من كتاب الاغتباط في تراجم علماء الرباط لأبي جندار ، وظل القضاء بالدار البيضاء نيابيا إلى سنة 1314هـ فقد استقل القضاء بها

فأول قاض مستقل بها هو الفقيه السيد العربي الرحماني فقد تولى بها قاضيا مستقلا في صفر سنة 1314هـ إلى شهر شوال منه فعني منها حسبما في الجزء الثاني من كتاب العز والصولة لابن زيدان صحيفة 24 والقضاة المنيبون الذين عثرنا عليهم منهم أبو عبد الله بن ابراهيم المدعو ابيزار الرباطي قال عنه في الاغتباط كان رحمه

الله إماما جليلا في الفقه والافتاء وآية الله في الحفظ والاملاء وذا همة عالية لا ترضَى بالدون وجلالة لا تساوي بالهون إلى آخر ما جاء في ترجمته قال ومن آثاره وصيته التي وصَّى بها منوبيه بالدار البيضاء سننقلها لأهميتها والقاضي الثاني هو القاضي أبو عبد الله البريبري

قال في حقه هو القاضي أبو عبد الله محمد ابن القاضي أبي زيد البريبري كان رحمه الله من خاصة الفقهاء ونقاد الأساتذة النبلاء وبيت مروءة وحسب إلى آخر ما جاء في ترجمته

الثالث القاضي أبو العباس مولين الذي تولى عقب وفاة القاضي أبيزار المذكور سنة 1927هـ لم نعثر على ترجمته

أما النائبون فهم السيد محمد بن الطيب بن علي بن الكناوي الرباطي قال عنه أنه من علماء الرباط الذين استوطنوا الدار البيضاء بأمر مولوي للقيام بوظيف التدريس

وكانت ولايته للقضاء بالدار البيضاء نيابة عن القاضي بالرباط ابن ابراهيم الرباطي المذكور وتوفي سنة 1311هـ

والقاضي أبو عبد الله محمد أفرج الرباطي أنابه القاضي البريبري قال في حقه أبو جندار ، كان رحمه الله مفردا في نعته لا نظير له في ورعه ونسكه وسمته وسيأتي الكلام عليه

والثالث الفقيه العلامة السيد عبد الرحمان لوباريس الرباطي نقل ترجمته عن الفقيه العلامة أبي حامد المطاوري قال عنه هو الفقيه العلامة المشارك اللغوي الأصولي المنطقي الفلكي المعدل الفرضي الحيسوبي العروضي ، أبو زيد عبد الرحمان ابن الوجيه المحتسب أبي محمد عبد الله لوباريس الأندلسي الرباطي إلى آخر ما جاء في ترجمته قال عنه تولى القضاء بالدار البيضاء عينه القاضي أبو العباس مولين سنة 1297هـ وبقي قاضيا بها إلى سنة 1307هـ فطلب من السلطان مولاي الحسن أن يتوجه للحج فحج فظهر فضله في مكة حيث اجتمع مع علمائها وكانت وقعت بينهم مذاكرة في شأن يوم عرفة واختلفوا فاستظهر عليهم بما لديه من التعديل فاعترفوا له

ولما تم حجه توجه للمدينة المنورة فوافته منيته قرب المدينة فأقبر هناك بقرب ضريح العلامة البوراعي صاحب الأمداح ثم ذكر ما له من شروح وتآليف وقد وقفنا على ما كان له من تصلب ونزاهة في أحكام الشرع ، ووقوف عند الحق ضد الأجنبي وقفنا على عدة وثائق في فهرست الوثائق التاريخية المكتبة العامة والمحفوظات بتطوان

تتضمن هذه الوثائق محاورة بالرسائل بين القاضي المذكور وبين قنصل بلجيكا بالدار البيضاء النائب عن مصالح ألمانيا بواسطة خليفة عامل الدار البيضاء السيد محمد بن عبد الرحمان بريشة في شأن شراء التاجر نومان ألماني من عباس الحارثي أرضا فلاحية بضواحي مديونة مطعون في رسومها شرعا وسنشير إليها مختصرا مع ذكر رقم المحفظة التي توجد بها بالمكتبة العامة بتطوان ، وسنعيد الكلام على هذه الوثائق وننقل نسخا منها للقارئ كاملة عند تعرضنا للكلام على سلطة القائد والقاضي بالدار البيضاء في عصر السلطان مولاي الحسن ، أول هذه الوثائق مؤرخة 6 حجة سنة 1300 يوافق 8 — 10 — 1883 حول طلب السفير البلجيكي تحويل رسوم شراء الحارثي لأراضي فلاحية في اسم التاجر نومان البروصي بالمحفظة 61 / 3

جواب خليفة العامل

في نفس التاريخ نسخة جواب من خليفة عامل الدار البيضدء السيد محمد أبريشة إلى قنصل بلجيكا نائبا عن ابروصيا حول عدم تسليم القاضي رسوم شراء التاجر نومان البروصي لأراضي فلاحية وقوفا عند التعليمات المولوية بضرورة صدور هذه الملكيات عن عدول الحاضرة دون البادية وبواسطة العامل والقاضي توجد بالمحفظة 61 / 4

جـواب القنصـل

بتاريخ 7 ذو الحجة المذكور

نسخة جواب من القنصل البلجيكي نائبا عن أبروصيا (ألمانيا) إلى خليفة عامل الدار البيضاء يطلب منه مراجعة القاضي في عدم تسليمه رسوم عباس الحارثي لأراضي فلاحية مع طلبه توضيح أسباب رفض التسليم

المحفظة — 61 / 5 .

جواب خليفة العامل

من نفس التاريخ ــ نسخة جواب من خليفة نائب عامل الدار البيضاء إلى القنصل البلجيكي حول اصرار رفض القاضي لرسوم شراء التاجر نومان لأراضي فلاحية واطلاع النائب بركاش على ذلك المحفظة ــ 61 / 6

جواب القنصــل

في نفس التاريخ ــ نسخة جواب من القنصل البلجيكي إلى خليفة عامل الدار البيضاء يلح فيه على شرح أسباب رفض القاضي لرسوم التاجر نومان مع استفساره عن امكان تسليم الرسوم بعدول البادية إذا سجلها قضاتها

المحفظة ــ 61 / 7

جواب خليفة العامل

8 ذو الحجة المذكور

نسخة جواب من خليفة عامل الدار البيضاء إلى القنصل البلجيكي بامتناع القاضي عن توضيح أسباب رفض رسوم الحارثي دون اذن شريف أو طلب من النائب بركاش مع رفضه طلب قبول تسليم رسوم البادية مسجلة بقضاتها امتثالا للتعليمات المولوية

بالمحفظة ــ 61 / 8

نقلنا هذه المحاورة اظهارا لشجاعة هذا القاضي وتصلبه ووقوفه مع التعليمات الملكية وذلك حيث صدر ظهير شريف للسلطان مولاي الحسن حول شراء الأجانب للأملاك المغربية الا عن اذن العامل حسب ما يستفاد ذلك من الفصل (11) من الظهير المتعلق بأمور الحماية والشروط التي تقبل فيها المؤرخ 25 ذي القعدة 1297

جاء في فصل (11) منه حقوق الأملاك العقارية لرعية الأجناس بالمغرب معروف ، وشراء هذه الأملاك يكون بتقديم اذن الدولة المراكشية

ورسوم هذه الأملاك تكون مكتوبة بقوانين معززة بشريعة البلاد وجميع النوازل التي تقع في هذه الحقوق يحكم فيها على مقتضَى شرع البلاد ، ولهم رفعها لوزير

الأمور البرانية كما هو معروف في الشروط المحررة بمدريد في 3 يوليو سنة 1880هـ الموافق 24 رجب عام 1297 وتأخر صدوره إلى قعدة من نفس السنة

وتصلب هذا القاضي وقوفا عند التعليمات الملكية في عصر ظهر فيه نظام الحماية القنصلية الملعون الذي جثم على صدر المغاربة حكاما وشعبا بكلكله وفغر فاه بأنياب أغوال الذي به خرج المحميون وحاموهم عن قوانين الدولة بالتعدي على حقوق الناس وأموالهم ودماءهم من مسلمين ويهود فكان لأبسط المشاكل تهدد قناصل الدول الأجنبية بحضور باخرة حربية تقنبل البلاد

وأسباب هذه الحماية القنصلية تكلم عليها مؤرخ الدولة المغربية الفقيه العلامة السيد عبد الوهاب بن منصور في مجموع الوثائق المجموعة الرابعة المعنون (الحماية القنصلية) قد تكلم عليها بما يشفي ويكفي فلتراجع

أما القاضي الثاني للدار البيضاء أبو عبد الله بن محمد افرج الرباطي فقد كان رحمه الله من القضاة الذين يمثلون النزاهة والعدل والهمة العالية التي لا ترضي بالدون وقد حدثني عنه شقيقي المرحوم السيد المختار الذي كان يعيش في ذلك العصر

انه لما ولي قضاء الدار البيضاء واشتهرت أحكامه بالعدل والنزاهة كان أحد أثرياء اليهود بالدار البيضاء المسمَّى بلبحر يسكن بمواجهة دار القاضي الشرعي قرب المسجد العتيق

ذات يوم جمع اليهوديُ كمية من المال وذهب عند القاضي وعرفه بأنه جار له وأنه فرح به لما يسمع عنه من العدل في أحكامه فقال له بما أنني جار لك تعينت علي ضيافتك نطلب منك أن تقبل مني هذه الكمية من المال على سبيل الضيافة فرفض القاضي قبولها فلح اليهودي على قبولها وقال له أقبلها مني وان جئتك على قضية شرعية فاحكم علي بالعدل فأصر القاضي على عدم قبولها ورفضها رفضا باتا رغم ما كان له من الاحتياج إليها يعيش عيشة التقشف

فقد حدثني أيضا شقيقي المختار المذكور أنه لما توفي أحد أغنياء الدار البيضاء وهو الحاج محمد بن الغوطية وترك وصية لأمته بملك فحرمها الورثة منها وامتنعوا من تنفيذها .

وبما أن هذا الهالك كان صديقا لوالدي قدمت هذه الأمة عند والدي تشتكي عليه فبعثها صحبة ولده السيد المختار عند القاضي لتقدم الشكاية عليه وذلك بعد صلاة الظهر فأذن له بالدخول يظهر مما سيذكر أنه كان إذ ذاك منفردا عن أهله أهله

فدخل عنده فوجده يتناول طعام الغذاء مع ولده ، والطعام هو صحن من سمن مذاب مع الخبز والشاي ، فأخبره بشكاية الأمة فطلب منه القاضي مشاركته في تناول الطعام ووعد الأمة بالحكم لها وأمرها أن تقدم عنده إلى المحكمة بعد العصر

وهذه القصة مما يدل على تقشف القاضي في عيشه واحتياجه للمال

وهؤلاء القضاة كانوا يقومون زيادة على خطة القضاء بمراسم الدين بخطبة الجمعة والوعظ والتدريس

(الوصية القيمة من القاضي ابيزار لنوابه في الدار البيضاء)

وقد كنا وعدنا بنقل وصية القاضي ابن ابراهيم ابيزار نقلا عن كتاب الإغتباط لأبي جندار فهاهي هذه

قال في آخرها ومن آثاره هذه الوصية الجامعة التي كتبها لنصح نوابه بالدار البيضاء ، يقول فيها بعد الحمدلة والتصلية وبعد فإن الوصية من المكانة من الدين وردت في الكتاب المبين وحديث سيد المرسلين قال تعالى وهو أصدق القائلين «وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا ٱللَّهَ»

وقال تعالى أيضا «وأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُل فَتَفَرق بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» وقال تعالى «وَتَوَاصَوْا بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ»

وفي الحديث الشريف (المومن للمومن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا)

وقال الشيخ الرباني العارف الصمداني إمام الطريقة ومعدن السلوك والحقيقة

سيدي أحمد بناصر في بعض رسائله أوصيكم وإياي بتقوَى الله ، في السر والعلانية والرجوع إلى الله في كل قاضية ودانية ، واتباع السنة في الأقوال والأفعال ، ولم تزل الوصية من شأن الأخيار الصلحاء الأبرار قال جل شأنه «وَذَكِّرِ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَى تَنْفَعُ ٱلْمُومِنِينَ»

ولتعلم أن من استرعَى رعية يجب عليه حفظها وصيانتها وحياطتها والذب عنها والقيام بأمر الله فيها قال الرسول ﷺ (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته) الحديث

وقال (من استرعَى رعيته فلم يحطها بنصحه لم يرح رائحة الجنة)

ولا مرية أن القضاء خطة شريفة ومكانة من الدين عظيمة ، بها بعث الرسل وبها قامت السموات والأرض ، وجعله الرسول ﷺ من التحاسد عليها كما قال في حديثه الشريف (لا حسد إلا في اثنتين)

وآخر أتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها الناس

والقضاء بالعدل من فضائل الأعمال قال ﷺ (سبعة يظلهم الله يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل) الحديث

وقال تعالى «وَأَقْسِطُوا إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ»

وقال ﷺ (المقسطون على منابر من نور يوم القيامة) الحديث

والميل فيه عن الحق ذنب عظيم ، وقال الله عز وجل «وَأَمَّا ٱلْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً»

والقاسطون هم الجائرون — وقال جل شأنه مخاطبا نبيه ورسوله داوود عليه السلام (ياداوود انا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوَى فيضلك عن سبيل الله)

فعليك ياولدي بالعدل في الأحكام ومراقبة الملك العلام وانصاف المظلوم ولا تخش من ملامة اللوام وكن جلدا في الحق أوجبه على من أوجبه الله عليه ورده على من دار عليه قال سبحانه في كتابه «يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِٱلْقِسْطِ» وَقال تعالى «وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى» وفي الحديث (انما أهلك من

كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد) وعليك بحماية جانب الحق وإياك المخالف ولو في شيء ما

فإذا جلس الخصمان بين يديك فسو بينهما في النظر والكلام والقعود والقيام ، وتأمل كلام كل منهما على التمام والكمال ، فإذا استوعبته وفهمت المراد فاطلب النص في عين النازلة

«الزقاق»

وفكرك فرّغ واطلب النص وافهمن
فبعد حصول الفهم قطعا لتفصل

واستعن بربك واسأله المعونة وطالع كتب العمل واجتهد كل الاجتهاد فبذلك يحصل المراد ، ولا تهمل أمر العدول ، فعليك بالنظر فيهم والسؤال عن أحوالهم

فمن كان أهلا للعدالة أقررته ومن كان فيه جرحة أهملته وعزلته ، وأمرهم بالتحري والاحتياط والتثبت في الشهادة ومطالعة الوثائق كوثائق ابن عرضون

وتحسين خطوطهم وتقييد الشهادات بزمامهم والمبادرة بكتابتها والرفق في الأجرة والاجمال في طلبها وحذرهم من الشهادات بما هو مخالف للشريعة المطهرة

فإن ذلك داعية للفتن ، ومن الشهادة بالزور ، وهو الشهادة بما لم يعلم ولو كان في نفس الأمر كذلك الزقاق قال

وإيـاك لفـظا ذا اشتراك وان تـرَى
بما لم تحقـق كـاتـبـا ومـعولا
على الظن بل كالشمس فاكتب وودّين
وإيـاك حق الـنـاس إيـاك فـاعـدلا

وتوعد من صدر منهم بمخالفة بعظيم العقوبة وليكن لك اهتمام واهتبال بأمر النكاح فعظم أمره فاختر له عدلين عالمين كبيرين عارفين بأموره

ولا تهمل عقود النسب في تزويج من لا أب لها أو لها أب غائب

الزقاق

كــذا السـبـب فــاكــتــبــن
قـبـيـل نـكاح البكر الا التي لـهـا
أبٌ عُـلِـم حـيّ بلا غـيـبـة فلا

واعتن بولاية النكاح وإياك والتساهل فيها الشيخ خليل وقدم ابن فأب الخ وكذلك عقار اليتيم لابد في بيعه من اثبات موجبات فهذه لا محالة أشرنا إليها جعلها الله سببا للفتح بمنه وكرمه آمين هـ

وكما كان القضاء نيابيا لقضاة الرباط على الدار البيضاء كذلك كان نيابيا بالمدن الكبرَى كفاس ومراكش ومكناس وتارودانت بالنسبة للقبائل المجاورة لها

فقاضي فاس مثلا كان قاضيا على القبائل المجاورة لها كذلك قاضي مراكش ومكناس وتارودانت

وقاضي المدينة من المدن المذكورة ينيب غيره على القبائل المجاورة لها

والنيابة تكون بظهير شريف من السلطان حسبما جاء في الجزء الثاني من العز والصولة في معالم نظم الدولة – في الكلام على نظام القضاة بصحيفة (9) منه –

أما قبائل الشاوية ، كان القضاء فيها استقلالا وقد وقفنا على ظهير السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان في تولية الفقيه قاسم بن القرشي السعيدي على قبيلة أولاد سعيد ، حسبما في المجموعة الثانية للوثائق للعلامة مؤرخ الدولة المغربية عبد الوهاب بن منصور بالوثيقة (279)

وقاضي آخر مسكيني ولاه السلطان مولاي الحسن الأول على مدينة سطات والقبائل المجاورة لها كل بظهير.

نص الظهير الأول

الحمد لله وحده وصلّى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

الطابع السلطاني الصغير بداخله محمد بن عبد الرحمان الله وليه

يعلم من كتابنا هذا أسماه الله وأعز أمره ، وجعل في الصالحات طيه ونشره

انا ولينا الفقيه السيد قاسم بن القرشي السعيدي خطة القضاء بقبيلة أولاد سعيد من الشاوية لما بلغنا من دينه ومروءته وأهليته لذلك ليطالع الرسوم ، ويفاصل بين الخصوم ، ويحكم في القضايا الشرعية بما أراه الله فيها فعليه بتقوَى الله ومراقبته في سره وعلانيته والحكم بمشهور امامنا مالك وتحري أرشد المسالك والله يوفقه ويسدده آمين

ونأمر الواقف عليه من عمالنا وولاة أمرنا أن يشد عضده ويقوم بتنفيذ ما حكم به والسلام

صدر أمرنا المعتز بالله في 25 شوال الأبرك عام 1280هـ

والقاضي الثاني ترجم له ابن زيدان في كتاب الاتحاف الجزء (4) صحيفة (314) وذكر في ترجمته أنه تولى القضاء بسطات ووصفه بالعلم والصلاح وأثبت له كرامات يجدر بنا أن ننقل ترجمته تبركا به قال

المعطي الشاوي المسكيني القرقوري نزيل مكناسة

(حاله) يحب في الله ويبغض فيه ، لباسه حائك صوف وبرنس منه وقميص وعمامة صغيرة ذو اتباع وعيال نفقته من الفيض الوهبي نزيه ، عالي الهمة ، كثير الخشية لا تأخذه في الله لومة لائم له مشاركة في فنون شتَّى ، وأكثر دروسه في التوحيد وكان في أول أمره منعزلا عن الناس مشتغلا بعبادة ربه في خلوة بعيدة عن رهطه وعشيرته ثم في بعض الأيام خطرت بباله مسألة اعتقادية حيرت ذهنه وعسر عليه فهمها ، فرحل لفاس بإشارة من بعض أهل الخصوصية الربانية ولازم العلامة الصالح الحاج محمد جنون مختصر الرهوني ومن عجيب الاتفاق أنه أول ما حل بفاس حضر درس جنون المذكور ووجده يقرر المسألة التي أشكلت عليه وكانت بسبب رحلته فلازمه مدة حتَّى مهر وحصل غاية منيته في فنون شتَّى ثم رحل لبلده وتصدر للافادة وأقبل على التدريس وأسس زاوية لالقاء الدروس وإفادة الناس فاشتهر صيته وأقبل الناس عليه من كل صوب ثم مر السلطان المولى الحسن في بعض حركاته على زاويته فلقيه واعتنَى بشأنه ورفع المغارم وسائر الكلف المخزنية عن أقاربه وسائر المتعلقين بأذياله فاشتد لذلك غيظ عامل بلده حسدا من عند نفسه ولم يزل يضمر له السوء وينصب له حبال المكايد حتَّى قبض عليه وأودعه السجن ومكر به

ولما علم بذلك السلطان المذكور قبح فعل ذلك المتولى الخبيث وسب وجدع وقرع ووبخ وأمر بتسريحه حالا والاتيان به إليه على كاهل المبرة والاكرام لحضرته المكناسية ، فأقام بمكناس واشتغل بالتدريس وإفادة الناس مدة ثم رجع لبلده ثم نقل لسطات بقصد تولية القضاء بها ، وبها كانت منيته ثم قال ابن زيدان

وقد ظهرت له مدة مقامه بمكناس كرامات وخوارق عادات لازال المسنون يتحدثون بها من ذلك ما أخبرني به بعض من وثقت بخبره من الآخذين عنه الملازمين له أنه كانت عنده آنية من العود أعدها لطعام الأضياف تسع ملء الكفين مرتين وكان يطعم منها العدد الوافر من الناس ولا تنفذ ، وأنه جاءه رجل بولد له يدعو له فقال له ارجع بولدك فإنه ولي من أولياء الله تعالى فكان الأمر كما قال

نشأ ذلك الصبي في عبادة الله تعتقده الخاصة والعامة ويتبركون به ولم يحفظ عنه ما ينقم عليه في أمر دينه ، وأنه كتب له بعض أهل مكناس كتابا فأجابه بقوله

أخانا في الطين ولا أثر عليه من الدين ، استقرئت أحوال الرجل فوجد كما قال

وكان لا يأكل طعاما حتى يعرف حال صاحبه ، فإن كان من أهل الظلم والتعدي رده عليه

ثم أنه أكل يوما مع العلماء طعام السلطان فندم وبكى واستغفر الله من ذلك

الأحداث التي وقعت بالدار البيضاء
في عصر الدولة العلوية

سنتكلم عليها مرتبطة بأحداث الشاوية والكل ، موضوع كتابنا لما كانت ولاية السلطان مولاي عبد الله بن اسماعيل متخللة بالفتن والحروب والاضطرابات ونشأ عن ذلك استبداد بعض العمال

ولما تولى ولده السياسي المحنك العالم سيدي محمد رحمه الله كان أول أعماله التي قام بها في اصلاح جهاز الدولة والقضاء على الفوضى السائدة في البلاد ، هو عزل العمال المستبدين أيام والده مولاي عبد الله رحمه الله .

في سنة 1174هـ[41] موافق سنة 1760 ميلادية عزل عامل الشاوية إذ ذاك ولد المجاطية وعامل تادلة الراضي الورديغي ، وولى على العمالتين محمد بن حدو الدكالي الذي كان ولاه على دكالة لما قبض على العامل العروسي وأودعه السجن

فاجتمع لمحمد بن حدو هذا الدكالي العمالات الثلاثة ، دكالة والشاوية ، وتادلة

ومن القواد المستبدين الذين عزلهم أبو عريف، قائد بني حسن وولى مكانه أبا عبد الله القسطالي، كما عزل الحبيب المالكي قائد الغرب الذي كان رأس الأمراء أيام والده وأودعه السجن ولما سجن أضرب عن الطعام فمات جوعا فصلحت أحوال الرعية والجند بتوليته المناصب أهل الكفاءة

[42]وذكر الناصري في الاستقصاء أن العزل والتولية كان سنة 1180 هجرية موافق 1766 ميلادية

[43]وفي سنة 1188 هجرية موافق 1774 ميلادية عزل محمد بن حدو الدكالي على الشاوية وتادلة وأبقاه على اخوانه دكالة وأمره أن يقبض من اخوانه الذين كانوا عمالا على هذه القبائل نيابة عنه ما أكلوه من أموال ، فقبض منهم مائة وخمسين ألفا

وولى على أهل تادلة صالح بن الراضي الورديغي وعلى أولاد أبي رزق صاحب الطابع وعلى أولاد أبي عطية عمر بن بوسلهام المزابي المنيعي

تقسيم قبائل الشاوية إلى أقسام ثلاث

تنبيه

ومادمنا نتكلم على قبائل الشاوية فيجدر بنا الكلام على تقسيم قبائلهم في الزمن الماضي إلى ثلاثة أقسام

(41) الاتحاف لابن زيدان الجزء الثالث صحيفة 162
(42) الاستقصاء الجزء 8 صحيفة 30 الترجمان الزياني صحيفة 75
(43) الاتحاف الجزء 3 صحيفة 173 .

في الجزء الثاني من كتاب المدن والقبائل للمغرب للبعثة الفرنسية العلمية الدار البيضاء والشاوية الصحيفة 4

في فصل التقسيمات الادارية القديمة قال في أواخر القرن السابع عشر قسمت الشاوية وذلك في سبيل دفع الضريبة إلى ثلاثة أقسام وكان كل قسم يدفع ثلث الضريبة

القسم الأول أولاد أبو رزق مزامزة ، كدانة ، أولاد سعيد ، أولاد بوزيري أولاد سيدي بنداوود ، زناتة

القسم الثاني أولاد بوعطية مزاب ، مذاكرة ، أولاد أحريز ، أولاد علي

القسم الثالث شهاونة مديونة ، أولاد زيان ، والزيايدة ، وزناتة

ولكن مولاي اسماعيل بدل هذا التقسيم

فخلال حكمه حوالي سنة 1689م / 1101هـ فضريبة (العشر) في الشاوية حصل عليها بشكل جديد أن قبائل الشاوية كانت تشكل 100 (دوار)[44] بالنسبة للضرائب أما أولاد أبو رزق فكانوا يشكلون النصف وأولاد بوعطية الربع والشهاونة الربع الآخر وكان هناك توزيع آخر للدوار بالنسبة للضرائب

وكانت الضرائب التي تجبى موزعة على القبائل بالشكل الآتي

أولاد أبو رزق

مزامزة وكدانة	14 دوار
أولاد سعيد	13 دوار
أولاد بوزيري	14 دوار
أولاد سيدي بنداوود..................	2 دواوير

أولاد بوعطيـة

مـــزاب

(44) ويقصد بالدوار الفرقة أو القبيلة .

مـذاكـرة 25 دوار
أولاد حريز

الشـهـاونـة

مديونـة وزناتة
أولاد زيـان 25 دوار
زيـايـدة

وقد فرض هذا التقسيم بعد قتال بين أولاد بورزق وأولاد بوعطية الذين كانوا يريدون قسمة محصول ضريبة العشر التي كانت مخزونة في مرس لقهانة قرب سطات فيما بينهم وفي وقت لاحق في زمن كريران الحريزي ثار المزامزة وأولاد بوزيري الشديدي المراس ، ثاروا ضد قائد مولاي سليمان الذي كان يجبرهم على جلب الحجارة لبناء قصبته «المرجانة» وأطلال هذه القصبة مازالت ظاهرة في جزء من بلاد أولاد حريز قرب سيدي العيدي في الواد الأحمر

وقد نأى أولاد أبو رزق منأى المزامزة وأولاد بوزيري بينما كان لكريران عدة فرق عسكرية من الشهاونة وأولاد بوعطية وتقابل الطرفان واشتبكا في معركة عنيفة تقع على حدود المزامزة ، وقد وضع أولاد أبو رزق في صفوفهم الأمامية خيالة يركبون المهار «وهو صغير الرأس»

وهذا ما سبب سخرية واستهزاء أعدائهم بهم ومن دون أن يعلموا ، وإذ بالخيالة على ظهور خيولهم الحقيقية يظهرون من خلفهم وهكذا فقد هربوا حتّى وصلوا لقبيلة الزيايدة

هكذا جاء هذا الوصف في تاريخ البعثة العلمية الفرنسية فهو في عهدتهم

ومع هذا فإن انتصار أولاد أبو رزق لم يوثق الوحدة واللحمة بينهم ولا بين أعدائهم لذلك فقد توحد المزابيون وأولاد سعيد وأولاد حريز وأصبحوا اخوة في السلام

أما مديونة وأولاد زيان وزناتة والمزامزة وأولاد بوزيري وأولاد سيدي بنداوود فقد شكلوا الصف الثاني

وقد استقبلوا بترحاب الشريف سيدي محمد بن الطيب بن محمد بن عبد الله ابن عم السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام

وقد جلبنا ذكر هذا التقسيم بتفاصيله ، لأن معرفته ضرورية في تاريخ قبائل الشاوية حيث سنتكلم على أن فلانا تولى على أولاد أبي عطية وأن فلانا تولى على أولاد أبي رزق وفلان تولى على الشهاونة ليعلم القارئ مهم هذه الفرق

وعمر بن أبي سلهام المتقدم الذكر الذي تولى على أولاد أبي عطية نسبه الضعيف في تاريخه لقبيلة منيع بمزاب ، ومولى الطابع الذي تولى على أولاد أبي رزق نسبته البعثة العلمية الفرنسية لأبي رزق

وفي تاريخ 27 شعبان سنة 1186هـ موافق 1772 ميلادية صدر الأمر من السلطان سيدي محمد بن عبد الله ببناء مرسَى فضالة وفي سنة 1202 هجرية موافق 1787 ميلادية بلغه الخبر على المفسدين من الشاوية بقطع الطرق على المارة فحاربهم وأوقع بهم وقعة شنعاء وذلك يوم الثلاثاء (23) شعبان من السنة المذكورة

وفي سنة 1203 هجرية موافق 1788 ميلادية بلغه أن قبيلة أمزاب ثاروا على القائد عبد الله الرحماني وخلعوا طاعته وأنهم يأوون إليهم قطاع الطرق بعد أن حذرهم وأنذرهم فحاربهم وحارب جيرانهم بي مسكين بسبب ايوائهم لهم وفي تاريخ الضعيف مزيد ايضاح لهذه الغزوة

قال ففي يوم الأحد رابع شعبان سنة 1203 هجرية نزل السلطان بكيسر ببلاد الشاوية ولحق به القائد عبد الله الرحماني من الدار البيضاء مع عبيد المراسي ثم التحق ابن عمران والقائد العباس

فتوجه القائد عبد الله الرحماني لقبيلة منيع من امزاب اخوان القائد عمر بن بوسلهام المزابي المتقدم الذكر وأمرهم أن يدفعوا له ألفين من الخيل بعدتها ويمكنوه من السراق وقطاع الطرق ، فأجابوه بالرفض ، وأنهم لا يمكنهم أن يتجردوا من الخيل والعدة وهم في وسط أعدائهم وفي استطاعتهم أن يدفعوا له المال عوضا عنها فلم يقبل فاستعدوا للحرب وأمر جيرانهم وورديغة وبني مسكين أن لا يأوونهم فكان بينهم حرب عتيدة فهزمهم وفر البعض من قبيلة امزاب إلى كيفان أم الربيع

فتبعهم عبد الله الرحماني وجمع الحطب وأوقده عليهم بتلك الكيفان وضربوا يده بالرصاص ومات بعضهم باختناق الدخان إلى آخر ما قصه الضعيف في تاريخه

بقي عبد الله بن محمد الرحماني عاملا على الشاوية والدار البيضاء إلى ولاية اليزيد سنة 1204 حيث وقفنا على رسالة من السلطان مولاي اليزيد لخليفة قنصل اسبانيا بالدار البيضاء في شأن الهجوم من قبيلة مديونة على الدار البيضاء الذي سنتكلم عليه

وتتضمن الرسالة شكر السلطان مولاي اليزيد لخليفة القنصل على الوقوف بجانب الجيش في رد المهاجمين على أعقابهم حسب ما أخبره بذلك خديمه عبد الله بن محمد الرحماني

وهذه الرسالة مؤرخة بـ 21 .شعبان 1204 هجرية موافق 8 مايو سنة 1790 ثم ولاه على اخوانه الرحامنة وبقي مخلصا لمولاي اليزيد إلى أن قتل هذا الأخير في مراكش في حربه لأخيه مولاي هشام في آخر جمادى 2ــ 1206هـ

[45]وبعدما قتل مولاي اليزيد انضم إلى مولاي هشام وكان هو صاحب أمره والمدبر لشؤونه فقتله مولاي هشام غيلة على حد تعبير الزياني ، فافترقت عليه كلمة الرحامنة وتجنوا عليه بأنه قتل عاملهم عبد الله المذكور وبايعوا أخاه مولاي الحسين ، وحكا[46] الناصري قولا آخر عن أكنسوس بأن الذي تحدث به السلطان مولاي سليمان مع بعض الناس بأن الفرقة المنحرفة من الرحامنة هم الذين قتلوه وبهذا طويت حياة عبد الله الرحماني وقتل في ظروف غامضة ولم يتحقق من قتله نقلنا خبره حيث أن السلطان سيدي محمد بن عبد الله كان ولاه على قبائل الشاوية حين أمر ببناء الدار البيضاء وكان هو المشرف على تشييدها وأمره ببناء داره فبناها قرب عين مازي بطريق الرباط وبقي آثارها إلى احتلال فرنسا للدار البيضاء وكان آثارها مجاورا لبناية نقابة العمال حالا بالبيضاء ولازالت صورتها محفوظة عندنا

وقد حصلنا على صورة هذه الدار أخذت بآخر القرن التاسع عشر نقلها لنا الدكتور ف. سجيربر

---

(45) الترجمان للزياني صحيفة 94

(46) الجزء الثامن من الاستقصاء صحيفة (97)

الدار البيضاء والشاوية في
عصر مولاي اليزيد من سنة 1204 إلى سنة 1206هـ
ثورة قبيلة مديونة وهجومهم
على الدار البيضاء نقلا عن الضعيف

لما توفي السلطان سيدي محمد بن عبد الله بتاريخ 24 رجب سنة 1204 هجرية موافق 1789 ميلادية وبويع لولده مولاي اليزيد ثارت قبيلة مديونة وأجمع أهل البغي والفساد منهم على الهجوم على الدار البيضاء

وكان المقصود من هذا الهجوم سكان المدينة على العموم وعيال السلطان سيدي محمد الذين قدموا من مراكش للدار البيضاء آنذاك ، والتاجر الدمينكو الذي كان بالدار البيضاء يتجر في الحبوب مع قبائل الشاوية ويصدرها إلى اسبانيا

ولما شاعت الأخبار في المدينة استعد سكانها للدفاع وأغلقوا أبوابها وحيث كان التاجر الدمينكو مقصودا بهذا الهجوم بما له من التجارة خاف على حياته وعلى ماله فأعان السكان بتوزيع البارود والرصاص عليهم ووزع عليهم المال ومن حسن الحظ كانت باخرة حربية ألقت مرساها بميناء الدار البيضاء فطلب التاجر الدمينكو وخليفة قنصل اسبانيا من رئيس الباخرة إعارته لبعض المدافع فأنزلت إلى البر ونصبت على سور المدينة وصعد رجال الحامية للسور وتجمهرت الفئة الباغية على المدينة فرماهم رجال الحامية بوابل من الرصاص وأطلقوا عليهم القنابل من المدافع فمات منهم البعض وجرح البعض وفر الباقي وسلمت المدينة من الخطر الذي كان محدقا بها

ومساهمة التاجر الدمينكو المذكور بنشاطه في هذا الحادث كان دفاعا عن حياته وماله وجاءت على حد قول الشاعر

مصـــــائب قوم عـــنـــد قوم فوائـــد

وكانت هذه القصة يوم السبت سنة 1204 هجرية موافق سنة 1790 ميلادية انتهى ما قصه محمد بن عبد السلام الضعيف بتصرف

والهجوم من أهل البادية على المدينة كان قديما زمن وجود مدينة آنفا



مولاي اليزيد

ذكر ابن الخطيب في وصفه لها في كتابه معيار الاختيار بقوله الا أن ماءها وهواها عديما الصحة ، والعرب عليها في الفتن ملحة وقد جاءت على حد قول الشاعر وهو عقيل بن علف الجهني

ان بني درّجوني بـالــدم شنشنـة أعرفهـا من أخزم

انزال عقوبة صارمة من السلطان مولاي اليزيد على قبيلة مديونة المهاجمين نقلا عن الضعيف

في الثامن من شوال سنة 1204 هجرية أمر السلطان مولاي اليزيد القائد الحطاب بن عثمان المنياري الحريزي الذي خلف عبد الله الرحماني أن يقبض من مديونة خمسمائة من الخيل ويدفعها للعبيد المشاة وسبعة عشر ألف مثقال وألفا من البقر عقوبة لهم على هجومهم على عيال السلطان الموجودين آنذاك بالدار البيضاء وعلى سكانها فاستوفى منهم المال والخيل والبقر رغما عن أنوفهم وهم كارهون

مدرسة بالدار البيضاء لتعليم الرمي بالقنابل من المدافع

كما أمر مولاي اليزيد القائد الحطاب المذكور أن يجمع مائتين من أبناء الشاوية قصد تعليمهم الرماية بالمدافع وعين محل التعليم بالدار البيضاء

وكلف الطبجي محمد عسلان الرباطي الماهر في الرماية لتعليمهم ومن ذيول هذه القصة أي قصة الهجوم ما وقعت عليه بالخزانة العامة بالرباط من بعض الرسائل المتبادلة بين السلطان مولاي اليزيد ودولة اسبانيا

فمن ذلك رسالتان احداهما لقنصل اسبانيا بالدار البيضاء والثانية لسفيرها بطنجة تعبيرا عن الشكر على هذه الاعانة .

نص الأولى بعد البسملة والحوقلة وطابع مولاي اليزيد ملف 4322

إلى خليفة قنصل اسبانيا بالدار البيضاء سلام على من اتبع الهدَى

أما بعد . فقد أنهَى إلينا خديمنا عبد الله بن محمد ما فات بالدار البيضاء من الوقوف ونصب المدافع وغير ذلك من أسباب الإعانة

فسرنا عملك ونحن مع جنسك على ما كان عليه والدنا المقدس المرحوم من حمد العشرة والمباشرة بالاحسان والمعروف والمراعاة بالجميل جزاء لمحبتكم في جانبنا وجانب والدنا من قبل ، وقد تلاقَى معنا قنصلكم بطنجة فميزناه على غيره من الملاقات قبل غيره وأعطيناه فرسا ايثارا له وتخصيصا لمرتبته والسلام

في 21 شعبان عام 1204 هجرية موافق 8 ماي سنة 1790م

ونص الثانية ملف رقم 4322 بعد البسملة والحوقلة والطابع اليزيدي

إلى القنصل أنطونيو الأصبنيولي سلام على من اتبع الهدَى

اعلم أنه لم يخلق الله شيئا عبثا ولم يتركه سدىً

أما بعد ، فقد وصل لعلي مقامنا المتقرر لدينا ما فعلته من الاحسان مع خدامنا المخيمين بالدار البيضاء صانها الله برعاية حفظه ، ولأجل ذلك تكون لك المزية الكبرى من جانبنا الأسمَى حتَّى تفضل على أبناء جنسك ويقضى لك غرضك من جميع ما تريد بحول الله وقوته

في 3 رمضان عام 1204 هجرية موافق 17 ماي سنة 1790م

ونص رسالة ثالثة بعد الطابع اليزيدي

إلى انطونيو قنصل اسبانيا بطنجة ، سلام على من اتبع الهدَى

أما بعد ، فيصلكم سبع ونمر على يد خديمنا القائد عبد المالك وكل ما تريده منا يقضى لك إن شاء الله وقد بلغنا ما فعل صاحبكم الدومينكو الذي يوجد بالدار البيضاء مع جيشنا المقيم هناك وسنكافئكم على ذلك فسيكتب لكم خديمنا القائد عبد المالك ببعض الأمور والسلام

في 8 رمضان عام 1204 هجرية .

والكتابة التي أشار إليها مع القائد عبد المالك هو التنبيه على ما يجب على الباشا دور الذي سيقدم إلى المغرب أن يعمله مع السلطان من تعزيته في والده وتهنئته بالملك كل ذلك تمهيدا منه لطلب اسبانيا بانسحابها من مدينة سبتة والتهديد بالحرب تركنا ذكرها لأنها ليست في موضوع كتابنا وقد أشهر عليهم الحرب بالفعل وحاصرهم بسبتة

حوادث سنة 1205هـ موافق 1791م

فبتاريخ 22 قعدة سنة 1205 هجرية موافق 1791 ميلادية خرج مولاي اليزيد من الرباط قاصدا الشاوية

ولما دخل الدار البيضاء قبض على صهره القائد الحطاب الحريزي وكبله وساقه معه إلى الرباط

وفي 15 حجة من السنة المذكورة تركه مسجونا عند الغازي بن اسلامة عامل المهدية وسيأتي لنا الكلام على الحطاب الحريزي هذا في ولاية السلطان مولاي سليمان

حوادث سنة 1206هـ حكاية طريفة

في سابع جمادى الأولى سنة 1206هـ خرج مولاي اليزيد من مراكش قاصدا الشاوية ، ولما وصل إلى مديونة نزل بقصبة علي بن الحسن فاستقبلته قبائل الشاوية فأراد أن يظهر لهم براعته في الرماية فأمر الغازي بن أسلامة قائد المهدية أن ينصب له خمس شواشي أي قلانس ثم أمر باحضار بندقيته وجعل يرمي تلك الشواشي بالرصاص الواحدة تلو الأخرى

ولما نجح في الرمي ولم يخطئ في واحدة منها أمر الغازي أن يبني له خيمة (خزانة) وأمر باحضار مدفع فرمَى تلك الخيمة بقنبلة فطارت الخيمة ثم التفت إلى الشاوية وقال من هؤلاء فدعوا له بالنصر والتأييد ففرح بهم وأكرمهم فأمرهم أن

يمكنوه من ألف فارس فأجابوه بالسمع والطاعة حيث كان يستعد لحرب أخيه مولاي هشام

وهذه الحكاية التي حكاها الضعيف ان دلت على شيء فإنما تدل على تخويفهم وارهابهم ليكونوا مستعدين للطاعة والولاء ويظهر لهم أن أي فرد عصاه يكون مصير رأسه مصير تلك الشواشي وأي قبيلة خالفته يكون مصيرها مصير الخيمة التي نسفت بقنبلة مدفع وهي حكاية طريفة تدل على ما لمولاي اليزيد في طبعه من الطرفة وعلى خفة روحه وقد حملنا على هذا التفسير ما تقدم لقبيلة مديونة من الهجوم على الدار البيضاء سنة 1204 وانزال عقوبة صارمة عليهم من قبل السلطان مولاي اليزيد

حرب تثيرها امرأة من مزاب بعاطفة ضد قبيلة زعير فتظهر امرأة من زعير فترد الفعل بنفس الأسلوب

نقلا عن الضعيّف

في هذه السنة قتلت قبيلة زعير ولد عمر بن بوسلهام المزابي المنيعي وتقدم لنا أن عمر بن بوسلهام كان ولاه السلطان سيدي محمد بن عبد الله على أولاد أبي عطية ، فحملت أمه جثته على جمل وجعلت تطوف به على قبائل الشاوية محرضة لهم به على الأخذ بالثأر

فقام بعض أعوانها الذين منهم ابن حمزة المحمدي وابن العربي يطوفون بأسواق الشاوية يستنصرونهم ويطلبون منهم النجدة والإغاثة فأجابها البعض من تلك القبائل فاستعدوا للقتال فوصل الخبر إلى زعير فتهيأوا للحرب ، فالتقَى الجمعان بمحل يقال له (تلقمت)

فكان بينهم حرب شديد يذوب منه الحديد فمات من الطرفين خلق كثير ومن شجعان زعير البرشاوي ولد تكوك الزعيري ومن الشاوية بوعزة بن سونه فهزمت قبائل الشاوية زعير وبينما هم في الهزيمة إذ ظهرت امرأة من زعير وتزينت ورصعت

صدرها بالمرجان والنقود الفضية وربطت على راسها مجدولا من الحرير كانها عروس تجلى وخرجت من صفوف زعير وأطلقت زغرودة هزت بها مشاعر قبيلتها ثم قالت إني ذاهبة إلى الشاوية لأنهم هم الرجالِ وأنتم لستم برجال

فأثرت في مشاعر قبيلتها فتقدم الشيخ الزيادي الزعري ونزل على فرسه ودفعه لولده وجلس بين حجرين وقال لا يرد الخيل إلا الرَّجْلي وجعل يطلق النار

فتشجعت قبيلة أزعير وتبثوا ، فردوا الهزيمة وهزموا الشاوية

وبسبب هذا النوع العاطفي انقلبت الهزيمة على الشاوية انتهَى من تاريخ الضعيف بتصرف

خبر الشاوية والدار البيضاء
في هذه السنة 1207 وهم فوضَى
مهملون لا سلطان لهم

بعد موت مولاي اليزيد بايع أهل فاس مولاي سليمان فنازعه اخوانه فقام مولاي هشام فبايعته الرحامنة بنواحي مراكش ومولاي مسلمة أو بسلمة بقبائل الجبل ومولاي الحسين بعبدة ودكالة وبقيت الشاوية مترددة لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء

وكانت دولة أوربا تستورد الحبوب من قمح وشعير وغيرهما من مراسي المغرب في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله ، وكان القائم بالتجارة بمرسَى الدار البيضاء الشريف مولاي عبد الله بن محمد بن عبد القادر الوزاني وبالجديدة أولاد الهاشمي ابن العروسي وبمرسى طيط عمهم الحاج محمد بن العروسي وبآسفي عبد الرحمان بن ناصر العبدي

وكانوا كلهم مستبدين على السلطان مولاي سليمان وكان السلطان مولاي سليمان يحارب التجار المستوردين في البحر بارسال قراصين بحرية الرباط وسلا يطوفون في المياه المغربية لغنيمة السفن الأجنبية المحملة بالزرع ، في شهر المحرم من نفس السنة 1207هـ موافق 1792م غنم بحارة مدينة سلا ثلاث سفن محملة بالسلع اثنتان

خرجتا من مرسَى الدار البيضاء والثالثة خرجت من مرسى آسفي

ووجد بهذه الأخيرة سبعة من عتاق الخيل وسبع ونمر كان. قدمها عبد الرحمان بناصر العبدي هدية لملك اسبانيا فدفعوا تلك السفن إلى السلطان مولاي سليمان

[بعث السلطان مولاي سليمان رسالة انذار وتهديد للشريف مولاي علي بن أحمد الوزاني في شأن خلاف ولد عمه مولاي عبد الله الوزاني المذكور الذي كان بالدار البيضاء]

فكتب السلطان مولاي سليمان للشريف مولاي أحمد الوزاني رسالة تهديد يسترعي عليه من مخالفة ولد عمه مولاي عبد الله بن محمد بن عبد القادر الموجود بالدار البيضاء

وعلى اثر ذلك وجه مولاي علي بن أحمد المذكور لمولاي عبد الله المذكور ابن عمهم مولاي عبد الله بن الحسني للدار البيضاء لمراجعة طاعة السلطان مولاي سليمان ، فلما قدم بن الحسني أظهر مولاي عبد الله امتناعا وتصلبا وسب ابن الحسني الرسول الذي أرسله مولاي أحمد ونهب ما معه من الخيل

فما كان من عبد الله بن الحسني الا رجوعه لمرسله خائبا ثم أن مولاي علي لم ييئس من نجاح وساطته ففي 26 صفر عام 1207 هجرية أرسل لمولاي عبد الله ثانيا والده محمد بن عبد القادر فلما وصل إليه فرح مولاي عبد الله بوالده وهش له وبش ولم يسعه أمام قدوم والده إلا الخضوع والاذعان والطاعة والتضحية بما كان يتمتع به من الربح في التجارة فخرج من الدار البيضاء وقدم إلى الرباط صحبة والده فأقام به 14 يوما ثم ذهب لوزان

ولما خرج من الدار البيضاء خرجت معها نحو مائة وخمسين من فرسان الشاوية

وخرج معها التاجر سبستيان الذي كان بالدار البيضاء يتجر بالحبوب وعمه التاجر بطرون الذي كان يتجر بطيط ، ولما وصل لوزان أقام هناك حتَّى استراح ثم



مولاي سليمان

وجهها مولاي علي للسلطان مولاي سليمان لمدينة مكناس وأرسل معها رسالة يقول فيها

لقد وجهنا لكم ولد عمنا الشريف الذي كان بالدار البيضاء مع أبيه ولجنابكم واسع النظر

فلما وصل للسلطان أهدَى له فرسا من عتاق الخيل فعفا عنه وسامحه ثم أجاب السلطان مولاي علي برسالة قال فيها

ابن عمنا الأعز المرتضي سيدي علي أعانك الله وأحكمك وسلام عليك ورحمة الله وبركاته

وبعد فاعلم أنه قدم علينا الشريف سيدي محمد بن عبد القادر صحبة ولده سيدي عبد الله الذي كان بالدار البيضاء

وقد علمنا أنه كان قائما باصلاح أعمال المسلمين ولكن الشياطين فتنوه

والحمد لله الذي أنقذه منهم والله يعينك والسلام / انتهَى من الضعيف بتصرف

ولم يبين الضعيف ناقل الخبر سبب خروج هذا القدر من الفرسان لتشييع الشريف الوزاني ، هل لأجل الوداع أم لأجل الحماية من لصوص الطرق وبكل اعتبار فانما يدل على ما كان يتمتع به هذا الشريف من الاحترام والتقدير في الوسط البيضاوي وبالأخص بقبائل الشاوية وبالاستقبال الذي استقبل به والده من البشاشة والخضوع والخنوع والتضحية بما كانْ يتمتع به من الأرباح الطائلة في سبيل الحصول على رضا والده والبرور به يستحق كل احترام وتقديس

وبهذه الروح العالية الدينية كانت وزان محل تقديس من المغاربة وبالأخص سكان الجبل

فقد كانت حمى آمنا يلتجأ إليه بما اتصف به المغاربة من الدين المتين وحب الرسول وذريته الطيبة .

غزو السلطان مولاي سليمان قبائل الشاوية
وما ترتب على ذلك من الأحداث

[47]في سنة 1207 هجرية استعد السلطان مولاي سليمان لتمهيد طاعة البقية من القبائل فبعث رحمه الله جندا قوامه عشرة آلاف فارس تحت رياسة أخيه الخليفة مولاي الطيب وعين جماعة من القواد من أهل الكفاءة والمقدرة ذهبوا مع الجيش ، ومن جملتهم القائد الغنيمي الذي كان عاملا مع اليزيد فاستبقاه السلطان تأليفا له وجعله رديفا لخليفته مولاي الطيب

ثم زحف السلطان على اثرهم إلى رباط الفتح ، وفي سادس شوال من نفس السنة صلّى الجمعة بجامع القصبة وكان هو الامام بها وخطب خطبة بليغة تشتمل على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والوعد والوعيد وقال في آخر الخطبة

انصر اللهم جيوش المسلمين وعساكرهم ودعا لكافة الأمة وصلّى في الركعة الأولى بسورة الجمعة وفي الثانية بسورة الغاشية ، ولما قدم الخليفة مولاي الطيب بالجيش لقبائل الشاوية استعدّت القبائل للحرب والتقَى الجمعان وحمى الوطيس انهزم جيش السلطان أمام القبائل وترك أثقاله وأخبيته وسلاحه غنيمة في يد الشاوية ورجع الجيش منهزما مفلولا للرباط حيث يقيم السلطان بها

والزياني عزا سبب الهزيمة لتنافس القواد وتنازعهم على الرئاسة وكان أكثرهم حمقا وتهورا القائد الغنيمي فأنف القواد من استبداده عليهم فتخاذلوا وجروا الهزيمة على الجيش ، ولما رجعوا للرباط عند السلطان رجع لفاس لتجديد آلات السفر والغزو واخلاف ما ضاع من الأخبية والسلاح والأثاث

وبينما هو يهيء العدة للرجوع إلى الشاوية إذا به يفاجأ بثورة محمد بن عبد السلام الخميسي المعروف بزيطان بالجبل فتوجه لكسر شوكة هذا الثائر

(47) الزياني في بستانه ــ والناصري في استقصائه في الجزء 8 ــ صحيفة 94

ورود الحلالفة من أولاد أحريز للرباط
قصد ملاقاة السلطان مولاي سليمان

في خلال سنة 1207 هجرية ورد على الرباط فرقة الحلالفة من أولاد أحريز يطلبون استقبال السلطان مولاي سليمان فلم يجدوه فيه إذ كان آنذاك بمكناس مشتغلا بحرب الثائر زيطان الخميسي ووجدوا فيه صهره على اخته مولاي عبد الملك بن ادريس ، قال الضعيف ناقل الخبر وقد كان عبد الملك يحتال على ادخال الدار البيضاء والشاوية في طاعة السلطان سلما لا حربا ، وكان ينفق على هذا السبيل من مستفاد مرسَى الرباط فأنفق في ذلك نحو سبعين قنطارا فاستقبلهم وأكرمهم ومن أجل ذلك احتفل سكان العدوتين بالبارود وانطلاقات المدافع

(ثم دخلت سنة 1208 هجرية)

سكت مؤرخو الزمان عن حوادث الدار البيضاء والشاوية ، مثل الزياني والضعيف ومن تبعهما كالناصري وابن زيدان

وكان كلامهم في هذه السنة على ثورة زيطان الخمسي بالجبال الهبطية وقبيلة غمارة وما نشأ من فتنة

فائدة مهمة بعث بها لنا سيدي محمد بن علي الدكالي مؤرخ سلا

سلطان شهرين بالدار البيضاء

فكتب إلي صديقنا الحميم وشيخنا المنعم مؤرخ مدينة سلا السيد محمد بن علي الدكالي السلاوي في نطاق المبادلة للفوائد التاريخية التي كانت بيننا رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح الجنان رسالة مذكرة نص ما جاء فيها

سلطان شهرين

مولاي سلمة أو مسلمة ابن السلطان سيدي محمد بن عبد الله العلوي بويع

سلطانا بالدار البيضاء في ثاني شهور عام 1208 أتى به بعض أعيان تامسنا من أبي الجعد إلى الدار البيضاء وأعلنوا بيعته ونصره وأقاموا بالدار البيضاء إلى ما شاء الله فحملوه على حرب ولد الجدي وكان يخالفهم في بيعته ويميل إلى سليمان فنهبت خيول مولاي سلمة مواشي من ذُكِر واخوانه المجاورين له من أولاد أبي رزق

فاتبعوهم ثم صار مسلمة إلى أزمور بعد أيام أول ربيع الأول سنة 1208 هجرية فأكرمه الحاج محمد بن العروسي وعين له من الخراج ما يكفيه هو وأصحابه وداره وتزوج بنت للحطاب بن عثمان المنياري كبير أعيان أولاد حريز وهو الآن في الحالة المذكورة أواسط رمضان عام 1208 هجرية

وكان نزوله بدار الحاج الهاشمي بن العربي أخ الحاج محمد المذكور بزاوية أبي شعيب قبالة الضريح المبارك – انتهى – من تاريخ من عاصر الزمان المذكور، وليس هو الزياني ولا الضعيف انتهى ما نقله لنا سيدي محمد بن علي الدكالي مؤرخ سلا المذكور

وبعدما استلمنا منه هذه الرسالة حصل لي عجب من سكوت مؤرخي الزمان عن ذكر هذه الفائدة التاريخية المهمة، وكان بودي أن أسأل الشيخ ابن علي الدكالي المذكور إذ اجتمعت به عن المؤرخ الذي نقل هذه الفائدة وكنت أظنه أكنسوس صاحب الجيش العرمرم لأنه كان من المؤرخين في هذا العصر وبالأسف لم نجتمع بالشيخ ابن علي إلى أن أخبرت بموته رحمه الله

وبعد ذلك بمدة سافرت إلى مدينة فاس سلّمها الله من كل باس بقصد الراحة والاستجمام وصلة الرحم مع بعض الأقارب، فاستضافني صهرنا وصديقنا الحميم الفقيه الأديب سيدي عبد الكريم بن سودة قاضي تونات إذ ذاك

وبما أنه كان متزوجا بحفيدة ابن عمنا السيد عبد الرحمان المعروفي ولد الحمراوية الذي كان كاتبا مع الدولة العلوية فأطلعني على رسالة من مولاي سليمان بخط يده لشيخه الشيخ الطالب بنسودة

وكانت هذه الرسالة من ذخائر خزانة السادة السوديين بفاس وفيها ذكر ولد الحمراء مؤسس المسجد بالدار البيضاء وهو المذكور الآن فظنه أحد أجداد ولد الحمراوية صهره فأطلعني على هذه الرسالة ليستفيد منها تاريخ ولد الحمراوية

بزعمه فلما قرأت هذه الرسالة وقفت صدفة على الضالة المنشودة من بيعة مولاي مسلمة بالدار البيضاء وكنت متعطشا لها فاستفدت من هذه الرسالة فوائد تاريخية تتعلق بالموضوع

فأعطاني منها صورة ونصها

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

شيخنا البركة العلامة سيدي التاودي سلام عليك وبركاته

هذا وقد وصلنا كتابك وأدخلت علينا فيه من السرور ما الله عالم به بدعائك وعند رؤية خطك ولا تظن سيدي أنك تخرج عن بالنا لحظة وكنت عندما ناولني المناول أذكرك في قلبي وأذكر الكتابة لك وطلب الدعاء منك لأنك سيدي والله عندي كما قال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه أعز علي من نفسي التي بين جنبي وذلك الذي يجب على كل مسلم وكثرة أمثالنا وعدم أمثالكم متع الله بكم المسلمين آمين

وقد واصلنا حامله بشارة له بما أتانا به من عندكم وصلة للرحم ولا يخفَى عليك ما نحن فيه

لأن هذا الأمر صعب حملناه في آخر الزمان فلا منجي منه إلا الله نجانا الله منه وألهمنا فيه ما يرضيه وختم لنا بلا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ وإذا نظرنا إلى هذا الوقت وما نحن فيه من النصر الذي لا يقتضيه في الحال وجدنا أنفسنا قاصرة عن حمد الله ولو أعطيت قوة جميع المخلوقات لا أحصي ثناء عليه والحمد لله

وأخبرك سيدي أن مسلمة طرده الشاوية فضلا من الله من غير كلفة وذهب لأزمور

ورجع جل الشاوية لطريق تبلغهم للخير إن شاء الله ، لأنه كان ثمة يسعَى في فساد لا يكيف ولا يسعه الصدر ، وإذا كمل الله علينا في الملاقاة معك لا حرمنا الله منها إن شاء الله انهينا لك ذلك لكن رده الله بغيظه وزاده الله حنقا إلى حنقه ولتنظر سيدي للسيد العربي الذي وجهه وبعد هذا الكلام كلمة محتها البرودة وبعدها في ذلك الموضع الذي لا يرجَى منه فيه إلا الفساد من غير أن يزاد عليه .

وكلمة محتها البرودة أيضا وبعده وما يترتب عليه على الله

لأن مسلمة بقدرة السيد العربي بلغ لذلك الموضع وقد رأيت مكتوبه لأهلها بعبي وهاهي عندي إلى أن تراها إن شاء الله

نعم مولاي هشام كان عنده مقال وان كان فيه ما فيه والله أعلم أما مسلمة لا حق له فيه وهو يعلم أن من سن سنة الحديث الخ لكن الله غالب على أمره والحمد لله

وقد قدم علينا يوم الكتب كل من يشار إليه من الشاوية مثل ولد الحمراء وغيره يتقربون ويتشفعون بطرده من بلادهم من غير كلفة ولا تعب والحمد لله وقد كنت عازما أن أتكلم مع سيادتكم في قضية لتبدي لنا ما عندك فيها إذ ربما يكون عندك غير ما اطلعنا عليه في المواق عند قول المختصر «ومنع بيع مصحف الخ» لما في المدونة قال مالك «أما بيع الطعام فيجوز ليلا تكون الحرمة من وجه خفي علينا أو يكون النص مخالفا وهي بيع الزرع للروم المصالحين» ، سيدي أبدى لنا ما عندك في ذلك والله يبقيك للمسلمين ، وسلم على السيد أحمد ولد بلقاسم وعلى جميع الأهل أصلح الله الجميع آمين

عوض ولدكم سليمان بن محمد لطف الله به آمين ، ومحت البرودة التاريخ انتهت الرسالة

المقارنة بين ما نقله لنا الشيخ بن علي الدكالي مؤرخ سلا، وبين ما جاء في رسالة السلطان مولاي سليمان

مولاي مسلمة المعني بالأمر ، يسمى مسلمة ، وبسلمة ، وسلامة حسب ما جاء في ترجمته لابن زيدان في اتحافه

كل من النقل والرسالة متفق على بيعة كبراء الشاوية لمولاي مسلمة وأنه ورد من أبي الجعد ، والنقل بين من المخالفين للبيعة ولد الجدي وأنه من أولاد أبي رزق

وأن جيوش مسلمة حاربته واكتسحت أمواله وأن مسلمة فر لأزمور

كما أن النقل بين أنه تزوج بنت الحطاب بن عثمان الحريزي المنياري كبير أولاد حريز

وأن القائد الحاج محمد بن العروسي الدكالي قام بضيافته هو وحاشيته واكرامه ، وأنه سكن بدار الهاشمي بن العروسي أخ الحاج محمد المذكور

والحطاب هذا هو الذي تقدم ذكره في أول ولاية مولاي اليزيد وسيأتي لنا بقية الكلام عليه أيضا في ولاية السلطان مولاي سليمان ، والرسالة بينت المرسل لمسلمة من أبي الجعد وهو السيد العربي بن المعطي الرئيس الروحي بأبي الجعد برسائل لبعض كبراء الشاوية حصلت بيد مولاي سليمان ، كما بينت أن بعض كبراء الشاوية رفضوا بيعته وطردوه مهم ولد الحمراء

وقد علمنا بهذه الرسالة تاريخ وجود ولد الحمراء الذي ينسب إليه المسجد بالدار البيضاء وسيأتي لنا الكلام عليه في ولاية السلطان مولاي سليمان أنه من أولاد محمد من لعشاش فرقة من قبيلة أمزاب وان كانت الرسالة قد محت البرودة منها موضع التاريخ ، فإن النقل بينه وهو شهر صفر عام 1208 هجرية

وبما أن القائم بطلب الملك إذ ذاك وهو مسلمة ومولاي هشام

أشار مولاي سليمان في رسالته أن مولاي هشام كان له فيه مقال غير أن فيه ما فيه

أما مسلمة فما جوابه وهو يعلم أنه من سن سنة الحديث / يشير بهذا أن مولاي هشام له ما يبرره في طلب الملك من بعض الكفاءات وهي غير تامة أما مسلمة فلا مبرر له ولا كفاءة له وأشار إلى الحديث المروي عن رسول الله ﷺ وهو (من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ، ومن سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة)

وبما جبل عليه مولاي سليمان من التحري والوقوف مع النصوص استفتى شيخ الجماعة في عصره ، شيخه الشيخ الطالب بن سودة في حكم الشرع لبيع الزرع للنصارى المصالحين لما فيها من الخلاف عند الفقهاء . فاستدل على القول بالجواز

بقول المواق عند قول خليل (ومنع بيع مصحف ومسلم وصغير لكافر) قال المواق (أما بيع الزرع فيجوز) ومحصل ما قرره الفقهاء في هذه النازلة قولان قول بالتفصيل بين وقت الحرب فيمنع وزمن السلم فيجوز وهذا القول نقله الشراح عن ابن يونس

والقول الثاني المنع مطلقا وقد عزاه الشاطبي في المعيار لابن القاسم هذا ما نقله الشيخ بناني والذي يظهر أن القول بالتفصيل هو الحق لأن القرآن يؤيده

في سورة التحريم قول الله تعالى «لاَ يَنْهَاكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلظَّالِمُونَ» صدق الله العظيم

وقد فسر ابن العربي المعافري في أحكامه قول الله تعالى وتقسطوا أن تعطوهم قسطا من أموالكم وليس المراد بالاقساط العدل لأن العدل واجب على كل حال

وأن ما جاء في الرسالة من سلام مولاي سليمان على السيد أحمد ولد بنقاسم ولعله يعني كاتبه الزياني والله أعلم

وبهذه الرسالة القيمة بخط السلطان مولاي سليمان التي اكتشفناها وحللناها تحليلا علميا قد قمنا بسد فراغ باثبات حوادث تاريخية لا يستهان بها وبالله التوفيق

ندم قبائل الشاوية على ما صدر منهم من محاربة السلطان ورجوعهم لطاعته

تقدم لنا في حوادث سنة 1207 هجرية الالمام لغزو مولاي سليمان قبائل الشاوية وانهزام جيشه والسبب في ذلك ، ورجوعه لفاس لاخلاف ما ضاع واشتغاله بحرب الثائر بالجبل زيطان ، بعد هذا راجع رؤساء قبائل الشاوية نظرهم وفكروا في وخيم العاقبة وساورهم الخوف وعلموا أن لابد للسلطان من رجوعه لحربهم والانتقام منهم وأن مصلحتهم في الرجوع للطاعة والامتثال لما يترتب على

الحرب من الخراب والدمار فجعلوا يرسلون إليه أعيانهم المرة بعد المرة يسألونه الدخول في الطاعة وتعيين خليفة عليهم

وتقدم لنا قدوم فرقة الحلالفة للرباط لاستقبال السلطان فلم يجدوا به إلا خليفته مولاي عبد الملك بن ادريس ومن أجل ترددهم على السلطان أرسل معهم ابن عمه وصهره على أخته مولاي عبد الملك بن ادريس ولاه خليفة على الشاوية والدار البيضاء وأمره أن يتولى العمل في التجارة مع الأجانب بمرسَى الدار البيضاء ويتصرف فيها كأمين

فلما قدم للدار البيضاء قام بمهمته المنوطة به واشتغل بالتجارة مع الأجانب وقبائل الشاوية

فقام بذلك مقام خلفه السالف ، الشريف مولاي عبد الله الوزاني المتقدم الذكر

فساد الهدوء والأمن في البلاد وعم الرخاء واطمأنت النفوس وفي أثناء مقامه في أواخر جمادى الثانية 1209 هجرية ، ورد عليه سيدي العربي بن المعطي من أبي الجعد في الدار البيضاء ففرح به وأكرمه ، وتولى سيدي العربي القيام على غرس بستان للخليفة مولاي عبد الملك بالدار البيضاء وتوسط في رد ما نهبه بعض سفهاء الشاوية لبعض التجار من أهل فاس بالطرق وحاز التجار أموالهم وفي 28 قعدة من السنة بعث فوجا من أعيان الشاوية سكان الدار البيضاء متركبا من ستين فارسا بهدية للسلطان بمكناس وهي أربعة من الخيول العتاق وثلاثون بقرة حلوب وأربعة بغال محملة بالسمن وزرابي من النوع الرفيع ففرح بهم السلطان وأكرمهم وفي هذا التاريخ بعث أيضا القائد محمد الزعري للرباط صحبة مائة فارس حاملا معه ما تحصل من مستفاد المرسَى المعبر عنه بصاكة المرسى

وبما أن مولاي عبد الملك ارتكب غلطة باسهامه لأعيان الشاوية من مستفاد المرسَى تأليفا لقلوبهم على الطاعة وصاروا يتطاولون إلى الزيادة إلى أن صار يقاسمهم المستفاد نصفين النصف له والنصف لهم وعند تمام السنة لا يرسل للسلطان شيئا فغضب السلطان فأرسل له رسالة عتاب وتوبيخ

نقلنا هذا الخبر عن الضعيف والناصري في الاستقصاء .

ثورة مولاي عبد الملك على السلطان
بالدار البيضاء وما نشأ عنها من الأحداث

وعندما استلم مولاي عبد الملك الرسالة غضب إذ كان له مقام عظيم عند السلطان سيدي محمد بن عبد الله وساء ظنه بالسلطان وأخبر أعيان الشاوية بما تضمنته الرسالة وقال لهم ان هذا الرجل قادم علينا لا محالة وليس له قصد الا أنا وأنتم فما الرأي ؟ قالوا له الرأي أن نبايعك ونحاربه ونموت دونك فبايعوه وأعلنوا نصره ووجهوا لاخوانهم من الشاوية بالحضور عندهم

ووجه مولاي عبد الملك المدافع التي كانت في البحر إلى البرّ وساوره الخوف وذهب لتادّارت ناحية الدار البيضاء عند أبي حدو المديوني كبير تلك الناحية وكلفه بأن ينوب عنه في ذبح ثور على ضريح مولاي بوشعيب حسب ما نقله الضعيف في تاريخه

وابن حدو هذا لا ندري هل هو الذي تنسب إليه قبيلة أولاد حدو أو غيره واتصل الخبر بمولاي عبد الملك بخروج السلطان إليه

وأنه بعث أخاه وخليفته مولاي الطيب وعقد له على كتيبة من الخيل وتبعه السلطان على اثره ، ولما بات بقنطرة الحلاج جاء الخبر بأن قبائل الشاوية قد بايعوا المولى عبد الملك

واتصل الخبر بمولاي عبد الملك بأن السلطان وصل إلى القنطرة المذكورة فتضاعف خوفه وفر فيمن بايعوه من أهل الشاوية وأخلى مدينة الدار البيضاء من خيله ورجله

ففرح أهلها بخروجه ليلا يعديهم جربه على حدّ تعبير الضعيف وبادر سكان أهل الدار البيضاء باخراج المدافع عند خروجه ليلا اعلاما للسلطان بفراره

قال الزياني في الترجمان ، وكنت عند خروج المدافع عند الطيّب وجهني السلطان إليه في أمر ، وقلت له اخراج هذه المدافع اعلاما على فراره فقال لا انما اخراجها ارهابا وتخويفا لنا فقلت له والله لقد هرب ، وخروجها من قوانين البحر

فركب السلطان في الحين ، وما أصبح إلا وأنا عنده ، فأول ما سألني عنه خروج المدافع فقلت له أن الرجل هرب فشك في ذلك وارتحل فلقيه خبر فراره من الطيّب الذي كتب له بذلك

فلما وصل السلطان وجه فريدة من الخيل ليلا للدار البيضاء إلى أن بلغوها وأقاموا بها ثم أنفذوا إليه رسلهم بجلية الخبر فهش لهم السلطان وبش وبعث معهم كتيبة من الخيل لتقيم بالدار البيضاء وتقدم هو بعساكره إلى قصبة علي بن لحسن فأغار على مديونة وزناتة فنهبها وامتلأت أيدي الجيش وأوغل مولاي عبد الملك في الفرار إلى جهة أم الربيع وعاد السلطان بالنعم والماشية إلى رباط الفتح ونقل تجار النصارَى الذين كانوا بالدار البيضاء إلى الرباط على حد تعبير الناصري

والزياني يقول اخرج النصراني الذي كان يسيق الزرع واستمرت المرسَى معطلة إلى دولة السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام فأحياها كما سيأتي

ونقل الناصري تهنئة العلامة الأديب أبي محمد عبد القادر بن شقرون للسلطان ونصها

مولاي أنت الذي صفت مشاربه
تغز ناحية أوليتها جلدك
هذه البشائر وافت وهي قائلة
أعوذ بالله من شر الذي حسدك
فاصعد على منبر الاقبال معتليا
فالسعد أنجز ما كان به وعدك
وانهض إلى غاية الآمال تدركها
فالآن قالت لك العليا هات يدك
ولا تخف أبدا من سوء عاقبة
فليس يفلح من بالسوء قد قصدك
ألبسك الملك العظيم نائله
من الرضا حللا قوى بها مددك
فضلا من الحكم لترضَى حكومته
جعلها كالشجا في حلق من جحدك

فاشكر صنيع الذي أولاك مكرمة
تنـل رضاه وتبلغ بالرضا رشدك

الاستقصاء الجزء 8 صحيفة 99

حرب السلطان مولاي سليمان لعبد الملك والشاوية الذين معه

ورجع السلطان مولاي سليمان لقتال مولاي عبد الملك ومن معه قبائل الشاوية

وجاء السلطان بقبائل البربر– وبي احسن– والجند فنزل بالدار البيضاء وزحف لحرب مولاي عبد الملك بنواحي أم الربيع فغارت قبائل البربر على الشاوية ، فاستولوا على أموالهم ، ثم أن الشاوية انقلبوا عليهم وقتلوا من البربر نحو الثلاث مائة وغنموا من خيل البربر نحو الخمسمائة

قال الضعيف لولا بنو أحسن انضموا إلى البربر وقاتلوا معهم لم يفلت من البربر أحد

ثم أن السلطان زحف بما عنده من الجند لجموع الشاوية ، فكان بينهم حرب شديد يشيب منه الوليد ففزع السلطان من كثرة جموعهم وهم بالفرار للرباط فرآه القائد ادريس بن الغازي السكيري فتقدم أمامه وقبض على لجام فرسه وقال له ياسيدي ان فررت لم يفلت أحد من جيشك الزم موضعك واثبت مكانك فإني سأقاتل وأدخل المعركة مع بني أحسن ثم دفع ادريس بلغازي كأنه الأسد الهصور واشتعلت نار الحرب وانهزمت قبائل الشاوية مع عبد الملك وأوغلوا في الفرار إلى ناحية أم الربيع

ما ترتب عن هذه المعركة من التشويش نقلا عن الضعيف

ثم جاء الخبر لفاس بأن الشاوية هزمت السلطان وأوقعت به فرجف الناس لذلك وقامت فتنة بفاس الجديد عند عائلة الأودابة ووقعت المناذب بالديار والناس يبكون على أهليهم وذويهم وحمل ما في ملاح فاس الجديد من الأثاث والأمتعة

وفتن الناس بفاس البالي ووصل الخبر لأهل وزان أن أبواب فاس مسدودة وقام الهرج بفاس البالي في المواد الغذائية من شراء الزيت والسمن والقمح والفحم وانكسرت سوق أربعاء أولاد جامع ولم يأمن الناس حتَّى جاء كتاب السلطان وقرئ بجامع القرويين . وحينئذ اطمأن الناس واستأمنوا على أنفسهم قال الضعيف

ثم أن البرابرة أعجبتهم كثرتهم فهجموا على الشاوية من غير اذن السلطان فكرت عليهم قبائل الشاوية فأنزلوهم على الخيل وغنموا منهم نحو ألفين من الخيل ، فأغاثهم بنو احسن وكان ذلك يوم الجمعة 28 قعدة 1209هـ وفي يوم السبت بعده جمع السلطان ما معه من الجنود وهجم على الشاوية مرة ثانية ففروا أمامه حتَّى نزل عليهم بمشرع الخشب ، وفي يوم الأحد بعده ، أوقع السلطان بأولاد أحريز بعد أن قاتلوا قتالا شديدا ، وانهزموا واكتسح السلطان أموالهم ، وقتل مهم نحو أربعمائة فارس وسبي مهم عدداً كثيراً

وفي يوم الاثنين بعده نزل السلطان على وادي أم الربيع وفر عبد الملك ولحق بأخواله سكتانه بسوس

كارثة وقعت بقبائل الشاوية بسوء تصرفهم

لما انتصر السلطان على الشاوية ، فكروا في القدوم عليه واستعطافهم له وطلب العفو منه فجاء معهم طلبة دكالة والشياظمة واجتمعوا وذهبوا قاصدين أفراك السلطان ليلا ، فتوهم جيش السلطان أنهم جاءوا بالغدر فأطلق الجيش الرصاص عليهم دفعة واحدة فمات خلق كثير من دكالة والشاوية فجعل الضعيف يعدد لنا بعض الأسماء من أعيانهم قال مات عبد السلام خريبش من لصوص أولاد حريز ومات ولده وهو طفل صغير ، ومات الفقيه السيد المكي بن ابراهيم وبعض طلبته ، ومات السيد الغازي ، ومات من دكالة الشيخ علي العجيلي ، ومات من الشياظمة واشتوكة خلق كثير يقال أنه مات في هذه الوقعة نحو أربعة آلاف ولما علم السلطان بذلك تأسف غاية الأسف

وفي صباح الغد قدموا عليه يطلبون منه الشفاعة والعدو ، فرحل السلطان لفضالة متأسفا .

وصول السلطان إلى الرباط
وإقامة الحفلات بانتصاره

وبعد ذلك ارتحل السلطان مع الجيش وترك أخاه مولاي الطيب خليفة له بالدار لبيضاء والشاوية

فوصل إلى الرباط يوم الاثنين ثاني حجة 1209هـ وتلقاه طلبة الرباط ففرح بهم وفي الغد احتفلت مدينة سلا والرباط وزينت المتاجر ولعبت الخيل، وفي يوم الجمعة احتفلت حومة الجزاء، وفي يوم السبت حومة مولاي ابراهيم ليلا ونهارا وبعده حومة بولقرون وبعده حومة السويقة وبعده حومة لعلو

وفي هذه الحفلة أصيب الطبجي الطاهر ولد أمينة في يده بقنبلة مدفع ومات رجل مكناسي وبعد ذلك وصل رسول السلطان وهو الحيمر بكتاب منه فقرئ بجامع القرويين بالنصر

والكتاب خاص للقاضي السيد أحمد بن سودة، يخبره فيه بأنه أوقع بالشاوية بوادي أم الربيع وأنه أحاط بهم بالرايات والبنود وكثرة الخيل والجنود، وأقام السلطان عيد الأضحَى بمكناس، وأخوه مولاي الطيب بالدار البيضاء

فاجتمعت عليه بعض كبراء الشاوية، مثل عبد الخالق بن المحجوب الحريزي وعبد الرحمان بن البهلول، وولد بودرير المديوني وغيرهم، ثم شرع مولاي الطيب في التصفية فقبض باذن السلطان على الحطاب بن عثمان المنياري الحريزي الذي تقدم الكلام عليه في ولاية مولاي اليزيد وكبله بالحديد وبعث به لفاس وسجن بفاس البالي وسيأتي الكلام عليه مع عبد الخالق بن المحجوب

حوادث سنة 1210هـ موافق 1795م
تولية الغازي بن المدني
على الدار البيضاء والشاوية

ولما كان السلطان بالدار البيضاء ولي على الشاوية والدار البيضاء الأستاذ الغازي

بن المدني المزمزي ، وذلك في أوائل سنة 1210 هجرية فصلحت الأحوال على يده ولما كان السلطان بفاس وجه وصيفه الغازي بن سلمة للدار البيضاء ليتجسس على خبر أخيه مولاي الحسين الذي تركه بالمطل مع عساكر الحوز ودكالة ، وعبدة وأحمر

وبعدما استقر الحطاب بن عثمان الحريزي بالحبس بفاس البالي تفقد السلطان أولاد أخيه مسلمة المتقدم الذكر وهما الرشيد وجعفر وأمر باخراجهما من الحبس بفاس الجديد وإدخالهما بالحبس بفاس البالي ليؤنسا الحطاب الحريزي

وأمر السلطان ليبيتا مقرونين بسلسلة مع الحطاب ، وتقدم لنا أن الحطاب هذا هو الذي كان قائدا مع السلطان مولاي اليزيد وقبض عليه وسجنه بالمهدية وأنه هو الذي زوج بنته لمولاي مسلمة بمدينته أزمور

وبهذه المقارنة يظهر أن جريمته هي أعانته لمولاي مسلمة في بيعته بالدار البيضاء ثم أن مولاي الطيب قبض على رؤساء الشاوية بالدار البيضاء وعاقب بطلين من أبطال أولاد زيان وهما الحاج العربي والحاج الهاشمي وقطع أيديهما وأرجلهما بسوق الاثنين وقبض على بعض كبراء الشاوية وأرسلهم مسجونين لمدينة الصويرة وفي هذه المدة مات عبد الرحمان بن البهلول من أعيان الشاوية وهرب الجل من مديونة والسوالم وأولاد أحريز قطعوا وادي أم الربيع ودخلوا دكالة

ثم أن مولاي الطيب وجه بعض أعيان الشاوية للسلطان بفاس وهم علي ولد الجدي وولد مولى الطابع وتقدم لنا أن ولد مولى الطابع هذا كان ولاه السلطان سيدي محمد بن عبد الله سنة 1180 هجرية على قبيلة أبي رزق

انتقال مولاي الطيب من الدار البيضاء لمدينة مراكش خليفة للسلطان وما ترتب عنها من الأحداث

بقي مولاي الطيب بن محمد بن عبد الله خليفة للسلطان بالدار البيضاء والشاوية إلى أن ورد الأمر له من أخيه السلطان مولاي سليمان بتعيينه خليفة له بمراكش

وعند انتقاله أناب عنه عبد الخالق بن المحجوب الحريزي وكان هذا الأخير من أعيان أولاد أحريز وأبطالهم وبعدما استقر بالدار البيضاء وله النيابة المطلقة من مولاي الطيب بدأ عمله بقتل ولد الحمراء المحمدي المزابي ورئيسين من أعيان الخزازرة فقطع رؤوسهم وأرسل الرؤوس لفاس لرفضهم ما طلب منهم من الواجب المخزني

ثورة قبيلة أمزاب
لقتل ولد الحمراء ومن معه

ولما لولد الحمراء من المكانة عند قبيلة أمزاب وأولاد محمد وما تكنّه له من الاحترام والعطف غضبوا وثاروا وخلعوا ربقة الطاعة ولما بلغ خبر ثورتهم للسلطان أرسل إليهم جيشا لمحاربتهم ، وبعد وصول الجيش تلاقى الجمعان واشتدت المعركة بين الطرفين ورد الخبر على السلطان بأن القبيلة هزمت الجيش وأن عبد المالك الأودي قائد تادلة إذ ذاك نزل بصخرة الدجاجة مع قبيلة تادلة استعدادا للطوارئ فأمر السلطان القائد ادريس بن الغازي السكيري بأن يزحف بقبيلة بني أحسن لحرب أمزاب

فجمع هذا القائد ثلاثين ألفا من قبيلة بني أحسن ولما دخل الشاوية وجد عبد الخالق بن المحجوب جمع من قبيلة الشاوية أربعين ألفا

قال محمد بن عبد السلام الضعيف ناقل الخبر ، ان هذه الجموع لم تغن شيئا وبقيت كفة الثوار مائلة لاعتصامهم بغابة أولاد مَحمد وفي الأخير اهتدَى القائد ادريس لخطة حربية بأن حاصرهم بالغابة وبهذه الخطة أذعنوا للطاعة واستسلموا وفك عنهم الحصار ثم ورد بعض كبرائهم على سيدي العربي بن المعطي بأبي الجعد وطلبوا منه التوسط عند السلطان فتشفع فيهم وسامحهم نقلنا هذا الخبر من تاريخ الضعيف بتصرف .

القبض على عبد الخالق بن المحجوب

وبعد قيام هذه الحرب الضروس بين السلطان وقبائل أمزاب بلغ الخبر للسلطان بأن عبد الخالق بن المحجوب الحريزي شق عليه العصا ويريد تحويل الكلمة إلى أخيه مولاي الطيب فبعث السلطان إلى عبد الخالق بن المحجوب يأمره بالقدوم إليه

فورد عليه بمدينة مكناس ومعه هدية للسلطان وهي تشتمل على بغال وخيول وزرابي وثلاثمائة قنطار من المال ، فأظهر له السلطان الفرح والسرور وفي الغد أمر بالقبض عليه وقيده بكبل من حديد وبعثه مسجونا لسجن فاس البالي

ولما دخل السجن على القائد الحطاب الحريزي المتقدم الذكر امتنع هذا الأخير من الاجتماع به وبرؤيته وقام كالمجنون يرسف في قيوده وسلسلته فرارا من الاجتماع به

قال الضعيف ناقل الخبر لأن عبد الخالق بن المحجوب الحريزي كان قتل أخا الحطاب

حوادث الدار البيضاء والشاوية من سنة 1220 هجرية موافق 1805م الى سنة 1231 هجرية موافق 1815م وكلها تدور حول محور الغازي بن المدني المزمزي

لا نعرف عن الغازي بن المدني الا ما عرفه لنا السلطان مولاي سليمان حسب ما سيأتي قال فيه الغازي بن المواق بن المدني نسبه إلى جده المدني ووصفه لقبائل الشاوية عندما خلعوا طاعته وأن والده السلطان سيدي محمد بن عبد الله كان أمره بالقراءة عليه القرآن

ويستفاد من هذا أن الغازي هذا كان السلطان تلميذا له وبسبب ذلك عطف عليه وجعله عاملا على الشاوية والدار البيضاء سنة 1210 هجرية وعندما تكلف بالأمر قام بمهمته خير قيام ، إذ لم يسجل التاريخ من سنة تكليفه 1210 إلى سنة 1225 هجرية أي عصيان لقبيلة الشاوية من فرد أو جماعة .

وبسبب ذلك ضم له ولاية العدوتين وما جاورهما من القبائل من بني أحسن وعرب الويدان التي كان مكلفا بالقيام عاملا عليها محمد السلاوي

في 14 صفر 1220 ورد الأمير مولاي عبد السلام الضرير ابن السلطان سيدي محمد بن عبد الله – رسولا من عند أخيه السلطان مولاي سليمان من مراكش إلى الرباط – وبيده رسالة إلى العامل على الرباط وسلا وما جاورهما وهو مَحمد السلاوي

مضمنها ايقافه عن العمل بالعدوتين الرباط وسلا وقبائل بني أحسن واعراب الويدان

والأمر بتعيينه على منطقة الشمال من تطوان وطنجة ، والعرائش والقصر والقبائل المجاورة من أهل الجبل وبني مالك ، والخلط وطليق وتكليفه بالنيابة عنه فيما يخص الأجانب

ولاية الغازي بن المدني على العدوتين الرباط وسلا وما جاورهما من قبائل بني أحسن وأعراب الويدان

وفي تاريخ يوم الاثنين 21 صفر من السنة 1220 هجرية خرج السلطان من مراكش ، ونزل بصخرة الدجاجة عند الغازي بن المدني وعينه عاملا على الرباط وسلا وما جاورهما من القبائل ثم رجع إلى مكناس ، فحينئذ بعث الغازي بن المدني ابن عمه اليماني بن بوشعيب للرباط بكتاب السلطان ، وقرئ الكتاب يوم الجمعة تاسع ربيع الأول بالجامع الكبير على سكان الرباط وسلا

ثم قدم الغازي للرباط عاملا على من ذكر ونزل بدار القائد العربي ولد المجاطية

وفي آخر ربيع الأول عين أحد أعيان الرباط السيد الحاج الطيب الزبدي وجمع له بين القيادة وخطة القضاء على الرباط ، وفي رجب من نفس السنة

آخره عن وظيفة القضاء وولى مكانه السيد عبد القادر بن المهدي مورينو واستمر هذا الأخير قاضيا على الرباط إلى يوم الأربعاء التاسع من شوال عام 1230 هجرية ثم عزل وولى مكانه الفقيه السيد محمد بنجلون وفي يوم الجمعة السادس عشر من ذي الحجة عام 1220 قبض الغازي على قائد الصباح المعطي بن يعيش وسجنه بالرباط

تولية البهلول بن الصغير المزمزي على الرباط عوضا عن الحاج الطيب الزبدي

في تاريخ 12 محرم 1221 عزل الغازي بن المدني الحاج الطيب الزبدي على الرباط وولى مكانه ابن أخته البهلول بن الصغير المزمزي

الأمر بالاستعداد إلى الجهاد

وفي أول المحرم سنة 1223 هجرية شاع وذاع بأن النصارى يريدون الهجوم على المغرب

وبعث السلطان مولاي سليمان لمراسي المغرب بالاستعداد للطوارئ وبالتحذير من بني الأصفر ـ المقصود بني الأصفر هم نصارى فرنسا ـ

فأرسل الغازي بن المدني على قبائل الشاوية واعراب الويدان بساحل الرباط نحو الأربعين ألفا ، وخرج الغازي يوم عيد المولد لاستعراض الجيوش فكان يوما مشهودا ، وفي يوم الثلاثاء 21 من ربيع الأول شاع وذاع بأن النصارى نزلوا بمرسى تامرغت قرب أكدير فكان الخبر غير صحيح

ادبار السعد على الغازي بن المدني وعزله ومحنته ورجوعه لمنصبه

بسبب محبة السلطان للغازي بن المدني واحترامه له صار مدلا عليه وصدر منه

تجي عليه والتدخل في شؤونه الخاصة فكان ذلك سببا لمحنته فمن ذلك أنه عندما كان السلطان في طريقه إلى مراكش وفي يوم الاثنين ثالث عشر قعدة عام 1225 هجرية بعد انفصاله من وادي أم الربيع بعث للطالب الجيلالي بن أحمد بن الجيلالي السكيري وساره بأنه سيوليه عمالة بني أحسن ثم أن الجيلالي المذكور أفشَى هذا السر الذي كان بينه وبين السلطان لابن القاسم ولد بوعزة القسطالي وأعلمه أن السلطان أراد أن يوليه على قبائل بني أحسن فذهب ولد القسطالي لصهره الباشا الغازي بن المدني المزمزي وبلغه الخبر فحصل للغازي قلق وغضب فذهب إلى السلطان وقال له كيف يمكن أن تولى ولد أحمد بن الجيلالي على قبائل بني أحسن وهو حديث السن ونقص من قدره فأجابه السلطان بأنه لا يوليه ، ثم أن السلطان وجه الجيلالي السكيري المذكور إلى المشرق مع ولده مولاي ابراهيم وظهر له أن يعزل الغازي على العدوتين وما والاهما فعزله وولى مكانه القائد سليمان بن القرشي الشكيري

في 15 من ربيع الأول سنة 1226 هجرية قرئ كتاب السلطان بالرباط وسلا بعزل الغازي وتولية سليمان بن القرشي على العدوتين وقبائل بني أحسن واعراب الويدان

فلما وصل الخبر للغازي قام وقعد وأبرق وأرعد وقال كيف يمكن له أن يعزلني وجعل يكرر هذه الكلمة وحصل له شبه هذيان وذهب لمكناس وهو غضبان وجعل يسب أهل الرباط وينقص منهم

وفي 19 من ربيع الثاني سنة 1226 هجرية سافر من الرباط كأنه مخالف على السلطان فلما وصل جعل يسعَى في الفتنة بين قبائل الشاوية فأول ما فعله منع دخول الزرع من الشاوية إلى الرباط كأنه يحارب السلطان اقتصاديا وأمر بالقبض على الشيخ البصير بن الطاهر المزابي وهو من أعيان قبيلة أمزاب وصار يشتري الخيل ويفرقها على اخوانه المزامزة فقام الشيخ لبصير ضده وعزم على حصاره بسطات ثم بدا له فتوجه يوم الأربعاء سابع وعشري جمادى الأولى إلى سوق الأربعاء بقبيلة أمزاب وجعل ينادي على فرسه بالدعاء للسلطان بالنصر والتأييد ويتبرأ من الغازي بن المدني فتبعته قبائل أمزاب وأولاد أحريز واشتغلوا بكسر الأسواق وقطع الطرقات وانحصر الزرع على العدوتين ، ولولا أن قبائل بني أحسن واعراب الويدان أغاثوهم به لهلكوا جوعا .

سطات ليلا ومن شدة العدو مات فرس الغازي تحته ولم يأمن على نفسه حتّى وصل قبيلة زناتة وبات عند الرك الزناتي

ثم علمت قبائل الشاوية بفراره عند السلطان فتبعوه إلى مكناس ولما وصلوا جمعهم السلطان عنده فجعل يوبخهم ويقرعهم

تولية ابراهيم لوراوي على أولاد بوعطية ومحمد بن البهلول المزمزي الذي كان خليفة للغازي بأبي الجعد على أولاد أبو رزق

فولى السلطان ابراهيم بن محمد لوراوي كاتب الغازي سابقا على أولاد بوعطية وولى محمد بن البهلول المزمزي على أولاد أبو رزق

الأحداث التي وقعت بتولية ابراهيم لوراوي

وبعدما تحققت توليته من السلطان في يوم الاثنين متم جمادى الثانية ذهب راجعا للرباط صحبة أشياخ الشاوية المولى عليهم وبعد وصوله للرباط نزل قرب سقاية ابن عائشة على ساحل البحر ، وجعل يدق السلاسل والأغلال والأكبال وصار يقبض على كبار الشاوية من أولاد أبو عطية ويسجنهم ويزيلهم عن خيولهم وهو في طريقه مع عبيد البخاري فخرج للدار البيضاء يوم الاثنين في السابع عشر من رجب فنزل بمشرع الفتات فثاروا ضده ولم يرضوا بحكمه وتآمرت عليه قبائل أمزاب والمذاكرة وأولاد علي فنهبوا أمتعته وأطلقوا اخوانهم من السلاسل والأكبال وحالوا بينه وبين فرسه وخيمته وكان معه خمسة وسبعون من عبيد البخاري لحمايته فنهبوهم أيضا وفر بنفسه إلى قصبة علي بن لحسن بمديونة عند أولاد المجاطية وكان معه الطاهر بن محمد بن عمر بن بوسلهام المزابي والشيخ لبصير بن الطاهر فجعلوا يضحكون عليه وهو هارب على بغلته ، والتجأ إلى الشيخ المعطي بن ابراهيم المديوني فحماه وجعلوا يتبايعون في أمتعته فاشترَى دائرته من الملف رجل من قبيلة الدغمة

ما خلفته هذه الحوادث السيئة
من الفتن خارج الشاوية

لما سمع الناس ثورة قبائل الشاوية على عاملهم تحركت عروق الشرّ في النفوس الشريرة وحدث ما لم يكن بالحسبان

في فاتح جمادى الأولى خرج القائد مجبر صحبة (22) من العبيد حاملا معه مال السلطان لتافلالت فخرج عليه قبيلة آيت يوسى وحاصروه ونهبوا ما عنده من المال وقتلوه هو ومن معه من العبيد ، ثم خرج القائد محمد السلاوي الذي ولاه السلطان على الشمال ليلتحق بولايته فمر بسوق الخميس بسيدي قاسم من عمالة الغرب فوجد السوق قد انكسر فاستقبله بعض الناس عراة بسبب طيش من بعض قبائل أولاد النصير – والصباح – وآيت يمور ولما وصلت هذه الأخبار إلى السلطان في 17 جمادَى الثانية بعث الشريف محمد بن عبد الصادق الريسولي لقبائل الشاوية يسترعي عليهم

فاجتمع بكبراء الشاوية مهم العباس بن خمليج ومن أمزاب الطاهر بن محمد ابن عمر بن بوسلهام المنيعي والشيخ لبصير بن الطاهر وبوشعيب بن العناية الزيادي والمعطي بن ابراهيم المديوني ، وفي هذا الكتاب يخيرهم لمن يتولى عليهم فأجابوه بالدعاء للسلطان بالنصر والتأييد والتبرأ من الغازي

وبعد رجوع الرسول لمكناس وقعت فتنة من قبائل الشاوية فانكسر سوق الأربعاء بأولاد احريز ثم انكسر سوق الخميس بمديونة فافترقوا انحازت قبائل الشهاونة في جهة وأولاد ابن عطية في جهة

فرار الغازي بن المدني من سطات

في يوم الأربعاء الثامن عشر من جمادى الثانية 1226 ورد على الرباط الباشا الغازي بن المدني فارا من أمزاب ومن كبيرهم الشيخ لبصير بن الطاهر متوجها لمكناس ومعه كاتباه ابراهيم بن محمد لوراوي والمعطي بن الحيمر المزمزي خرجوا من

فكتب القائد ابراهيم لوراوي للسلطان يعلمه بالخبر وتحامل في كتابه على الشيخ لبصير بن الطاهر ومحمد بن عمر لمزابي وذكر بأنهما حرضا قبائل امزاب عليه

(قتل الشيخ البصير) المـذكـور

لما أرسل الرسالة للسلطان أجابه السلطان أن يبعث للشيخ البصير بالقدوم عليه بالدار البيضاء ، وأن يبعث أيضا للطاهر بن محمد بن عمر المزابي فبعث لهما

فلما وصلا إلى الدار البيضاء واستقرّا بها

ففي يوم الاثنين في السابع والعشرين من رجب سنة 1226هـ قبض على البصير ودخل على نساءه في داره وفضح حريمه وحاز كلّ ما وجد في الدار من الأثاث والخيل والسلاح وقيده بكبل

ثم قبض على الطاهر بن محمد المزابي وأعلم السلطان بالقبض عليهما فأرسل السلطان بعض العبيد البخاريين تحت رئيسهم القائد الخمار البخاري مع مائة من الفرسان وخرجوا من الرباط يوم الثلاثاء السابع من شعبان سنته ودخلوا للدار البيضاء في الثامن منه

وفي ليلة الجمعة العاشر من شعبان خرجوا بالبصير عند غروب الشمس وجعل الضعيف ناقل الخبر يثني على البصير وينوه به ويذكر شجاعته وكرمه وجوده وأنه لا يوجد مثله في قبائل الشاوية ولما أظلم الليل خرجوا به من الدار البيضاء وتوجهوا به لدار القائد عبد الله الرحماني التي كانت بين الدار البيضاء وعين مازي ومحل هذه الدار اليوم بنيت بها ادارة نقابة العمال بالدار البيضاء ، فقطعوا رأسه ولم يعلم بذلك الطاهر بن محمد بن بوسلهام المزابي ثم ذهبوا بالرأس والطاهر بن محمد للرباط وذلك يوم الجمعة العاشر من شعبان سنته ثم توجهوا بهما لمكناس

وفي يوم السبت الحادي عشر من شعبان سنته وقعت حرب بين مديونة وأولاد أحريز وانهزمت مديونة أمام أولاد أحريز بين الطوالع وابن سليمان إلى وادي

بوسكورة ، وجعل الضعيف ناقل الخبر يعدد لنا أسماء من مات في هذه المعركة من قبيلة مديونة

قال مات الحاج ابراهيم بن العروسي المديوني وكان من أبطالهم ومات ولد الجيلالي بن المداح المجاطي — ومن الحفافرة الشيخ يوسف وولد ابن دية المديوني الحداوي ورجل من المزابيين— وولد بلعيساوي الهراوي— وولد عبد الجليل الهراوي الملوكي— ورجل من أبطال أولاد عبد الدائم وكثير من المشاة— وتسعة من زناتة

وفي يوم الأحد الثاني عشر من رجب سنته وقع قتال بين الزيايدة من جهة وأولاد علي والمذاكرة من جهة وفي الثاني والعشرين من شعبان سنته انكسر سوق الأربعاء بهشتوكة وفر قائدهم الدكالي ومزقوا خيمته وانضموا للشاوية

الأحداث التي سجلها التاريخ بشهري شعبان ورمضان سنة 1226هـ موافق 1811م

القبض على الغازي بن المدني

تقدم لنا وصول الغازي بن المدني للسلطان مولاي سليمان بمكناس فارا من قبيلة أمزاب وبالأخص الشيخ البصير وذلك بتاريخ 28 جمادى الثانية عام 1226 هجرية وبقي بمكناس حرا طليقا إلى أن بلغت للسلطان حوادث الشاوية المؤلمة فظهر من المصلحة القبض عليه ، ففي رابع شعبان 1226هـ قبض السلطان على الباشا الغازي بمكناس وبعثه مسجونا لفاس الجديد

وصول أخ الغازي بعياله وعيال أخيه للرباط

وفي نفس التاريخ وهو رابع شعبان ورد على الرباط المدني أخ الغازي من سطات بعياله وعيال أخيه الغازي ولما وصل إلى محل يقال له لكرار في الطريق قبض عليه بعض أعدائه ثم أطلقوا سراحه .

توسط بعض شرفاء وزان في الصلح
بين الشهاونة وأعدائهم

بسبب ما كان لبعض شرفاء وزان من النفوذ المعنوي بالدار البيضاء والشاوية منذ كانوا يتجرون في الحبوب بولاية السلطان سيدي محمد بن عبد الله وصدر ولاية ولده مولاي سليمان

ففي تاريخ 26 شعبان توسّطوا في الصلح بين الشهاونة وأولاد بوعطية وذلك بمدينة الدار البيضاء واحتفل لهم قبيلة الشهاونة وأكرموهم ، وعندما خرجوا من الدار البيضاء مرت فرقة من المزامزة وأولاد حريز بقبيلة السوالم فنهبوا لهم أربعمائة من الغنم وسبعة من الرعاة وكرد للفعل في التاسع والعشرين من شعبان من العام المذكور وقعت حرب بين المذاكرة وأولاد علي من جهة والسوالم والزيايدة من جهة

فذهب أحد زعماء الزيايدة واستنجد بقبيلة زعير فمدوه بنحو الثمانين فارسا وقدم إلى محل المعركة وطوق المذاكرة وأولاد علي وهزمهم

ولما انفصلت المعركة ذهب الزيايدة بالمنجدين من زعير إلى خزائن أولاد علي ونهبوا زروعهم ودفعوه لهم كتعويض عن الخسارة

وفي ذلك اليوم هجمت أولاد حريز والمزامزة على قبيلة أولاد زيان وا(خذوهم على غرة ونهبوا ما وجدوه من المال والخيل وسلبوا نساءهم من الحلي واللباس

وكرد للفعل هجمت قبائل السوالم مع بعض قبائل الشهاونة على أولاد أحريز فنهبوا لهم مائة وعشرين رأسا من البقر

كل ذلك وابراهيم لوراوي في الدار البيضاء فاختلفت قبائل الشاوية في شأنه

فالشهاونة اختاروا ولايته عليهم لكونه منهم والمزامزة اختاروا الغازي بن المدني المزمزي وأولاد بوعطية اختاروا الانفصال عنهما معا واتفقت قبائل أمزاب وأولاد حريز والمذاكرة وأولاد علي على أن يهجموا على ابراهيم لوراوي في عقر داره بالدار البيضاء عدا الزعيم الجيلالي بن خمليج رئيس أولاد آمراح بمزاب خالفهم وقدم

للدار البيضاء صحبة مائتين من اخوانه أولاد أمراح ، وانضم إلى ابراهيم لوراوي وقال لأولاد بوعطية إن كنتم طاعة للسلطان فأعينوا الشهاونة وإن كنتم مخالفين له فزيدوا على أولاد حريز والمذاكرة فوقع قتال بيهم فانهزمت أولاد أحريز والمزامزة

اطلاق سراح الغازي وتوليته على الأوداية ثم على أهل فاس ثم عزله

ولما بلغ للسلطان هذه الفتن المدلهمة رأى من المصلحة اطلاق سراح الغازي

وفي يوم السبت الخامس والعشرين من شعبان سافر السلطان من مكناس إلى فاس وأطلق سراح الغازي من السجن وولاه على قبائل الأوداية فطلبوا الاعفاء منه فلبَّى طلبهم وعزله عنهم ثم ولاه على فاس البالي فطلب اعيانها الاعفاء منه عنهم فلبَّى طلبهم وعزله عنهم

وبما أن ولد الراضي كان قائدا على ورديغة أراد أن يظهر النصيحة للسلطان باشهار الحرب على قبائل الشاوية

في هذا التاريخ قدم صحبة قبيلة ورديغة مع قبيلة آيت الربع وهجم على مزاب ونزلوا بخزائن زروعهم وجعلوا يطلعون الزرع منها ، ثم كرت عليه قبيلة أمزاب ووقع قتال ومعركة شديدة بينهم فهزموه ونهبوا محلته ورجع منهزما كما بتاريخ الضعيف

الهم من اولاد بو عطية بالهجوم على ابراهيم لوراوي

ثم اجتمعت قبائل اولاد بوعطية وهم امزاب وأولاد حريز والمذاكرة وأولاد علي نزلوا بنواحي الدار البيضاء وأرادوا الدخول على الباشا لوراوي فاستغاث هذا الأخير بالباشا سليمان بن القرشي السكيري عامل بني احسن فقدم بنحو أربعين ألفا من قبائل بني أحسن وأعراب الويدان .

وفي يوم الأربعاء التاسع والعشرين من شعبان قدم إلى الدار البيضاء

الحرب بين لوراوي وقبائل الشاوية

ولما قوي جانب ابراهيم لوراوي بمن ذكر جمع إليه قبائل الشهاونة وخرج لقتال أولاد بوعطية فوقعت بين الطرفين معركة

وبما أن الباشا سليمان بن القرشي كان عنده الأمير مولاي عبد السلام ولد السلطان مولاي سليمان وهو طفل صغير فخاف عليه أوقف القتال وذهب به لفضالة صحبة بني احسن

فأرسل الأمير مولاي عبد السلام لسيدي العربي بن المعطي بأبي الجعد وكان ذلك يوم الجمعة حادي عشر رمضان 1226هـ.

فمات في هذه المعركة الشيخ بوعزة بن المعروفي الصباحي من أعراب الويدان وقاسم الصباحي من أعراب الويدان وبوعمر بن حمو الفرجاني الزعري وكان من كبار اللصوص فأراح الله منه البلاد والعباد

مبادرة من محمد بن البهلول المزمزي الذي كان ولاه السلطان على قبائل أولاد بورزق

لما علم محمد بن البهلول المذكور اعانة بني أحسن لابراهيم لوراوي أراد أن يقوم بمصلحة ارضاء للسلطان ففكر في ضيافة بني أحسن فقدم لفضالة بخمسين صفحة من الشعير والقمح وما يكفي من السمن وهدية لسليمان بن القرشي وكلف زناتة أن يصنعوا الطعام ضيافة لبني أحسن

القبض على ابراهيم لوراوي

لما بلغ للسلطان ثورة الشاوية والحوادث المؤلمة ضد ابراهيم لوراوي رأى من

المصلحة القبض عليه في يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من رمضان ورد محمد الزعري بأمر من السلطان فقبض على ابراهيم لوراوي وقيده بكبل زنته اثنا عشر رطلا من الحديد بمحضر الباشا سليمان بن القرشي والبهلول بن البجاج المزمزي وغيرهم

والقبض عليه كان رحمة به وخلاصه من الموت ومصلحة لقبائل الشاوية

وفي يوم الأحد رابع شوال سافر به إلى الرباط ، وفي يوم الاثنين خامسه دخل سليمان بن القرشي للرباط صحبة مَحمد الزعري والباشا لوراوي راكبا على بغلة مقيدا

وفي يوم الأربعاء سابع شوال خرج محمد الزعري وابراهيم لوراوي بأمر من السلطان ليبلغه سجينا عند مَحمد السلاوي عامل الشمال المتقدم الذكر وهو بتطوان

وفي هذا التاريخ تدخل مَحمد بن البهلول العامل الجديد وطلب من أولاد بوعطية أن يوقعوا صلحا مع الشهاونة فرفضوا

ارسال السلطان لقبائل الشاوية للحضور عنده وتولية الغازي عليهم ثانيا

وفي هذا التاريخ قدم صهر السلطان مولاي الحبيب بكتاب لقبائل الشاوية يدعوهم للقدوم عنده

وفي يوم الإثنين الثاني عشر من شوال 1226 اجتمعوا عند السلطان فلما مثلوا بين يديه وبخهم على سوء فعلهم وشتمهم وكفرهم وولى عليهم الغازي بن المدني وقال لهم انه لم يعزله وإنما طلب مني أن أريحه لكبر سنه وضعف بنيته فوليت عليكم كاتبه وابن أخيه ليعملا بمشورته وكان الغازي عند أبي صغيرا وأمرني بالقراءة عليه القرآن ولازال عندي ملحوظا والآن من قطع رأسه فأنا الذي قطعته ومن قتله فأنا الذي قتلته

فأمره بالنهوض معهم فقال للسلطان أخاف أن يقتلوني ولا نأمن على نفسي إلا

إذا ذهبت معي فأنعم له السلطان بذلك

وفي يوم السبت السابع عشر من شوال خرج الغازي مع الشاوية وليا عليهم

وفي يوم الاثنين 19 شوال دخل لداره ، بالرباط وقدم معه كاتبه المعطي بن الحيمر قال الضعيف ناقل الخبر ، في هذا اليوم كنت جالسا مع الشريف مولاي عبو العلوي فورد علينا الكاتب المعطي بن الحيمر ليسلم على الشريف وأخبرهم أن آيت احكم وزمور الشلح شنوا الغارة على كروان ونهبوا لهم خمسة عشر دوارا وأن بني أمطير ومجاط شنوا الغارة على كروان أيضا

ولما وصل الغازي الشاوي للرباط قدم عنده الشريف مولاي عبو العلوي للسلام عليه وتهنئته وأعطاه مائة مثقال ، كما أخبره بأن ابراهيم لوراوي ضرب وهدد بأن لا يخرج من السجن حتَّى يدفع عشر قناطير

اطلاق سراح ابراهيم لوراوي

في يوم الأربعاء الرابع من ربيع الأول 1226هـ ورد ابراهيم لوراوي للرباط بعد أن أطلق سراحه من سجن طنجة ودفع أربعة قناطير

إصلاح الأحوال بعد رجوع الغازي

وبعدما رجع الغازي بتاريخ ثامن عشر شوال 1226 هجرية لمنصبه كعامل على الشاوية صلحت الأحوال وأمن الناس على أنفسهم وأموالهم وأبدلت الفوضى بالاستقرار ورجعت المياه إلى مجاريها

ولم يسجل التاريخ أي حادث من حوادث العنف إلى أن دخلت سنة 1228هـ وقع فيها ما سيذكر

مؤامرة ضد الغازي الشاوي

كان الغازي رحمه الله اعتاد أن يخرج في فصل الربيع للنزهة والراحة والاستجمام

مع عياله وأقاربه تارة يذهب لوادي النخيل قرب قصبة التوزر المعروفية ببلاد المعاريف وتارة يقصد محلا آخر ببلاد المزامزة وكان قد تآمر على قتله بعض من أولاد حريز ومزاب والمذاكرة ، اتفقوا بأن يغتالوه فأخبر بذلك فرجع من المحل الذي كان فيه فقبض على المتآمرين وعددهم خمسة وخمسون منهم بومحمد الحريزي من كبار لصوص أولاد حريز وولد يامنة والحاج محمد بن المكي بن الفقيرة وبعض من قبيلة أمزاب فبعثهم للسلطان بمراكش وأعلمه بالمؤامرة فأنزل بهم العقاب الشرعي بأن قطع خمسة رؤوس منهم والباقي قطع أيديهم وأرجلهم من خلاف

ثم أن الغازي أرسل إلى المذاكرة أن يسلموا له أربعين رجلا عنده ، فلما قدم الرسول عندهم اتفقوا على محاربته فأراد صاحب الغازي أن يقبض على ولد بودشيش فضربه هذا الأخير بحربة وفر بدواره بغابة المذاكرة وتحصن بها ومن ذلك التاريخ لم يحدث أي حادث إلى أن دخلت سنة ألف ومائتين وثلاثين (1230) هجرية وكان الغازي منذ رجع لمنصبه لم يبعث للسلطان ما يجب عليه من الجبايات والمستفاد فعزم السلطان على القبض عليه

القبض على الغازي ثانيا

في آخر المحرم سنة 1230 هجرية وجه السلطان مولاي سليمان وصيفه القائد أحماد مولى أتاي[48] صحبة ألفين من الفرسان للقبض على الغازي فلما وصل سطات أحاط بدار الغازي ودخل عليه ، فقال له ان السلطان يأمرك بأن تدفع مال الدولة ويترك لك عشرة قناطير من المال مع الأملاك التي لك بالرباط ، وإلا فابشر بعقاب شديد فأجاب بالرفض بعد أن اعتذر بالعدم فقبض عليه أحمد مولى أتاي وقيده بكبل من حديد وأرسل السلطان لقائد الرباط عبد الرحمان عشعاش وكان ذلك في الثالث عشر من صفر 1230

وفي الخامس عشر منه توجه عبد الرحمان عشعاش لدار الغازي بالرباط صحبة العدول والقاضي السيد مورينو وعدول المرسى فأحصى ما في الدار من الأمتعة والأثاث وطبع عليها

(48) احماد مول أتاي هذا جدّ أبا أحماد المشهور .

وفي يوم الأربعاء عشرين من صفر ورد الأمر من السلطان لعبد الرحمان قائد الرباط بأن يتوجه لسطات لمحاسبة الغازي على ما دخل بيده في المدة التي تولى فيها

تعيين عبد الخالق كريران الحريزي عوضا عن الغـازي

وفي هذا اليوم أيضا عين السلطان عبد الخالق كريران لمنصب القائد فوصل هذا الأخير سطات فوجد الغازي مقبوضا عليه فقرأ عليه كتاب السلطان بتوليته

وفي يوم الأحد 24 صفر نهض أحمد مولى أتاي بالغازي مقبوضا عليه صحبة كاتبه المعطي بن الحيمر للدار البيضاء ثم توجه به إلى الرباط كما قبض على الطاهر بن محمد بن عمر بن بوسلهام المزابي صديق الغازي

والسبب في القبض عليه أن الجيلالي بن أبي العباس بنخمليش أوشَى به عند كريران ، وكان كبراء الشاوية إذا ذاك مجتمعين بالدار البيضاء واتفقوا على الثورة بكريران

فأراد القبض عليهم ففر منهم ولد المجاطية وبوشعيب بن العناية وتركوا خيولهم وسلاحهم بالدار البيضاء وقدموا سوق الأحد بأولاد زيان وشرعوا يشترون الخيل والسلاح

فلما علم بذلك عبد الخالق كريران أمر بارسال خيلهم وسلاحهم وقال لهم بالمثل العامي اليد الطويلة ما تخطف على حد تعبير ناقل الخبر المؤلف الضعيف

وبقي مع كريران البعض من امزاب ومديونة منهم قاسم ولد البورية المديوني مع بودشيش المزابي ولما دخل الغازي سجن الرباط دخل عليه قائد الرباط عبد الرحمان عشعاش وأمره بدفع مال السلطان وجعل يوبخه ويقرعه ووكزه بعصا كانت بيده وجعل على عنقه السلسلة وكان ذلك يوم الجمعة 29 صفر 1230 .

التخفيف على الغازي في سجنه

وفي يوم الأحد ثامن ربيع الأول وصل للرباط السيد محمد البوعزاوي بكتاب من السلطان للغازي فدخل للسجن ومكنه الكتاب بمحضر قائد الرباط فأجاب الغازي السلطان فأزيلت من عنقه السلسلة

وفي يوم الاثنين 9 من ربيع الأول عام 1230 أخرجوا من السجن كاتب الغازي المعطي بن الحيمر وذهبوا به لسجن مراكش

القبض على المدني أخ الغازي بالرباط

وفي يوم الخامس عشر من ربيع الأول قبض علي المدني أخ الغازي وأرسله قائد الرباط مقيدا للدار البيضاء عند كريران ثم أرجع لسجن الرباط

عطف السلطان على الغازي واطلاق سراحه

وفي يوم الجمعة 12 من ربيع الثاني عام 1230 وصل وزير السلطان محمد السلاوي صحبة ألفين من الفرسان للرباط عند صلاة العصر ودخل عند قائد الرباط وأمره أن يحضر القائد الغازي من السجن كما أمره أن يحضر صانعا حدادا فلما حضرا معا أمر وزير السلطان الحداد أن يفك الكبل على القائد الغازي وسرحه من السجن

وفي يوم الأحد 14 من ربيع الثاني رحل محمد السلاوي بمحلته وخرج الغازي راكبا على بغلته لتشييعه ورجع للرباط وفي الغد خرج الغازي مسافرا لمدينة مكناس عند السلطان

وفي 14 جمادى الأولى عام 1230 هجرية فر المدني أخ الغازي من سجن الرباط فعلم بذلك قائد الرباط فأرسل في أثره ابن القاسم بن بوعزة ولد القسطالي فلحق به قرب غابة المعمورة فرده .

حوادث مؤلمة وقعت بالشاوية
بسبب القبض على الغازي

في يوم الجمعة 25 جمادَى الأولى عام 1230 وقعت حرب بين المزامزة أخوة الغازي وأعدائه أولاد بوعطية فمات من الفئتين نحو الثلاثمائة شخص وفي يوم السبت بعده انضمت قبيلة أولاد حريز لقبيلة امزاب واستأنف القتال بينهم وبين المزامزة ثم استنجدت المزامزة بأولاد سعيد واكدانة وانضم لمزاب أولاد يرمي وهريمة وأولاد سيدي بنداوود واستأنف القتال بينهم ثم انكسر سوق أولاد أغفير بسبب ما وقع من التحالف بين أولاد بوعطية والشهاونة ضد المزامزة وعبر ناقل الخبر الضعيف من تأكيد هذا الحلف المشؤوم

وبالعبارة الآتية «تعاطوا الشواشي» ثم وقعت فتنة أخرى بين أولاد بوزيري وبني مسكين ثم تدخلت الزيايدة وأولاد أحمد والضغاغية من أولاد زيان ، مات في هذه الأخيرة سبعة عشر قتيلا وكانت هذه الفتن المدلهمة السبب في تأخير العامل الجديد عبد الخالق كريران للالتحاق بمنصبه وهو بالدار البيضاء فورد عليه الأمر من السلطان بالذهاب لسطات ، فأجابه بأنه متخوف من المزامزة ، فرجع له الجواب بالذهاب إلى سطات ولو في عشرة من الخيل

ثورة المزامزة وأولاد بورزق على
عبد الخالق كريران والهم بقتله

وبمجرد ما دخل لسطات وعلم به المزامزة انكسر سوق سطات فذهب كريران مستنجدا بكبير المزامزة ابن العباس بن أحمد فقبله وأدخله لداره مع عياله فهجمت المزامزة عليه بدار المستنجد به فخرج إليهم بلعباس ونفا أن يكون عنده فقالوا لابد أن تخرجه إلينا فلما رأى تصليبهم دخل للدار وألبس كريران لباس النساء وهيأ له فرسا بدون سرج وأخرجه مع عياله وخرج إليهم غاضبا وقال لهم ادخلوا للدار فدخلوها فلم يجدوه وخلّصه الله منهم ، وفي اثر ذلك ذهب عبد الخالق كريران شاكيا للسلطان ورجع للدار البيضاء .

غزو السلطان قبائل المزامزة

وفي أوائل شوال 1230 خرج السلطان من مكناس بجنوده ومعه قبائل بني أحسن وأعراب الويدان تحت رئاسة باشا بني أحسن محمد بن الجيلالي وباشا عرب الويدان العربي بن بلال

ولما وصلوا للشاوية يوم الاثنين 21 منه أمر القبائل المجاورة لأولاد أبي رزق بحصارهم وتوجهت الجنود أمامهم واستعد المزامزة للقتال ووقعت بين الطرفين معركة شديدة ، فانهزمت المزامزة وقصدوا وادي أم الربيع فلما وصلوا إليه وجدوه في زمن مده فعبروه فغرق البعض منهم قال الضعيف فلولا بنو أحسن وأعراب الويدان لم ينالوا منهم شيئا

ولما ظهر لبعض عقلاء المزامزة أن المعركة ليست في صالحهم تقدم إلى عامل بني أحسن فاستفهمه أأنتم بنو أحسن ؟ فأجاب بنعم فقال له قد دخلنا في عاركم فأمر العامل قبيلته وأعراب الويدان بالكف عن القتال فكفوا فظهر من العامل عبد الخالق كريران استياء وامتعاظ وأمرهم بمتابعة القتال ولو أدّى إلى فنائهم فرفضوا وقالوا له لا يمكننا متابعة قتالهم وقد دخلوا في عارنا وسنذهب إلى السلطان ونعرض عليه وساطتنا فذهب عامل بني أحسن وعامل أعراب الويدان وقصوا عليه القصة فسامحهم وعفا عنهم ومنحهم غنائم المزامزة

هذا ما حكاه ابن عبد السلام الضعيف مؤرخ الزمان وشاهد عيان نقلناه منه بتصرف

وحكا الناصري وجها آخر قال كان السلطان مولاي سليمان قد ولى على قبائل تامسنا القائد كريران الحريزي فيقال أنه أساء السيرة فيهم فنبذوا طاعته وخرجوا عليه فقدم للسلطان مستصرخا سنة 1230 هجرية

وتقدم إلى جيرانهم من القبائل بأن يزحفوا من خلفهم ففعلوا وهجم هو عليهم من الأمام وأوقع بهم وقعة شنعاء فعبروا وادي أم الربيع زمان مده فهلك جلّهم ثم ترك عامله في حصنة من الجند وأمره باستخلاص الأموال منهم

وتقدم هو إلى ناحية مراكش لقمع أهل الفساد من قبائل الحوز مثل دكالة

وعبدة والشياظمة إلى آخر ما قصه الناصري الاستقصاء الجزء (8) ص 129

وحكى الضعيف حَدَثاً وقع قبل المعركة وهو لما وصل السلطان لشراط بين زعير والشاوية قدم عند كريران للدار البيضاء نحو أربعين من كبراء المزامزة فقبض عليهم منهم بلعباس بن المواق والبهلول بن الصغير وابن البجاج وابن الحيمر وسجنهم بالدار البيضاء

وسنتم بقية الكلام على ولاية عبد الخالق كريران بعد اتمام الخبر على ولاية الغازي إن شاء الله

بقية الأخبار على الغازي

جاء في كتاب البعثة العلمية الفرنسية في الكلام على أولاد أبي رزق أن أحفاد القائد الغازي بن المدني الذين هم عديدون في سطات لا يوجد بحوزتهم سوَى وثيقة وحيدة تتعلق بحكم السيد الغازي وهي رسالة من السلطان مولاي سليمان مؤرخة 25 ذي الحجة عام 1219 هجرية موافق 27 مارس سنة 1805م نصها

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسول اللهوصحبه

وبعد ، ثم خاتم مولاي سليمان

إلى صديقنا الغازي السلام عليك ورحمة الله وبركاته

أما بعد فقد تسلمت كتابك من بني خيران الذين أرسلتهم إلي وقد قلت حقا وكان كلامك صوابا جزاك الله خيرا اعلم بني خيران بأني أريد أن يقيموا عند قبيلة ورديغة وأريد أن أوليهم كقبيلة مخزنية ليعصمنا الله من شرور بربر أهل تادلة جميعهم بواسطتهم وإذا جرت اضطرابات عند قبيلة أزعير فسنأمرهم بحربهم وقتالهم

وسيكونون هكذا جنودي لخير الإسلام إن شاء الله والسلام

وهذا الخبر أورده في صحيفة 272 وفي صحيفة 273 قال إن موت القائد الغازي الذي توفي بالرباط عام 1818 ميلادية يوافق 1233 هجرية تبعه عهد السيبة ودامت ستة أعوام

وقال في صحيفة 271 وقد حكم الغازي من عام 1792 إلى عام 1818 موافق 1206 إلى عام 1233 وقد استقر الغازي في سطات وجعل منها المركز الاداري لكل ولايته الشاسعة وكان خليفته أخاه السيد المدني بن المدني

وكان له خلفاء آخرون بالرباط وفي أبي الجعد وفي قصبة تادلة ولم يكن تحت امرته قواد آخرون ، وكان الشيوخ وحدهم يقودون القبائل وكان يزورهم الخلفاء من وقت لآخر للتفتيش ولما جاء مولاي عبد الرحمان عزله وفك قيادته

(تعقيب على ما ذكر)

أما قوله قد حكم الغازي من عام 1772 إلى 1818 يوافق 1206 إلى 1233 هجرية

فهو بمخالف لما نقلناه عن الزياني في بستانه والناصري في الاستقصاء

بأن السلطان مولاي سليمان غزا قبائل الشاوية كلها ورجع جيشه منهزما وذلك سنة 1207

وفي سنة 1209 غزاهم أيضا لما ثار عليه ابن عمه عبد الملك بن ادريس وانتصر عليهم أوائل سنة 1210 هجرية وبهذا التاريخ ولى الغازي بن المدني على الشاوية

أما عام 1206 فكانت الشاوية فوضَى لا ملك لهم بعد موت مولاي اليزيد وأما قوله لما جاء مولاي عبد الرحمان عزله ، فقد غفل الكاتب أن مولاي عبد الرحمان تولى الملك لما توفي عمه المولَى سليمان عام 1238 هجرية وفي هذا العام كان الغازي راقدا في قبره بالرباط حسب ما تقدم لهم في صحيفة 273

وفي صحيفة 273 قال خلف الغازي البهلول بن البهلول من المزامزة ولم يكن يحكم سوَى على أولاد بورزق وسيأتي لنا أن الذي خلف الغازي هو عبد الخالق كريران الحريزي في السنة التي قبض فيها الغازي 1230

وتقدم لنا أن الغازي لما تولى على الرباط وسلا وفي تاريخ 12 محرم 1221

هجرية عزل الغازي الحاج الطيب الزبدي على الرباط وولى مكانه ابن اخته البهلول بن الصغير المزمزي

وتقدم لنا في حوادث 1226 هجرية عندما فر الغازي بن المدني من أعدائه أمزاب إلى مولاي سليمان بمكناس واضطربت قبائل الشاوية في هذا التاريخ جمع السلطان قبائل الشاوية في الثامن عشر من جمادَى الثانية وولى السلطان محمد بن البهلول المزمزي الذي كان خليفة للغازي بأبي الجعد على أولاد أبي رزق

ولم يذكر التاريخ البهلول بن البهلول وجاء في صحيفة 271 من كتاب البعثة العلمية الفرنسية عندما ذهب مولاي سليمان عام 1210 هجرية من مكناس قاصدا مراكش حيث يريد أن ينصب ملكا استقبله أولاد أبو رزق وساعدوه على اخضاع أولاد أبي عطية وأولاد حريز حيث كان يوجد عبد الملك بن ادريس الذي كان ثائرا عليه

ويعود الفضل في اخضاع الشاوية إلى أولاد أبو رزق الذين ساعدوا مولاي سليمان في ذلك وقد جزاهم بتعيين رئيس من المزامزة وهو الغازي بن المدني قائدا على كل الشاوية وعلى القبائل المجاورة حتَّى إلى أبعد من الرباط وعلى الشتوكة وتادلة وعلى القبائل المجاورة حتَّى إلى أبعد من الرباط وعلى الشتوكة وتادلة والشلوح الذين كانوا بجوارهم كل هذا مخالف لما نقلناه عن الضعيف مؤرخ الزمان حيث جعلوا أي البعثة العلمية الفرنسية السبب في انتصار مولاي سليمان على ابن عمه عبد المالك بن ادريس هو إعانة أولاد أبو رزق له

وتقدم لنا في هذا الموضوع أن السلطان زحف لمولاي عبد المالك ومعه من قبائل البربر وبني أحسن والجند

وأنه لما وصل إلى الدار البيضاء أغار على قبيلة مديونة وزناتة فنهبها وتبع عبد المالك لقتال أولاد حريز

ولم يذكر التاريخ أولاد أبو رزق في هذه الحرب والذي يظهر من السياق أن القبائل التي كانت مع عبد المالك هم قبائل أولاد حريز ومديونة وزناتة

أما بقية قبائل الشاوية الأخرى فكانوا على الحياد ولم يغمسوا يدهم في هذه الفتنة ، وتقدم لنا أن السلطان مولاي سليمان عندما كان الغازي عنده بمكناس

وأرسل لقبائل الشاوية واجتمعوا عنده وذلك يوم الاثنين الثالث من شوال 1226 هجرية فلما مثلوا بين يديه وبخهم على سوء فعلهم فولى الغازي عليهم وقال لهم كان الغازي عند أبي صغيرا وأمرني والدي أن أقرأ عليه القرآن ولازال عندي ملحوظا يظهر بهذا أن السبب الذي من أجله تولى الغازي على الشاوية أنه كان أستاذا له ولا يرجع لاعانة أولاد أبي رزق له

ويرجع السبب في مخالفة خبر الضعيف مع البعثة العلمية ، أن الضعيف عاش في عصر هذا الخبر وهو المؤرخ الثبت الذي يؤرخ الخبر باليوم والشهر والسنة ، فيقول في يوم كذا وتاريخ كذا من الشهر كذا وأن ما استفادته البعثة العلمية من الأخبار فمن أعيان القبيلة وشيوخها وقوادها بسبب أنهم أجانب عن بلدنا

فكان الناقل يجيب بحسب الظن والتخمين لأن الناقل بينه وبين هذه الحوادث ما يزيد عن نحو قرن من سنة 1230 هجرية إلى سنة 1335 — 1336 وقد استاقوها من أسلافهم وأسلافهم من أسلافهم فبسبب طول المدة تقع الزيادة والنقص في الخبر

وسيأتي لنا عن ابن خلدون أسباب تطرق الكذب على التاريخ الذي عد منها الذهول عن المقاصد ، فكثيرا من الناقلين لا يعرف القصد بما علم أو سمع فينقل الخبر على ما في ظنه وتخمينه فيقع في الكذب ومنها توهم الصدق وهو كثير ، وإنما يجيء في الأكثر من جهة الثقة بالناقلين ومن هذه الأسباب التشيعات للآراء والمذاهب

ويمكن لنا أن نلخص حياة الغازي ابن المدني المزمزي في سطور

ففي عهد شبابه كان أستاذا بقصر السلطان سيدي محمد بن عبد الله يعلم الأمراء كتاب الله ، وتعلم عليه مولاي سليمان القرآن وفي مقامه بقصر السلطان استفاد من اقترانه بالأمراء سياسة الدولة العلوية وفي سنة 1210 هجرية عينه السلطان مولاي سليمان عاملا على الشاوية كلها أولاد أبي رزق أولاد أبو عطية والشهاونة وبقي واليا

عليها مدة عشرة أعوام أبان فيها عن كفاءته وقدرته إذ لم يسجل التاريخ في مدة ولايته أي خلاف على السلطان من فرد أو جماعة فاعترف له السلطان بذلك وولاه على العدوتين الرباط وسلا والقبائل المجاورة لها في أواخر صفر عام 1220 هجرية عينه السلطان على الرباط وسلا وبني أحسن وأعراب الويدان باضافته إلى ولايته الأولى

فاستطاع بدهائه وسياسته أن يسير الولايتين إلى 10 قعدة عام 1225 هجرية ظهر منه تجني على السلطان ودلال وتدخل في شؤونه فعزله عن الولاية الثانية وأبقاه على الولاية الأولى كما سبق تفصيله فعزله في يوم 15 ربيع الأول عام 1226هـ وتولى عوضه على العدوتين سليمان بالقرشي السكيري

وبسبب ذلك جعل يسعَى في الفتن بين القبائل وحارب السلطان اقتصاديا بمنع دخول الزرع من الشاوية للرباط وسلا وأمر بالقبض على الشيخ البصير وكان ذلك سببا في محنته وثارت عليه قبائل أولاد بوعطية مزاب – والمذاكرة – وأولاد حريز وأولاد علي وهموا بقتله

ففر إلى السلطان مولاي سليمان بمكناس فقبض عليه في شعبان 1226 هجرية ثم أطلق سراحه في يوم السبت 25 من شعبان عامه وولاه على قبائل الأوداية فعزل عنهم بطلبهم ، ثم ولاه على فاس البالي فعزل عنهم بطلب من أعيانها وفي يوم الاثنين ثالث شوال عام 1226هـ ولاه السلطان على قبائل الشاوية فصلحت بولايته الأحوال إلى سنة 1228هـ ثم دبرت مؤامرة ضده في قتله من قبل أولاد حريز والمذاكرة ومزاب فسلمه الله منها وعاقب المتآمرين عليه وفي أواخر المحرم عام 1230هـ عزله السلطان وقبض عليه وعين عوضه عبد الخالق كريران وبقي معزولا إلى أن توفي بالرباط عام 1233 هجرية ولله الأمر من قبل ومن بعد

وبعد وفاته ترك سبعة أولاد خمسة ذكور وبنتين وهم العروسي – صلاح – العربي – عبد السلام – محمد – عائشة – خدوج – وكل واحد من هؤلاء الأولاد ترك ذرية وتناسلوا وتناسخوا ومن أراد الاطلاع عليهم فعليه بالبعثة العلمية الفرنسية صحيفة 276 ولم نر فائدة في نقلهم ، وذكر من حفدته العالية تزوجها السلطان مولاي الحسن الأول وولد معها ولدين مولاي حفيظ سلطان المغرب ومولاي بوبكر

بقية أخبار عبد الخالق كريران

ذكر الناصري في الاستقصاء عند كلامه على رحلة السلطان مولاي سليمان لزاوية الشرادي وبعدها أخبر بهزيمة جيشه وتحيزه إليهم بطلب منهم لئلا تصيبه العامة فالتفوا حوله وذهبوا به إلى زاويتهم وأنزلوه بالدار المعروفة عندهم بدار الموسم واحترموه وغدوا وراحوا في خدمته

قال الناصري أن عبد الخالق كريران كان معه في هذه الوقعة وهو شاب كما بقل عِذاره وكانت هذه الغزوة في السنة التي توفي فيها مولاي سليمان عام 1238 هجرية موافق 1823 وبهذا نعلم أن كريران بقي متوليا على الشاوية إلى آخر حياة مولاي سليمان

وذكر محمد بن عبد السلام الضعيف في المحرم من سنة 1232 هجرية قدمت قبيلة ورديغة إلى كريران وأخبروه أن البرابرة منعوهم من حرث بلادهم وطلبوا منه أن يحميهم منهم فأرسل معهم كثيبة من خيل الشاوية وهجموا على فرقة من قبيلة زيان وقطعوا منهم أربعة رؤوس ونهبوا مالهم وسبوا بعض نسائهم

ولما رجعوا بأسلابهم تبعهم البربر وقتلوا منهم ثمانية عشر رجلا وجرحوا منهم عددا آخر وقبضوا على العلام وهو ابن عم عبد الخالق كريران فطلب العلام من البربر أن يطلقوا سراحه والتزم لهم بأن يرد لهم عيالهم فأطلقوا سراحه ولما رجع وفى بعهده ورجع لهم نسائهم

وبهذا الخبر نعلم أن ولاية عبد الخالق كريران على قبائل الشاوية شملت حتَّى قبيلة ورديغة

كما أخبر محمد بن عبد السلام الضعيف أن السلطان مولاي سليمان بعث لعبد الخالق الباشا كريران على أن يوجه له سجناء الشاوية الموجودين في حبسه فأخرجهم من السجن ، منهم 1) محمد بن الجيلالي الذي كان ساعي البريد بين الغازي والسلطان ، 2) ومحمد بن القبلي المزمزي ، 3) والجيلالي ولد محمد بن العباس يدعَى ولد الوزان وكان من شجعانهم

أما هذا الأخير ففر من حبس كريران وذهب للسلطان بمراكش واشتكى عليه فعفا عنه وأركبه

وأما محمد بن الجيلالي ساعي البريد فعرفه السلطان فقال له أنت صاحب الغازي فقال نعم فقال له السلطان فأنت إذا صاحبي فأطلق سراحه

أما ولد الوزان فسأله السلطان عن ذنبه فقال له لا ذنب لي غير أنه لما كانت الفتنة بيننا وبين أولاد حريز كنت أدافع على حريمي وعلى أبي فأراد قتلي بغير سبب فعفا عنه السلطان وكساه ورفض كلام كريران في شأن هؤلاء السجناء

وأستفيد من هذا الخبر أن السلطان مولاي سليمان أظهر عطفه على الغازي السابق الذكر وهو معزول ولا ندري هل بقي كريران متوليا على الشاوية في عصر مولاي عبد الرحمان أم لا والذي يدل على ذلك ما جاء في كتاب البعثة العلمية الفرنسية الذي تكلم على قبائل الشاوية في فصل التقسيمات الادارية القديمة

قال في آخر القرن السابع عشر قسمت الشاوية وذلك في سبيل دفع الضريبة إلى ثلاثة أقسام وقد تقدم لنا خبر هذا التقسيم في حوادث الشاوية صحيفة 4

1) **أولا** أولاد أبو رزق عد منهم المزامزة — وأولاد سعيد — أكدانة — أولاد بوزيري — أولاد سيدي بنداوود — زناتة

2) **ثانيا** أولاد بوعطية عد منهم مزاب — والمذاكرة

3) **ثالثا** الشهاونة

وبعدما بين القبائل المندرجة تحت كل قبيلة قال ان هذا التقسيم فرض بعد قتال وقع بين أولاد أبو رزق الذين امتنعوا من امتثال أوامر كريران الذين كان يجبرهم على جلب الحجارة لبناء القصبة المسماة المرجانة وأطلالها لازالت موجودة إلى الآن

ثم قال ووقعت معركة عنيفة على حدود المزامزة بين أولاد أبو رزق من جهة وبين عبد الخالق كريران من جهة أخرى الذي كان في صفّه أولاد أبو عطية والشهاونة وتقابل الطرفان في معركة عنيفة فانهزم كريران أمام أولاد أبي رزق وتبعوهم إلى قبيلة الزيايدة.

الدار البيضاء والشاوية في
عصر مولاي عبد الرحمان

ذكر الناصري في الاستقصاء (*) أن السلطان مولاي عبد الرحمان ولى الشريف بن عمه سيدي محمد بن الطيبي ابن السلطان محمد بن عبد الله على فاس فأقام بها مدة

ثم ولاه على قبائل تامسنا ودكالة وفوض له النظر في أمرها وكان ذا شدة وشكيمة على العصاة حجاجي السيف وكان قد اتخذ كلابا ضخاما تسميها العامة قناجير يوهم الناس أنه إذا غضب على أحد ألقاه إليها فتفترسه

فلما قدم تامسنا أوقع بأولاد حريز وقعة شنعاء فقبض على جملة كبيرة منهم وضرب منهم نحو مائتي رقبة وهدم قصبة كريران الحريزي

ويستفاد من هذا الخبر ومما تقدم في كتاب البعثة العلمية الفرنسية أن عبد الخالق كريران قتل في حربه مع أولاد أبي رزق وثارت قبيلة أولاد حريز على قتله فارسل مولاي عبد الرحمان خليفته وابن عمه محمد بن الطيبي واليا على الشاوية ودكالة وبسبب ما وقع حارب أولاد حريز وهدم قصبة كريران والله أعلم

ومادمنا نتكلم في عهد السلطان مولاي عبد الرحمان يجدر بنا أن نسوق بقية خبر ابراهيم لوراوي الذي تعرض له الناصري في الاستقصاء الجزء 8 ص 10 ناقلا عن أكنسوس صاحب الجيش بأن السلطان مولاي عبد الرحمان خرج من **رباط الفتح قاصدا مراكش فمر** بقبائل الشاوية وساس أمرهم بما اقتضاه الحال وقتل الهاشمي بن العباس الزياني ، وكان هذا قد قتل قائد الشاوية أبا اسحاق ابراهيم لوراوي احتال عليه بأن دعاه للاصطياد فلما خلا به رماه برصاصة فقتله بالموضع المعروف بتادارت قرب مديونة فأمر السلطان رحمه الله بالهاشمي أن تضرب عنقه بذلك الموضع وذلك بعد أن ولاه على قبيلته مدة

وما نقلناه من الأخبار في عصر السلطان سيدي محمد بن عبد الله وولديه مولاي اليزيد ومولاي سليمان ، اعتمدنا في جله على تاريخ الضعيف الذي نقل ترجمته

(*) الاستقصاء الجزء (9) صحيفة (12) .



سيدي محمد بن عبد الرحمن

الدكتور محمد الأخضر في كتابه الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية فننقل ترجمته للقارئ ليعلم ترجمة هذا العالم المؤرخ ، الذي استفدنا منه هذه الفوائد التاريخية والمهمة النادرة

الضعيف من سنة 1165 - 1236هـ
موافق 1752 - 1820م

هو محمد بن عبد السلام بن أحمد بن محمد الرباطي اشتهر هو وكتابه التاريخي باسم الضعيف هذا الكتاب الذي يتحدث عن الدولة العلوية منذ نشأتها إلى منتصف عهد المولى سليمان لذلك كان من جملة الشخصيات التي درسها ليرفنسال في كتابه مؤرخو الشرفاء ولد بالرباط في عام 1165 ـ 1752 ودرس فيها بجد ، وأخذ التاريخ عن أبي القاسم السجلماسي ثم رحل في طلب العلم يجوب آفاق المغرب وهكذا نجده في تطوان يأخذ عن عبد الرحمان الحايك في مدرسة وقاش ثم فاس بمدرسة الشراطين التابعة لجامعة القرويين يتتلمذ لعبد القادر بن شقرون الفاسي ومحمد الطيب بن كيران والحاج محمد بنيس وعلي بن أويس كان الضعيف يحب زيارة الصالحين المشهورين أمثال مولاي ادريس الأزهر ومولاي عبد السلام بن مشيش في جبل العلم ومولاي أبي شعيب في أزمور ومولاي أبو سلهام بين سوق أربعاء الغرب والعرائش وكان دائب الحركة منتقلا إلى مراكش أو شفشاون أو طنجة أو تطوان أو وزان أو مكناس أو غير ذلك من المدن

وقد درس برفنسال كتاب الضعيف دراسة مفصلة لكنه لم يتمكن من الوقوف إلا على كراسة منه تتعلق بملك مولاي اليزيد وقال من المؤسف أن تضيع هذه الكتب أو أن تبقَى على الأقل مفقودة لا يعثر عليها رغم شدة بحثنا عنها وكان من الممكن أن تكون لقسم من تاريخ المغرب الحديث الراوي المخالف لما سجل في التواريخ الجديدة الأخرى التي تعمدت ألا تقول الحقيقة كاملة لم يعد هذا الأسف ذا موضوع بعد أن وجدت في المكتبة العامة بالرباط نسخة مخطوطة من هذا التاريخ الذي لا يشينه إلا أنه مبتور ومن ناحية أخرى فإن هناك مرجعين هامين يتعلقان بالرباط وسلا لم يقف عليهما الناقد الكبير ويعطيان معلومات مفصلة عن حياة الضعيف وكتابه عنوان أولها الاغتباط بتراجم أعلام الرباط ، والثاني تعطير البساط

بذكر تراجم قضاة الرباط وكلاهما من تأليف محمد بوجندار يستنتج من هذه المعلومات أن المترجم كان في آن واحد مؤرخا وشاعرا فحلا نظم كثيرا من القصائد سواء باللسان العربي الفصيح أو باللسان الملحون الدارج ومن آثاره في الشعر الفصيح الذي يعنينا هنا قصيدة في مدح النبي عليه السلام بعنوان روضة العشاق والثانية قصيدة أخرى في مدح الولي الصالح مولاي بوشعيب شرح قصيدة صفي الدين الحلي في البديع مذكورة بعد هذا قطعة شعرية نظمها الضعيف بديهة في سبعة أبيات حين ضاعت منه نسخة مختصر خليل يوم ختم هذا الكتاب على شيخه ابن شقرون

ضل عقلي حين ضلت نسختي   في ازدحام يوم ختم المختصر
تحفة تسخر من أبصرها   حوت المتن وحفت بالطُّرر
ليتني غمدا لها إذ ضمها   أو كسفر حارس تلك الصور
كقلاد السيف كانت صحبتي   ومعي ان كنت بدوا أو حضر
واعتقادي انني ألزمها   مدة العمر فانساني القدر
من يفارقه خليل ساعة   فهو ذو وجد ودمع وسهر
لا تسل إذ جاء من بشرني   أن شخصا حازها ممن حضر

ثم قال المترجم فهل يا ترَى كان الأمر مجرد خدعة من أصدقائه على شاكلة ما كان يقوم به أصدقاء فولتير ليدفعوا به إلى ارتجال هذه الأبيات الجذابة ؟ مهما يكن من أمر فإن سرقة منشقة الأديب الفرنسي تذكر بغرابة بسرقة مختصر خليل الأمر الذي يؤكد مرة أخرى أن الشعر عالمي وأن الشعراء يلتقون في كثير من النواحي مهما اختلفت لغاتهم وعقائدهم مات الضعيف رحمة الله عليه بالرباط في تاريخ غير محدد لكن بالتأكيد بعد عام 1236 موافق 1820 وهي السنة التي أنهَى فيها كتابة تاريخه وبتاريخ وفاته غابت علينا أخبار تاريخية لا يستهان بها فنتأسف على موته أسفا شديدا إذ لم يخلفه مؤرخ في دقة صنعه

ولاية القائد عبد الله ولد التوزر المعروفي على الشاوية

ومن العمال الذين ولاهم السلطان مولاي عبد الرحمان على الشاوية بعد الأمير

سيدي محمد بن الطيبي هو عبد الله المعروفي المدعو ولد التوزر نقل ابن زيدان في الجزء الخامس من اتحافه صحيفة (228) عن صاحب الابتسام عدد عمال السلطان مولاي عد الرحمان الكبار فذكر منهم القائد عبد الله المعروفي الشاوي وأنه ولي ومكث في الولاية إحدَى عشر سنة (11)

فقام عليه اخوانه وهجموا عليه وقاتلهم حتَّى قتل أخوه وقطعت أنامله في قتالهم وبددوا أحواله ثم عزل عنهم

أما تاريخ الثورة والعزل فقد أخبرنا بها ابن عمنا الفقيه السيد المفضل ابن الطيبي الذي كان كاتبا مع السلطان مولاي الحسن وولده مولاي عبد العزيز وكان يعيش في عصر القائد المذكور

أن ثورة القبائل على السيد عبد الله المعروفي كانت سنة 1260هـ وإذا قارناها مع نقل صاحب الابتسام لمدة الولاية 11 سنة يكون تاريخ الولاية سنة 1249هـ والسيد عبد الله ولد التوزر المذكور ولدت له بنت سماها على اسم والدته التوزر وزوجها لابن أخيه السيد الفكاك الذي قتل يوم عيد الأضحَى أثناء هجوم قبائل المذاكرة على قبائل لعشاش وترك زوجته حاملا فولدت ولدا بعد موته سمي باسم والده الفكاك وهذا الأخير خلف ولدا اسمه العربي وأخواته وبعد غزو السلطان مولاي عبد العزيز لقبائل لعشاش سنة 1315هـ وجه ابن عمه الشريف مولاي المصطفَى بن عبد الرحمان ابن السلطان مولاي سليمان على رأس محلة لزيارة الولي الصالح سيدي محمد الفكاك والانعام على أهله وذويه وهناك وجد المسمى العربي بن الفكاك رفقة والدته السيدة خديجة بنت العربي بن قدور المعروفية واخواته منهم السيدة الزهرة تزوج بها الشريف مولاي مصطفَى المذكور

وعندما ذهب لفاس أصحب معه صهره السيد العربي بن محمد الفكاك المذكور فولد الأمير مولاي مصطفَى ولداً مع المعروفية سماه مولاي محمد فتخرج عالما من علماء القرويين وتوفي بتاريخ 1945م

أما السيد العربي بن محمد الفكاك المذكور فولد له ولد بفاس سماه على جده محمد الفكاك بن أخ القائد المقتول وهذا الولد تخرج من كلية القرويين وهو الآن قاضي عضو مستشار بالمحكمة العليا بالرباط وهو السيد محمد الفكاك المعروفي

استفدنا هذه القصة من القاضي السيد محمد المعروفي المذكور عن جدته خديجة المذكورة

والقائد عبد الله المعروفي المذكور كان ينسب إلى أمه التوزر المعروفية لشهرتها في التاريخ وكانت صهرة للسلطان مولاي سليمان وكانت دارها بقصبة المعاريف بقبيلة مزاب تسمَّى قصبة التوزر المعروفية وكانت مدرسة لأبناء السلطان يقرأون فيها القرآن ذكرها محمد بن عبد السلام الضعيف في تاريخه في حوادث ألف ومائتين وأربعة وعشرين (1224) قال في يوم الخميس 15 محرم (1224) نزل القائد محمد الزعري البخاري بالدار الحمراء قرب سلا ومعه ولد السلطان أتى به من مكناسة الزيتون ليصل معه لبلاد الشاوية عند قبيلة أمزاب بقصبة المعاريف عند جدته التوزر المعروفية على أن يقرأ القرآن عندها ومع الأسف لم يبين اسم هذا الأمير كما حدثنا الفقيه السيد المفضل المعروفي المذكور أن القائد عبد الله المعروفي ولد التوزر المذكور كان له كاتب خاص يعتمد عليه في شؤونه الخاصة هو الفقيه العلامة السيد أحمد بن غازي المعروفي وفي آخر الأمر رشح السلطان هذا الكاتب قاضيا بأمر مولوي بمدينة الدار البيضاء وكانت المحكمة الشرعية التي يحكم فيها القاضي هي دار الأمناء المجاورة لدار المخزن التي صارت الآن المقاطعة الأولى بالمدينة العتيقة قبل أن تشيد المحكمة الشرعية المجاورة للجامع العتيق والفرنسويون جعلوها سجنا مؤقتا وهذا القاضي السيد أحمد بن غازي هو جدّنا للأب ودار الأمناء المذكورة التي كان القاضي يحكم بها هي البناية المقابلة لزنيقت دار المخزن المفتوح فيها باب للمسجد العتيق وتوجد عن اليمين الداخلي للمقاطعة الأولى ولازال أحفاد القائد عبد الله يتمتعون بعطف الملوك العلويين وتوقيرهم واحترامهم

وقد وقفنا على ظهير التوقير والاحترام بيد حفدته أبناء بنته السيدة حليمة ، نصه

الحمد لله وحده ، وصلَّى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

الطابع الشريف وبداخله (عبد العزيز بن الحسن الله وليه ومولاه)

جددنا بحول الله وقوته وشامل يمنه ومنته لحملته ، المكي بن مَحمد وعبد الله بن مَحمد ، والجيلالي بن مَحمد ، ومحمد بن مَحمد أولاد المرأة حليمة بنت الخديم

الطالب عبد الله التوزر حكم ما بأيديهم من ظهير سيدنا ومولانا الوالد قدس الله روحه وبرد ضريحه المتضمن سدل أردية التوقير عليهم والاحترام وحملهم على كاهل المبرة والانعام والرعي الجميل المستدام ، ومحاشاتهم عما يطالب به العوام على مر الدهور والأعوام واسقطنا عنهم الكلف المخزنية والوظائف السلطانية ، بحيث لا سبيل لمن يخرق عليهم عادة أو يحدث في جانبهم نقصا أو زيادة عدا ما أوجبه الله عليهم من الزكاة والاعشار فهم فيها كسائر القبيلة تجديدا تاما نأمر الواقف عليه من خدامنا وولاة شريف آمرنا ، أن يجريهم على مقتضاه ويعاملهم بما أبرمه وأمضاه والسلام

صدر به أمرنا السامي بالله في 13 ربيع الثاني عام 1314هـ

وهذا التقدير والاحترام الذي ألبسه الملوك العلويون لحفدة القائد عبد الله ولد التوزر يتجلّى لنا من اخلاص القائد المذكور للدولة العلوية ووفاء الملوك العلويين للمخلصين لهم وكما سبق لمولاي سليمان من المصاهرة مع قبيلة المعارف ، كذلك كانت المصاهرة لهم مع السلطان مولاي عبد الرحمان الذي لازلنا نتكلم على عهده

بعدما عزل القائد عبد الله ولد التوزر تولى عوضه القائد العربي ولد الحمراوية ولما توفي خلفه القائد الفكاك بن الحاج المعروفي وفي عهده تزوج السلطان مولاي عبد الرحمان أخت الحاج الجيلالي المعروفي وولد معها بنتين للازبيدة ، والثانية لا نعرف اسمها وبسبب هذه المصاهرة نفذ السلطان مولاي عبد العزيز لصهره الحاج الجيلالي بن محمد المذكور السكنَى بدار المخزن بالدار البيضاء بظهير شريف نصه

الحمد لله وحده وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

الطابع الشريف ، وبداخله (عبد العزيز بن الحسن الله وليه ومولاه)

نأمر خدامنا الأرضين أمناء مرسَى الدار البيضاء ومستفادها أن ينفذوا لماسكه الحاج الجيلالي بن محمد المعروفي السكنى بدار المخزن التي بذلك الثغر المحوط بالله المعروفة بدار البورزكي مع رواها على وجه الانتفاع من غير كراء يلزمه فيها مراعاة لما سلف له من المصاهرة مع سيدنا الجد المكرم قدس الله روحه والسلام

في 17 جمادَى الثانية عام 1322هـ

والجد المشار إليه هو السلطان مولاي عبد الرحمان .

وأسفل هذا الظهير وثيقة عدلية بالاشهاد على تنفيذ هذه الدار نصها

الحمد لله وحده وصلَّى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

وبعد ، فقد حضر شهيداه سامحهما الله لدَى أمين المستفاد الأرضَى السيد محمد ضما بن الحسن بن جلون الفاسي المذكور بالظهير الشريف أعلاه وأشهدهما أنه نفذ لما سكه السيد الحاج الجيلالي المذكور بالمشار إليه جميع الدار والأروَى حيث أشير ومكنه من الانتفاع بهما امتثالا للأمر الشريف أسماه الله وأعز أمره ، وحضر إذ ذاك السيد الحاج الجيلالي المنفذ إليه المذكور وأشهد أنه قبلها وتمكن منهما حضورا واشهادا تأمين عرفا قدره شهد به عليهما من أشهداهما به بأتمه وعرفهما وفي عاشر رجب الفرد الحرام عام أعلاه

وظهير الانعام هذا مع الوثيقة أسفله وجدناه بخزانة شقيقنا المرحوم الفقيه السيد المختار مودعا عنده بسبب أن الحاج الجيلالي المذكور كان جدنا من الأم

والأميرة للازبيدة المذكورة ذكرها ابن زيدان من جملة بنات مولاي عبد الرحمان الجزء (5) من اتحافه صحيفة (241) وبقيت تعيش إلى عصرنا فقد أطلعني الفقيه السيد عبد الله خالنا ابن الحاج الجيلالي المعروفي المذكور على رسالة كتبتها له بخط يدها تعاتبه على عدم زيارته لها بقصد صلة الرحم وتذكره بأن والده خالها كان يزورها المرة بعد المرة

ومادمنا نتكلم على عصر مولاي عبد الرحمان والقائد السيد عبد الله ولد التوزر لا يفوتني ما أخبرني به شقيقنا السيد المختار المذكور أن أحد أعيان الدار البيضاء ووجهائها من جالية شلوح حاحة أخبره أن القائد السيد عبد الله ولد التوزر في عصره عزم على الرحيل لزيارة السلطان مولاي عبد الرحمان ، وكانت طريقه على الدار البيضاء فبعث للمسؤولين بها يخبرهم بمروره عليهم ويأمره بالتهيء لاستقباله وكان بالدار البيضاء حاميتان ، حامية جالية أهل حاحة وجيش البواخر فخرجت الحاميتان واصطفتا لاستقباله

فخرج جيش حاحا على رأسهم القائد السيد العربي ولد العطوانية وجيش البواخر تحت قيادة رئيسهم فمر موكب القائد بجيش البواخر أولا فأدوا له التحية التقليدية التي تؤدى للعمال .

ظهير شريف لتنفيد دار للسكني بالدار البيضاء لصهر السلطان الحاج الجيلاني بن محمد المعروفي .

ومر بحامية حاحة وعلى رأسهم السيد العربي بن العطوانية المذكور وبيده سيف مسلول فتغافل عن التحية التقليدية فاستاء لذلك القائد السيد عبد الله ولد التوزر فأمر المكلف بموكبه أن ينادي على رئيس جيش حاحا ، فلما عرف المكلف بالموكب باستياء القائد ولد التوزر نادَى على القائد العربي باسمه مجردا بأن قال له يالعربي أجب القائد ؟ فظهر من القائد العربي استياء حيث لم يخاطبه بوصفه القائد وقال له أنا العربي ؟ ألا تستحي فأخبر القائد عبد الله بذلك فتغافل عنه ولما وصل القائد للسلطان قدم شكايته برئيس حامية حاحا فأخبره الخبر فحمله السلطان المسؤولية وقال له كل منكما قائد ولما رجع القائد ولد التوزر لم يعرج على الدار البيضاء حيث لم يتم غرضه من الانتقام

وهاتان الحاميتان أسسا جيشهما السلطان سيدي محمد بن عبد الله عند تجديده لمدينة الدار البيضاء وقد سبق لنا الكلام عليهما

توزيع العمال على قبائل الشاوية

ولما عزل القائد السيد عبد الله ولد التوزر سنة 1260 ظهر للسلطان مولاي عبد الرحمان من المصلحة توزيع العمال على قبائل الشاوية

فولى على قبائل مزاب والعشاش القائد العربي المعروفي المدعو ولد الحمراوية وولى القائد الكبير بن المدني المزمزي أو والده المدني (شك من الناقل) (*) على سطات والقبائل المجاورة لها لمزامزة وكدانة وغيرهم ، وولى على قبائل أولاد أحريز السيد محمد برشيد الحريزي العلالي وعلى أولاد زيان القائد الهاشمي بن العباس الزياني ، ولم نقف على عمال بقية القبائل

وبعد ثلاثة أعوام من هذا التوزيع تمردت بعض القبائل وشقت العصا على السلطان فأمر السلطان مولاي عبد الرحمان عامل أولاد حريز بغزوهم وحربهم

وقفنا على رسالة من السلطان مولاي عبد الرحمان يخاطب فيها العامل السيد

(*) نقلا عن من عاصر الزمان وهو السيد المفضل المعروفي

محمد برشيد وأولاد حريز ينوّه بهم وبما قاموا به من محاربة الطغاة ويشكرهم على اخلاصهم وتفانيهم

نص هذه الرسالة

الطابع الشريف بداخله مولاي عبد الرحمان بن هشام وبعد الحمدلة والتصلية خديمنا الأرضى الطالب السيد محمد برشيد وخدامنا أولاد حريز وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد فقد كتب لنا ولدنا الأبر مولاي سليمان أصلحه الله وكاتبنا الطالب العربي بن المختار وأخبرانا بركوبكم أمس للمعتدين وجدكم في قتالهم القتال الذي يرضي الله ورسوله والمومنين وشرحوا لنا ما رأوا من صبركم وثباتكم واقدامكم وخوضكم حياض المنون واقتحامكم الأوعار وركوبكم الأخطار وكذا عرفونا بمن مات وجرح من الرجال والخيل وانكم لازلتم جادين في اقدامكم ومناجزتهم حتَّى يحكم الله فيهم وقد سرنا ذلك من فعلكم وحقق ظننا فيكم إذ أنتم مخازنية نسر بما يظهر عليكم من ثبات ومما تحوزون من المزايا

وهو يخبرنا بما يشاهد من جدكم واجتهادكم وحرصكم على ادراك المزية وحيازة قصب السبق وذلك هو الظن بكم والمعهود من نجدتكم وشهامتكم فإنا نعرفكم مخازنية أهل محبة وما ندبناكم لذلك حتَّى تيقنا حزمكم وغناءكم الغناء التام أعانكم الله فزيدوا في ذلك ثبت الله أقدامكم بنصره ومعونته فستجدون عاقبة جدكم وصبركم وترون بركته في أحوالكم لأن ذلك جهاد في سبيل الله ونصرة لدينه وغيرة على جنابه ومن مات منكم مات تحت علم النصر شهيدا فابشروا بما عند الله واغتنموا ما أعد الله لكم فإن ما عند الله خير وأبقَى فالله يرضي عنكم ويصلحكم والسلام في 7 رمضان المعظم 1263

وهذه الرسالة أطلعنا عليها صديقنا عامل أولاد حريز السيد محمد بن عبد السلام بن محمد برشيد المدعو ولد اشميشة حفيد العامل المذكور محمد برشيد ولم ندر القبيلة التي تمردت على السلطان

أما العامل السيد العربي ولد الحمراوية المعروفي المذكور بقي عاملا على قبائل مزاب ملال ولعشاش إلى أن توفي وولى السلطان عوضه على نفس القبائل السيد الفكاك بن الحاج المعروفي إلى أن توفي وخلفه ولده السيد أحمد الفكاك يدعى

حديدّو وبقي عاملا إلى ولاية السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان وخلافة ولده مولاي الحسن وفي سنة 1283 سافر القائد السيد أحمد الفكاك حديدّو صحبة خلفائه على قبائل مزاب إلى عيادة السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان بفاس وحين ما استقروا بها اتصل بعض خلفائه ببعض الوزراء وتوسطوا لهم بتوليتهم على قبائلهم سرا من القائد أحمد الفكاك ومن هؤلاء الخلفاء ، القائد الشرقي بن محمد الحمداوي ولما رجعوا إلى بلدهم أظهروا ما حصلوا عليه من التولية فهم القائد أحمد المعروفي بالقبض عليهم ومحاربتهم فصادف الحال أن السلطان سيدي محمد عقد لولده خليفته مولاي الحسن على راية متسعة الأكناف ووجهه لقبائل تادلة والشاوية وذلك بتاريخ 26 ذي الحجة 1283 فرفعت إليه قضية الخلاف بين القائد أحمد الفكاك وخلفائه

ولما وصل إلى دار أحمد الفكاك أوقع القبض عليه هو وخليفته أخوه زروال وولى عوضه محمد بن العربي المعروفي ولد الحمراوية المتقدم الذكر ولم يزل مولاي الحسن مقيما بدار الفكاك المذكور حتّى لحق به والده السلطان سيدي محمد ثم نهضا معا لمدينة مراكش حسب ما جاء ذلك في الجزء الثاني من الاتحاف لابن زيدان صحيفة 119 ـ 120 ثم عيّن السلطان أحمد الفكاك قائد الرحى بالجيش

أما عامل أولاد زيان الهاشمي بلعباس الزياني فبقي عاملا على أولاد زيان وفي أثناء عمله استدعَى العامل الأسبق الذي سَبَق الكلام عليه في ولاية السلطان مولاي سليمان وهو السيد إبراهيم لوراوي دعاه إلى الاصطياد معه فغفله ورماه برصاصة فقتله وذلك بمحل يقال له تادارت قرب مديونة فرفعت قضيته إلى السلطان مولاي عبد الرحمان ولما وصل إلى الشاوية أمر بقتله بعين المكان المذكور

استفدنا خبر توزيع عمّال مولاي عبد الرحمان من بعض المسنين أعيان القبيلة الذين منهم السيد عبد الله بن زروال المذكور المعروفي الذي كان قائد الجيش عند السلطان مولاي عبد العزيز

واستفدنا خبر القائد الهاشمي بلعباس الزياني مما نقله الناصري من الجزء التاسع صحيفة 10 من الاستقصاء عن أكنسوس صاحب الجيش

أما الدار البيضاء التي كانت إذ ذاك في طور النمو شبه قرية ولى عليها السيد

الحمد لله وحده

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

جددنا بحول الله وقوته وشامل يمنه ومنته لحفدة الحاج محمد وعبد الله ابني محمد [illegible]

بن محمد ومحمد بن محمد أولاد أم الأولاد حليمة بنت المرحوم القائد عبد الله التوزر حكم

ما بأيديهم من ظهير سيدنا ومولانا الوالد قدس الله روحه ونور ضريحه المتضمن [illegible]

[illegible] التوقير عليهم والاحترام وحملهم على كاهل البر والإكرام [illegible]

والاحترام ومجانبتهم عما يطالب به العوام على ممر الدهور والأعوام وإسقاط

عنهم الكلف المخزنية والوظائف السلطانية بحيث لا يسأل لهم أحد عليهم

عادة أو يحدث في جانبهم نقصا أو زيادة عن ما أوجبه الله عليهم [illegible]

ولا عشار [illegible] القبيلة [illegible] ما [illegible] عليه من خير [illegible]

[illegible] أن يجريهم على مقتضاه ويعاملهم بما أمر به وأمضاه والسلام [illegible]

[illegible] أمرنا [illegible] ربيع الثاني عام 1314 [illegible]

ظهير شريف لتجديد ظهير التوقير لحفدة القائد عبد الله ولد التوزر.

مَحمد بن عبد الرحمان بركاش الرباطي وبقي عاملا عليها إلى أن أعفي عنها وعينه السلطان نائبا عنه بطنجة في الشؤون الخارجية قصد صلة الوصل بين السلطان والهيئة الدبلوماسية المستقرة بطنجة حسبما جاء في تعليق لابن منصور مجموعة الوثائق (4) بصحيفة (20)

آثار السلطان مولاي عبد الرحمان في الدار البيضاء فتح مرسى الدار البيضاء للتجارة مع الدول

تقدم لنا في ولاية السلطان مولاي سليمان أنه عطل العمل بمرسَى الدار البيضاء لما ثار عليه ابن عمه الشريف مولاي عبد المالك بن ادريس سنة 1210 وبقيت المرسَى معطلة إلى عصر السلطان مولاي عبد الرحمان ففي سنة 1246هـ أصدر أمره بفتح مرسَى الدار البيضاء للتجارة مع الدول وأمر ببناء الديوانة من مكاتب للأمناء وأعوانهم ومستودعات لوضع السلع في الصادرات والواردات وتشجيعا للنشاط التجاري بالدار البيضاء وساعد التجار على من أراد منهم ببناء مخزن أو متجر أن يبني بمال الحكومة بحسب 6٪ يدفعها التاجر مشاهرة وبعدما أعفَى السيد محمد بركاش من عمالة الدار البيضاء ولى عوضه السيد مَحمد بن ادريس الجراري الأودي وبقي هذا الأخير عاملا إلى أن توفي السلطان مولاي عبد الرحمان وأقرّه على العمل ولده السلطان سيدي محمد وبقي عاملا إلى أن توفي السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان ثم أقره على العمل أيضا ولده السلطان مولاي الحسن ، فصار عاملا على الدار البيضاء للملوك الثلاثة مولاي عبد الرحمان وولده محمد وولده مولاي الحسن

الدار البيضاء والشاوية في عصر السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان

من الحوادث الغريبة التي سجلها التاريخ في المغرب وكانت الطامة الكبرَى هو نظام الحماية القنصلية بالمغرب الذي حصل عليه الأجانب بسبب الامتيازات بكل



مولاي عبد الرحمن

سخاء من الحكومة المغربية وكانت عاقبته الوخيمة تدخلهم في الأحكام الشرعية والأوامر السلطانية وحماية المجرمين من محمييهم وتعديهم على أموال الناس ودماءهم وقد سجل التاريخ حوادث غريبة شاذة من هذا النوع في المغرب جمع لنا جملة وافرة منها مؤرخ الدولة المغربية الفقيه العلامة السيد عبد الوهاب بن منصور في المجموعة الرابعة من الوثائق ومما حكاه لنا ما وقع من الحوادث بخصوص الدار البيضاء

حادث بسيط تطور إلى ما لا تحمد عقباه

في الوثيقة عدد 521

رسالة من نائب الشؤون الخارجية السيد محمد بركاش إلى السلطان سيدي محمد ابن عبد الرحمان تتعلق باعتقال مغاربة محتمين بفرنسا في الدار البيضاء أمر السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان عامل الدار البيضاء القائد محمد بن ادريس الجراري باعتقال بعض رعاياه المحتمين بفرنسا لأمر استوجب اعتقالهم

فامتثل الأمر السلطاني واعتقلهم فثارت ثائرة قنصل فرنسا بالدار البيضاء وطالب بتسريحهم فورا فأجابه القائد المذكور برفض تسريحهم للأوامر السامية الواردة عليه باعتقالهم

فأخبر القنصل مفوضية فرنسا بطنجة فتطور الأمر تطورا خطيرا كاد يحدث أزمة بين الدولتين ، لأن القائم بأعمال المفوضية الفرنسية أصر على تسريح محمي فرنسا فورا مع عزل العامل الذي اعتقلهم إن كان اعتقاله إياهم صدر عن مبادرة منه ، أما إن كان اعتقلهم بناء على أمر السلطان فقد تم الأمر وبلغ غاية الشر ولم يبق كلام

وهدد القائم بالأعمال بسحب الوزير الفرنسي المفوض من المغرب الذي كان في طريقه إلى طنجة كما حدث في قضية مماثلة سنة 1849م كما هدد القائم بالأعمال المذكور بافشال مهمة كاتب الدولة ادريس بن ادريس العمراوي الذي ورد على طنجة في ذلك الحين لمفاوضة ممثلي الدول الأجنبية في شأن الحماية قائلا كيف تتخيلون أن تنجحوا في اسقاط الحمايات وأنتم ترتكبون مثل هذه الأفعال مع المحميين ؟

وإزاء هذه الأزمة المفتعلة وتحت ضغط القائم بأعمال المفوضية الفرنسية وتعنته لم

يسع نائب الشؤون الخارجية السيد محمد بركاش إلا أن يكتب إلى السلطان يخبره بالمنعرج الخطير الذي سارت فيه القضية البسيطة مثيرا عليه بمنتهَى الأدب واللطف بتسريح المعتقلين من المحميين بفرنسا وتسريح معتقلين آخرين محتمين بانجلترا وبلجيكا بلغه في آخر لحظة نبأ اعتقالهم حتَّى لا يقع تمييز بين الأجناس قال بنمنصور وقد عثرنا على ثلاث وثائق في شأن هذا الاعتقال تدل بوضوح على ما كان يعانيه المغرب من هذه الطامة الكبرَى ـ طامة الحمايات التي تمنحها الدول الأجنبية للمواطنين المغاربة ـ وكيف كان هذا الامتياز الحائر يشل يد السلطان وولاته عن التصرف داخل حدود مملكته في رعاياه المحتمين بالأجانب ولو كانوا جائرين ظالمين؟

الوثيقة الأولى رسالة موجهة من نائب الشؤون الخارجية إلى السلطان محفوظه بقسم الوثائق بالخزانة العامة بالرباط ومنه نسخة مصورة محفوظة بمديرية الوثائق الملكية وهذا نصها رقم (521)

الحمد لله وحده وصلَّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

أيد الله مولانا أمير المؤمنين بنصره العزيز وأسعد أيامه ونصر جيوشه وأعلامه

بعد تقبيل حاشية البساط الشريف وأداء ما يجب للمقام العالي بالله من التعظيم والتشريف ، يكون في كريم علم سيدنا أيده الله ونصره أن نائب دولة الفرنسيس قدم علينا وبيده استدعاء يذكر فيه أن عامل الدار البيضاء قبض على أناس من حمايتهم وهم معروفون عنده وعند جميع الناس وطلب منه خليفتهم هناك تسريحهم وهو ضامن لهم بأن يدفعهم له في الساعة التي يطلبهم منه فامتنع من تسريحهم ، وأجابهم بأن مولانا نصره الله أمره بقبضهم فكتب الخليفة إليه وقدم اثنان من التجار من أصحاب المقبوضين لطنجة للكلام على هذه القضية وأبدا وأعاد هذا النائب في الكلام معنا في شأنهم. ودافعناه بالتي هي أحسن فلم يقبل المدافعة بوجه وطلبنا منه مهلة في مراجعة الجانب العالي بالله في قضيتهم فأبَى وقال مثل هذه القضية وقعت عام 49 مسيحية فركب لأجلها الفونصو وكان من أمرهم ما كان وحتم علينا الكتب للجراري في تسريحهم على أي وجه

ومن جملة كلامه في ذلك أن قال أنه يرتجي قدوم باشدورهم في هذه الساعة وانه إذا وصل فإنه يطلع إليه للبابور ويعلمه بهذه القضية وإذا لم تقع المساعدة من

طنجة بتسريح هؤلاء الناس فإن الباشا دور يرجع على طريقه ولا ينزل لأنهم يتحققون حينئذ أن مولانا أيده الله عرف أنهم في الحماية وأمر بقبضهم ، ونحن نعتذر بأن مولانا أيده الله لا يمكن أن يعرف أنهم في الحماية ويأمر بقبضهم مع ذلك لأنهم يقولون أن في قوانينهم أن من في حمايتهم لا يرمي أحد فيه اليد إلا بعد الكلام معهم فيه وتسليمه ولو كان بفعل ما فعل وكانت الحجة عليه ثابتة وأن رمي اليد على من هو في حمايتهم هو سبب الغيار الكبير حضرني في الجواب عن أمرين بأن قال ان كنت تعلم أن مولانا نصره الله يعرف أن هؤلاء في الحماية وأمر بقبضهم فعرفني بذلك وقد تم الأمر وبلغ غايته الشر ولم يبق كلام ، وان كنت تعرف أنه لا يأمر بقبضهم مع كونهم في الحماية فاكتب الساعة للعامل بتسريحهم حتما واكتب للحضرة الشريفة بأن يعزله فورا لكونه قبض من هو في الحماية من غير مراجعة الجانب الشريف وتعريفه بأنهم في الحماية وسعَى في تكدير الخواطر وقال انه تأخر عن الكتب لنا في ذلك حتَّى يأتي الباشدور ويعرض عليه ما حكم به في القضية فإن أجازه ونزل بذلك وان ظهر له أن يرجع من حيث أتى ويتركه هو حتَّى تتفاصل القضية على الوجه الذي يحبون فكذلك فاقتضَى الحال تنزيه جانب سيدنا أعزه الله عن تعمده بالقبض على من هو في الحماية وكتبت للعامل المذكور بتسريحهم حسبما يراه مولانا أعزه الله في نسخة من الكتاب الذي كتبناه له

وهذا ما قدرت على جعله في هذه القضية اتباعا للمصلحة واطفاء للفتنة وما جعلت له فسحة في كتابي الذي كتبناه له إلا خوفا وأدبا مع أمر مولانا الشريف وإلا فالواجب تسريحهم

فنطلب من جانب مولانا العزيز أن يأمره بتسريحهم عاجلا ، وان كان وجب عليهم حق فيوجه لنا الحجة عليهم لننظرها ونظهرها لنائبهم ويجري أمرها على ما هو قانون

وقد وقع لنا بسبب هذه القضية تعسير كبير فيما كنا نحاوله في الأمر الذي ورد عليه كاتب سيدنا الطالب ادريس بن ادريس فانه في آخر كلامه قال لنا وانكم من هذا ترجون أن يستقيم لكم أمر اسقاط الحمايات التي تطلبون

وبعدما كتبنا هذا بلغني أنه قبض أيضا أناسا من جانب الانجليز والبلجيك وكان وجه لي باشدور انجليز مع قونصو البلجيك يستأذننا في الملاقاة معنا في هذا الوقت

ولعل طلبهما الملاقاة هو لأجل الكلام على أصحابهما فأخرتهما إلى غده لكوني كنت مشغولا في كتب هذا والبابور مسافر في تلك الساعة فإن كان الأمر كما بلغنا فينبغي أن يعم التسريح الجميع حتّى لا يقع تمييز حسبما هو غير خاف عن علم سيدنا أعزه الله وهذا ما وجب به اعلام سيدنا أدام الله عزه وعلاه بجاه مولانا رسول الله صلّى الله عليه وآله والسلام

في 6 حجة الحرام متم 1279

خديم المقام العالي بالله
محمد بركاش لطف الله به

والرسالة المشار إليها مكتوبة إلى العامل السيد محمد بن ادريس الجراري نقلها لنا السيد عبد الوهاب بن منصور في كتاب الوثائق المذكورة تحت عدد 522 ، نصها

الحمد لله وحده وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

محبنا الأبر الأرضَى القائد الأنجد سيدي محمد بن ادريس الجراري أمنك الله ورعاك ، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته عن خير سيدنا أيده الله ونصره

وبعد فقد قدم لنا نائب دولة الفرنسيس وبيده استرعاء يخبر فيه أنك قبضت على أناس من حمايتهم وهم معروفون عندكم وعند جميع الناس وقد طلبك خليفتهم هناك بتسريحهم وهو ضامن عليهم الساعة التي تطلبه فيهم يدفعهم لك فأجبته أن ذلك بأمر سيدنا أعزه الله فجعل الاسترعاء وكبرت المشاحنة ولا عرفت لهذه القضية سببا لكونك أنت عامل البلد وتعرف الأمور التي تلحق منها المضرة ونحن محققون أن مولانا نصره الله لا يأمر بقبض من هو في الحماية إلا بعد الكتابة بالكلام مع نائب أجناسهم وباظهار والحجج التي عليهم ، ويقع التسليم منهم وهذا هو المعروف من سيدنا أيده الله فكان ينبغي لك ان كان ورد عليك الأمر الشريف بالقبض عليهم أن تكتمه تحت يدك وتراجع الحضرة الشريفة بالتعريف أنهم في الحماية وبعد ذلك العمل على ما يأمرك به أيده الله والآن قد اقتضت المصلحة العامة تسريحهم وبقائهم في السجن يترتب عليه شنآن عظيم ربما يؤدي إلى ما لا يرضاه سيدنا نصره الله ، فإن كان ورد عليك الأمر الشريف في شأنهم حتما بحيث لا

فسحة في عدم القبض عليهم فذلك وان كان في الأمر فسحة أوكان قبضهم برأيك فسرحهم وادفعهم لخليفتهم بعد أن تقبض منه الضمانة عليهم إلى أن يأمر مولانا نصره الله بما يكون عليه العمل في شأنهم فإن مولانا أيده الله لا يوافق على ما فيه المضرة ولا يحب ما يجلب تكدير الخواطر مع مطلق الأجناس ، فضلا عن هذا الجنس الذي هو من أخص الأجناس عند سيدنا أيده الله وأموره عند سيدنا أيده الله ملحوظة بعين الاعتناء والاعتبار ، وعلى المحبة والسلام

محمد بركاش

في 6 حجة عام 1279 محمد بركاش لطف الله به

استدراك خير ، فإذا كنت قبضت على أناس آخرين في حماية أخرى فاجرهم مجرَى هؤلاء حتَّى لا يقع تمييز

جواب السلطان لوزير الخارجية السيد محمد بركاش

بالوثيقة عدد 523 من الوثائق المذكورة لابن منصور أصلها محفوظ بقسم الوثائق للخزينة العامة بالرباط

ونسخة أخرى مصورة محفوظة بمديرية الوثائق الملكية المغربية هذا نصها

الحمد لله وحده وصلَّى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

(الطابع السلطاني الصغير بداخله محمد بن عبد الرحمان الله وليه)

خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش

أعانك الله والسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته

وبعد ، وصلنا كتابك شرحت فيه ما دار بينك وبين نائب الدولة الفرنساوية في شأن الذين في حمايته بالدار البيضاء وقبض عليهم عاملها وطلب منه خليفته هناك تسريحهم وتكفل له باحضارهم في الوقت الذي يطلبهم فلم يساعده وقام النائب المذكور لذلك وقعد واحتج عليك بما سطرته فدافعته بالتي هي أحسن وأمهلته فلم يقبل المدافعة والامهال بوجه ، وحيث رأيت الأمر يفضي إلى ما لا يليق وخفت أن يترتب على تأخير الكتب ما شافهك به النائب المذكور ساعدته وكتبت للعامل في شأن تسريحهم بما وجهت نسخة وطلبت أن تؤكد عليه في التعجيل بتسريحهم اتباعا

للمصلحة واطفاء للفتنة وأن تأمر بتوجيه ما عسَى أن يثبت عليهم من الحجج لتستظهر بها على نائب الدولة الفرنساوية ، وبلغك أن العامل المذكور قبض على أناس من جانب الانجليز والبلجيك وطلبت أن يعم التسريح الجميع لئلا يقع التمييز

فاعلم أنا أمرنا عامل الدار البيضاء بتسريح من في الحماية سواء منهم من كان في حماية الفرنسيس أو غيره من الانجليز والبلجيك ودفع كل واحد منهم لمن هو في حمايته ليعطي الحق على يده بحول الله وقوته ، وأمرناه أن يقف عند القوانين فيما نأمره به بعد ان شاء الله والسلام

14 من ذي الحجة عام 1279

ومادمنا نتكلم على نظام الحماية القنصلية الجائر يجدر بنا أن ننقل وثيقة من الوثائق المذكورة تحت عدد 454 ، قتل فيها محميان بدولة أجنبية من قبيلة مديونة مغربي غير محمي ، وعجزت السلطة المحلية عن اعتقال القاتلين لأنهما محميان والحماية أتتهما لمجرد خدمتهما مع تاجر أجنبي والتمس أولياء القتيل من عامل الدار البيضاء محمد بن مشيش أن يتوسط لهما لدَى من يهمه الأمر لئلا يذهب دمه هدرا فكتب رسالة إلى وزير الشؤون الخارجية السيد محمد بركاش وحملهم إياها إليه يشرح له فيها ما حدث ويطلب منه أن يعمل على تسليم القاتلين إلى أولياء القتيل

الرسالة مؤرخة في 28 محرم عام 1282هـ الأحد 3 يوليوز سنة 1864م وأصلها محفوظ بمكتبة السيد عبد الحكيم بركاش بالرباط ومنها نسخة مصورة محفوظة بمديرية الوثائق الملكية وهذا نصها

عـــدد 551

الحمد لله وحده وصلَّى الله وسلم على رسول الله وعلى آله وصحبه

محبنا الأعز وخديم مولانا الأحظَى السيد محمد بركاش

أمنك الله ورعاك وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته

وبعـــد ،

عبد الرحمان بن محمد ولد الجمل– مديوني وبوعزة بن الحسين– مديوني	إن رجلين داخلين تحت حماية نصراني تاجر اسمه باكسما وهما بالطرة عمدوا إلى رجل من اخواننا أولاد جرار فرقة من مديونة وضرباه في رأسه حتّى أفضت إليه إلى الدماغ ومات منها رحمة الله علينا وعليه وقتلاه على وجه الظلم والتعدي
والمقتول عبد السلام بن محمد– مديوني	والآن يطلب حملته روح أخيهم ويقتصون من قاتليه ، وقد وجهناهم لحضرتك وبيدهم رسم الدماء بخط عدلين فنحبك أن تنظر في دعواهم وتكتب لصاحبهما أو قونصو دولة صاحبهما يمكنهما منهم بوجه شرعي اما يقتص منهما أو يصفع ، وان كان لا حكم عليهما يظهر لاخوان المقتول ما يكون ، فالمرجو منك ألا تقصر في هذه الدعوَى
	بارك الله لنا فيك وأعانك ونحن على المحبة والسلام

في 28 محرم عام 1282
طابع العامل– خديم المقام العالي بالله
محمد بن مشيش رعاه الله

تنبيه

جاء في آخر الوثيقة توقيع خديم المقام العالي بالله محمد بن مشيش رعاه الله ، مما يدل على أنه كان عاملا بالدار البيضاء

والوثيقة التي سنتكلم عليها بعد فيها خليفة العامل

ومما يندرج في سلك موضوعنا وهو طغيان الأجانب ومحميوهم في نطاق الحماية القنصلية ما نقله لنا السيد عبد الوهاب بن منصور في الوثائق المذكورة

وذلك رسالة موجهة من السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان إلى نائبه في

الشؤون الخارجية السيد محمد بركاش تتعلق برجل من أهل الدار البيضاء أثخن رجل آخر بالجراح

فلما أرادت السلطة المغربية اعتقاله احتمَى بتاجر انجليزي ، الرسالة مؤرخة في 14 صفر عام 1278هـ/ الأربعاء 21 غشت سنة 1861م وأصلها محفوظ بقسم الوثائق بالخزانة العامة بالرباط ومنه نسخة مصورة محفوظة بمديرية الوثائق الملكية وهذا نصها تحت عدد (510)

الحمد لله وحده وصلَّى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

الطابع السلطاني الصغير بداخله محمد بن عبد الرحمان الله وليه

خديمنا الأرضى ، الطالب محمد بركاش

وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته

وبعد ، فإن رجلا من سكان الدار البيضاء اسمه الحاج الحسن أثخن رجلا اسمه الحاج الحبيب بالجراحات

ولما حاول خليفته القائد محمد بن مشيش قبضه انحاش إلى نصراني انجليزي اسمه بيب

فأمرنا خديمنا ابن مشيش بقبضه لكون السكوت عن الحقوق لا يحل شرعا ولا طبعا وأعلمناك لتعلم نائب دولة الانجليز ليكتب للنصراني المذكور بعدم الدخول في أمر الضارب المذكور فنأمرك أن تعلمه بما ذكر ولابد والسلام

في 14 صفر الخير عام 1278

ووثيقة أخرى نقلها لنا ابن المنصور المذكور تحت عدد (561) وهي من القرابة بمكان

جاء في هذه الوثيقة

رسالة من قنصل انجلترا بالدار البيضاء إلى القائد السيد الكبير بن المدني تتعلق بتدخل دولته في شؤون اليهود المغاربة

قال المؤلف : حلا لبعض الدول الأوربية وفي طليعتها بريطانيا العظمَى أن تجعل

نفسها وصية على اليهود المغاربة حسبما أشرنا إلى ذلك في تقديم الوثيقة عدد 548

المنشور في صفحة 310 من هذا المجموع الرابع وقد عثرنا على وثيقة رسمية تؤكد بصراحة ما أشرنا إليه وهي رسالة موجهة من قنصل بريطانيا بالدار البيضاء إلى القائد الكبير بن المدني تتعلق بيهودية زعم أن القائد المذكور ضربها وسجنها لأنه أراد منها أن تخيط ملابسه أو فراشه مجانا بدون مقابل فامتنعت على ما يظهر

القنصل يخبر العامل أن سفيره بطنجة أمره أن يتدخل لفائدة اليهود كلما حل بهم ظلم فيكون أمرهم عنده ويتكلم عليهم ويكون بصيرة عليهم أينما كانوا ، كما يخبره أنه كلف ترجمانه بالوصول إليه ليجري بحثا في القضية فيرفع بها تقريرا إلى مفوضيته ويأمره أن يسرح اليهودية بمجرد وصول الترجمان المذكور إليه

ويلاحظ أن رسالة القنصل الانجليزي مبدوءة بحمد الله والصلاة على النبي وأن فيها الدعاء بالنصر للسلطان وأن الطابع الرسمي المختومة به كتب فيه اسم الدار البيضاء بالحروف اللاتينية كما ينطق به باللغة العربية وليس كازا بلانكا الاسم الاسباني الذي لايزال الأجانب يطلقونه عليها إلى الآن

الرسالة مؤرخة في 23 صفر عام 1283هـ / السبت 7 يوليوز سنة 1866م

وأصلها محفوظ بمكتبة السيد عبد الحكيم بركاش بالرباط ، ومنها نسخة مصورة محفوظة بمديرية الوثائق الملكية

وتدخل القنصل الانجليزي بالدار البيضاء ان كان اعتمد فيه على ظهير شريف لسيدي محمد بن عبد الرحمان الذي جاء بالوثائق المذكورة ونقله لنا السيد عبد الوهاب بن منصور من الاستقصاء للناصري الجزء (9) ص (113) يكون تدخلا فضوليا ولا مبرر له

ونصه تحت عدد (540)

بسم الله الرحمان الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

(الطابع السلطاني)

نأمر من يقف على كتابنا هذا أسماه الله وأعز أمره واطلع في سماء المعالي شمسه المنيرة وبدره ، من سائر خدامنا وعمالنا . والقائمين بوظائف أعمالنا أن يعاملوا اليهود

الذين بسائر ايالتنا بما أوجبه الله تعالى من نصب ميزان الحق والتسوية بينهم وبين غيرهم في الأحكام حتَّى لا يلحق أحدا منهم مثقال ذرة من الظلم ولا يظام ولا ينالهم مكروه ولا اهتظام وأن لا يتعدوا هم ولا غيرهم على أحد منهم لا في أنفسهم ولا في أموالهم وأن لا يستعملوا أهل الحرف منهم الا عن طيب أنفسهم وعلى شرط توفيتهم بما يستحقونه على عملهم لأن الظلم ظلمات يوم القيامة ونحن لا نوافق عليه لا في حقهم ولا في حق غيرهم ولا نرضاه لأن الناس كلهم عندنا في الحق سواء ومن ظلم أحدا مهم أو تعدَّى عليه فانا نعاقبه بحول الله

وهذا الأمر الذي قررناه وأوضحناه وبيناه كان مقررا ، ومعروفا محررا زدنا هذا المسطور تقريرا وتأكيدا ، ووعيدا في حق من يريد ظلمهم وتشديدا ليزيد اليهود أمنا إلى أمهم

صدر به أمرنا المعتز بالله في السادس والعشرين من شعبان المبارك عام ثمانين ومائتين وألف

وعقب ذكر هذا الظهير ، قال الناصري في الاستقصاء رحمه الله في حوادث (1280) بصحيفة (112) الجزء المذكور وفي هذه السنة ورد يهودي من لندن على السلطان بمراكش يطلب منه الحرية ليهود المغرب وذلك لأنه لما كانت وقعة تطاون دهم الناس ما دهمهم من أمر الحمايات وأكثر من تعلق بها اليهود لم يقتصروا على ذلك وراموا الحرية تشبها بيهود مصر ونحوها فكتبوا إلى يهودي من كبار تجارهم باللوندرة اسمه روشابيل ، وكان هذا اليهودي قارون زمانه وكانت له وجاهة كبيرة في دولة الانجليز لانها كانت تحتاج إليه فيسلفها الأموال الطائلة

وله في ذلك أخبار مشهورة فكتب يهود المغرب إليه أو بعضهم يشكون إليه ما هم فيه من الذلة والصغار ويطلبون منه الوساطة لهم عند السلطان رحمه الله في الانعام عليهم بالحرية فعين هذا اليهودي صهرا له للوفادة على السلطان رحمه الله في هذا الغرض وفي غيره وأصحبه هدايا نفيسة وسأل من دولة الانجليز أن يشفعوا له عند السلطان ويكتبوا له في قضاء غرضه ففعلوا ، وقدم على السلطان بمراكش وقدم هداياه وسأل تنفيذ مطلبه فتجافَى السلطان رحمه الله عن رده مخفقا وأعطاه ظهيرا فتمسك به اليهودي يتضمن صريح الشرع وما أوجب الله لهم من حفظ الذمة

وعدم الظلم والعسف ولم يعطهم فيه حرية كحرية النصارى ونصر الظهير المذكور بالطابع الكبير

وعقب هذا الظهير قال ولما مكنهم السلطان من هذا الظهير أخذوا منه نسخا وفرقوها في جميع يهودي المغرب وظهر مهم تطاول وطيش وأرادوا أن يختصوا في الأحكام فيما بينهم لاسيا يهود المراسي ، فإنهم تحالفوا وتعاهدوا على ذلك ثم أبطل الله كيدهم وخيب سعيهم

على أن السلطان رحمه الله لما أحس بطيش اليهود أعقب ذلك الظهير بكتاب آخر بين فيه المراد وأن ذلك الايصاء انما هو في حق أهل المروءة والمساكين منهم المشتغلين بما يعنيهم

وأما الصعاليك المعروفون بالفجور والتطاول على الناس والخوض فيما لا يعني فيعاملون بما يستحقونه من العقاب

استعمال التطفيف من تجار الحبوب الأجانب بالدار البيضاء وتدليسهم على الأمناء

في ذلك العصر كان الكيل بالفنيكة عوضا عن العبرة في عصرنا والفنيكة كيل اصبائي من خشب مربع مستطيل يشبه الزورق وكان العرف أنهم يملؤون الفنيكة حتّى تفيض وكان التجار يكتالون بهذه الصفة فإذا باعوا السلعة وسقوها للخارج يملؤون الفنيكة ويكشطون الزائد الذي فوقها ويكونون بهذه العملية قد ربحوا قدرا زائدا مهما فيدفعون للأمناء بقصد أداء واجب الجمرك قائمة بالعدد الفائض وبعد وسقه يدفعون قائمة أخرى بالعدد المكشوط فيه زيادة عن الفائض وعندما يسألهم المسؤولن بالجمرك عن هذه الزيادة يعتذرون بأنهم يدفعون لشركة التأمين خمسة في المائة 5٪ فإذا غرق المركب أو وقعت له آفة فتؤدي لهم شركة التأمين ما ضاع لهم بسبب هذه الزيادة فيطالبونهم الأمناء بالورقة التي فيها الزائد ليؤدّوا واجب ما زاد فيعتذرون أيضا بأن الورقة أخذها رئيس المركب وسافر بها

وهذا العذر الذي يعتذرون به تضليل من التجار لأن إدارة التأمين تعوض لهم

ما ضاع عوضا عن الخمسة في المائة التي دفعوها وبسبب ذلك كتب الأمناء للسلطان يعلمونه ليتخذ التدابير اللازمة والسلطان بدوره أيضا كتب لوزير الخارجية السيد محمد بركاش رسالة نصها

الحمد لله وحده وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

ثم طابع السلطان مكتوب وسطه محمد بن عبد الرحمان الله وليه

خديمنا الأرضى الطالب محمد بركاش أعانك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته

وبعد فقد أخبر أمناء مرسَى الدار البيضاء أنهم يحوزون من نواب المراكب فاتورة ما أرادوا وسقه مع خطوط اليد مطبوعا عليها بطابع القنصوات عملا بما قدمنا لهم الأمر به إلا أنهم يجدون بعضها مخالفا لما وسقوه بزيادة فتبين لهم أن سبب ذلك هو أنهم يكيلون الفنيكة مملوءة بالقبة كما هي مشروطة والتجار يكيلونها ممسوحة فيزيد عدد الممسوحة على عدد المقببة فسألوهم عن موجب مَسح الفنيكة فأجابوهم بأنهم يتفقون مع رؤساء المراكب على ذلك ثم اعتذروا لهم بأنهم يسقون المركب بالسكيرو والكمسيون فيلزمهم على ذلك خمسة في المائة (5٪) فإذا غرق المركب ووقعت له آفة فيرجعون على دار السكيرو بما في المركب من الأصل والزيادة ليجبروا بذلك ما ضاع لهم وزعموا أن تلك عادتهم في كل مرسَى فيطالبونهم بما يزيدونه على ما وسقوه فوعدوهم بأن المركب لا تسافر في المستقبل إلا إذا حضر الأمناء ونائب القنصل والتاجر والرئيس والقونصو ويقع الحساب على القدر الموسوق حتّى لا تقع زيادة ولا نقصان في خط يد الرئيس وأخبر الأمناء المذكورون أن سبب ما ذكر هو أن التجار يكيلون الفنيكة ممسوحة ويطبع عليها القونصو من غير حضورهم ولا يمكنهم من خط يد الرئيس إلا بعد سفر المركب فلابد تكلم مع القنصوات في شأن هذه الزيادة ليكتبوا لتجارهم في أمرها بما هو قانون ليقفوا عنده ولا يتعدوه والله يعينك والسلام

في 2 جمادَى الثانية عام 1279هـ.

الدار البيضاء والشاوية في عصر السلطان مولاي الحسن

لما توفي والده السلطان المقدس سيدي محمد بن عبد الرحمان المتقدم الذكر بمراكش زوال يوم الخميس 1290هـ يوافق 11 شتنبر 1873م وبلغ الخبر إلى حواضر المغرب وبواديه وقبائله تسارع سكان المغرب إلى بيعة ولده السلطان مولاي الحسن

فمن ذلك بيعة قبيلة أمزاب ننقلها من المجموعة الثالثة لمؤرخ الدولة المغربية العلامة السيد عبد الوهاب بن منصور

وفي يوم 30 رجب 1290هـ انعقدت البيعة للسلطان مولاي الحسن بقبيلة مزاب والنص الأصلي لهذه البيعة محفوظ بمديرية الوثائق الملكية نصها رقم 366

الحمد لله وحده وصلَّى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

الحمد لله الذي ابتدأ عباده بالفضل والاحسان ، وجعل نظام شملهم في نصب قسطاس وميزان وجعل الخليفة ظلا ممدودا يأوي إليه كل مظلوم ويعتصم بجانبه كل ضعيف ولهان ، وأمر لنا في خلافة سادتنا الشرفاء والطاعة لهم ولنبيه المصطفَى من آل عدنان صلَّى الله عليه وعلى آله أولي الفصاحة والبلاغة والبيان وصحابته الأكرمين وأئمة المسلمين وعلينا معهم أجمعين مادام الملوان

أما بعد ، فلما كانت أحكام الدين أصولا وفروعا وسنة واجماعا مدارها على قطب دائرة الامامة العظمَى كما قيل هي عبارة عن خلافة شخص للرسول عليه السلام في إقامة قوانين الشرع وحفظ الملة على وجه يهيب على كافة الأمة فقال صاحب التذكرة أجمع المسلمون على وجوب عقد الامامة لمن يقوم بها في الأمة لأن الامام يحتاج في قسم الفيء والصدقات واظهار شرائع الإسلام والدفع بالناس في حجهم وغزوهم ونصب القضاة والولاة ومعلوم أن قمع الظالم وانصاف المظلوم على تباعد الاقطار واختلاف الآراء لا يصح إلا باسناد إلى الامام قام بعض الناس مبادرا إليها ، لما نزغ الشيطان بين القبائل بوفاة عمدة الدين أمير المؤمنين سيدنا محمد قدس الله روحه ونور ضريحه واجتمع الآن أهل الحل والعقد من قبيلة أمزاب ايالة

القائد السيد الشرقي الحمداوي من أهل العلم والأشياخ والأعيان واتفقت كلمتهم ، واجتمع رأيهم على عقد البيعة والامامة والنصرة لعظيم القدر والشأن محي الشرائع والسنن سيدنا ومولانا الحسن أبقى الله طوالع سعده نائرة وهالة شمسه دائرة لوجود شروطها فيه من العلم والورع والشرف والعدالة التامة ، والرأي المفضي إلى سياسة الرعية وتدبير المصالح وضبط الأمور ، والنجدة المؤدية إلى حماية البيضة من جهاد العدو وردع الظالم بالانتقام منه واخماد نار الفتنة وتسكين الدهماء وحقن الدماء ، باقامة الحدود وضرب الرقاب بالحق وانصاف المظلوم من الظالم حسبما شاهدنا ذلك في خلافته ويشمل هذا العقد الخاص من القبيلة والعام ، ووافقوا على الشروط على عهد الله ورسوله والله يعصمنا من الزيغ والزلل ويوفقنا لصالح القول والعمل

في متم رجب الفرد عام تسعين بمثناة وستين وألف عبد ربه تعالى (شكل)[49] — وعبد ربه (شكل)[50]

الحمد لله وحده

أدّى العدلان وأهل الحل والعقد فاستقل واعلم به عبد ربه تعالى (شكل) قرئ منه محمد بن سودة لطف الله به

طابع مستدير[51]

بيعة قبائل أولاد حريز[52] — والمذاكرة[53] — وأولاد علي[54] للسلطان مولاي الحسن

---

(49) قرئ منه ابن الصغير

(50) قرئ منه ابن المكي الحمداوي

(51) لاشك أنه طابع القائد الشرقي الحمداوي

(52) أولاد حريز قبيلة كبيرة من قبائل الشاوية قاعدتها مدينة برشيد بطونها العبارة والفقراء والحباشة والحلالفة والمباركيين والموانيك والنواصر وأولاد علال وأولاد حجاج وأولاد موسَى وأولاد رحال وأولاد غفير وأولاد صالح ورياح وتعلاوت

(53) المذاكرة قبيلة صغيرة من مجموعة الشاوية القبيلة الكبيرة قبائلها لحلاف ومليلة وأولاد الصباح وأولاد وهاب

(54) أولاد علي قبيلة من قبائل المذاكرة المتقدمة ، قبيلة مستقلة تنقسم إلى ثلاثة عمارات ، أولاد علي الشماليين بطونهم لحلاف والدراسة أولاد غانم وأولاد علي الوسطانيين بطونهم =

نقل هذه البيعة من المجموعة الثالثة من الوثائق لمؤرخ المملكة المغربية عبد الوهاب بن منصور تحت رقم 382 أصلها محفوظ بمديرية الوثائق الملكية نصه

الحمد لله وحده واجب الوجود ، ذو النعم الشاملة والمكارم الكاملة والكرم والجود والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد الذي من تذكر مصيبة المسلمين به تعالى عن كل مفقود وعلى آله الكرام وصحابته الأجلة الاعلام خير من حمل الرايات وقاد الجنود صلاة وسلاما دائمين ما وفدت الوفود وانجلَى ظلام المصيبات بطالع السعود

أما بعد ، فإنه لما قضَى الله وقدر بما كان منه. العالم يحذر من وفاة مولانا أمير المؤمنين والذاب عن حوزة المسلمين سيدنا ومولانا محمد ابن مولانا عبد الرحمان قدس الله روحه في الجنان وتغمده بالرضا والرضوان وفاز من فاز من أعيان المسلمين وأهل الحل والعقد من رؤساء الدين بمبايعة نجله الميمون المبارك الذي هو في المحافل غير مشارك مولانا الامام الهام المؤيد في الظعن والمقام مولانا الحسن أيده الله ونصره وجعل الملائكة الكرام جنوده وعسكره

فانعقدت بيعته على أساس الشريعة المطهرة وعلى ما سنه سيد الأنام

سارع إليها وانخرط في الانجاد ، قبيلة أولاد حريز ، والمذاكرة وأولاد علي بمحضر أعيانهم وعلمائهم وشرفائهم وأهل زواياهم وعامتهم والجم الغفير من كافتهم

فأشهدوا على أنفسهم أنهم بايعوه أعزه الله على سنة الإسلام في المنشط والمكره ملتزمين السمع والطاعة والدخول في عقد الجماعة بأنفسهم وأموالهم وأولادهم على ما هو معهود منهم ومنقول عنهم طالبين من الله أن يجعل ولايته لأمر المسلمين ولاية تأييد واعزاز ونصر على التأييد وأن يجعل الملك فيه وفي عقبه إلى يوم الدين آمين فمن التزم ذلك طائعا وأدَّى شهادته بذلك مسارعا شهد به عليه باشهاده وهو بأتمه وعرفه في ثامن من شعبان الأبرك عام تسعين ومائتين وألف

= الدلالحة وأولاد مالك وأولاد سيدي أحمد وأولاد علي الجنوبيين بطونهم أولاد ابن اسماعيل والردادة .

الخاصة اخوان العامل من القبيلة

الطالب السيد رشيب بن محمد بن رشيد الفقري
السيد أحمد بن رشيد النسب
السيد المعطي بن محمد النسب
السيد محمد بن رشيد النسب
السيد مصطفَى بن محمد النسب
الحاج محمد بن أحمد بن الجيلالي النسب
الفقيه الأرضَى السيد بوشعيب بن العناية النسب
الفقيه السيد أحمد بن العناية النسب
الفقيه السيد أحمد بن العربي النسب
الفقيه السيد أحمد بن الخضر النسب
الفقيه الحاج عمرو بن الحسن النسب
الفقيه السيد أحمد بن العربي النسب
الفقيه السيد محمد بن الجيلالي النسب
الفقيه السيد عمر بن الجيلالي النسب
والفقيه السيد ادريس بن محمد النسب
والفقيه السيد العربي بن بوعزة النسب
الفقيه السيد بوشعيب بناصر النسب
الفقيه السيد عبد القادر بن الحسن النسب
الفقيه السيد المعطي بن ادريس النسب
الفقيه السيد أحمد بن ادريس النسب
الفقيه السيد المعطي بن أحمد النسب
الفقيه السيد الحداوي بن محمد ضها النسب
والفقيه السيد المفضل بن محمد النسب
والفقيه السيد عبد القادر بن علي النسب

زوايا القبيلة وعلمائها

المرابط سيدي البصير نجل الولي سيدي الجيلالي العمري
ومولاي الطيب بن الجيلالي النسب
والحاج عبد القادر بن المدني النسب
والسيد محمد بن الحاج عبد الله النسب
والسيد الحاج الطاهر بن أحمد العائدي
والحاج محمد ابت الحاج النسب
والحاج الحسين ابن الحاج النسب
السيد ابن محمد بن آل البركة سيدي علي بن ابراهيم
السيد محمد ضما بن محمد فتحا النسب
السيد مَحمد بن الشريف النسب
السيد بوشعيب بن العزواني الشرقاوي
السيد المعطي بن الغزاني النسب
السيد علي بن الغزواني النسب
الفقيه السيد عبد السلام بن الحسن
الفقيه السيد محمد بن أحمد النسب
الفقيه السيد سليمان بن يوسف النسب
الفقيه ابن الفقيه السيد بوشعيب الرحالي
الفقيه السيد محمد بن محمد النسب
الفقيه السيد اليماني بن محمد الدويبي
الفقيه السيد الحاج العربي بن الطيب
الفقيه السيد عبد القادر بن محمد النسب
الفقيه السيد اسماعيل الحبشي
الفقيه السيد علي بن العربي النسب
الفقيه السيد الجيلالي بن أحمد النسب .

أعيان أولاد حريز والمذاكرة وأولاد علي

المختار بن عزوز الصالحي
الحاج العربي بن المعطي النسب
عبد القادر بن بوعزة النسب
السيد علي بن الحسين النسب
الشيخ الطيب بن الحسن النسب
الشيخ الطيب بن الحسن النسب
الشيخ محمد الحبشي النسب
الشيخ الجيلالي بن العبارية النسب
الشيخ محمد بن بوعزة الدك النسب
الشيخ العربي ابن الحاج علي النسب
الشيخ عبو بن سعيد الزرقوني
الشيخ أحمد بن المعلم العباري
الشيخ محمد بن بوعزة ولد يطو الحجاجي
الشيخ علي المعطي الفقري
الشيخ محمد المفضل المذكوري
الشيخ عبد السلام بن الخطاب النسب
الشيخ قدور بن حدو النسب
الشيخ محمد بن صفية النسب
الشيخ المعطي بن محمد النسب
الشيخ محمد بن رضوان النسب
الشيخ بوعزة ابن الحاج الاعلاوي
الشيخ أحمد بن ابراهيم النسب
الشيخ بوشعيب بن علي النسب
الشيخ المعطي بن الطيب النسب
الشيخ بوشعيب بن الهاشمي النسب
الشيخ عبد الله بن العداني النسب .

الحمد لله وحده

أدَّى جميع شهوده المتلقي منهم كل بمضمنه فتبث

الحمد لله وحده

أشهد الفقيه الأجل النبيه الأكمل ، قاضي قبيلة أولاد حريز في وقته وحينه وهو (شكل) أعزه الله وحرسها بثبوت رسم البيعة المذكورة أعلاه الثبوت التام لصحته عنده وثبوته لديه بواجبه شهد على الشهادة حفظه الله وهو ابن (شكل) بحيث يجب له ذلك حيث ذكر ، دامت كرامته وتوالت سعادته

وفي الثامن من شعبان الأبرك عام تسعين ومائتين وألف

عبد ربه سبحانه محمد الناصري وفقه الله آمين (شكل)

وعبد ربه تعالى ابن المعطي الناصري لطف الله به آمين (شكل)

زيارة السلطان مولاي الحسن مدينة الدار البيضاء وايقاف عاملها القائد السيد محمد بن ادريس الجراري وتعيينه عاملا على مدينة الجديدة وتعيين الحاج عبد الله بن قاسم حصار السلاوي عاملا على الدار البيضاء

في مهل ربيع الثاني سنة 1293 خرج من مراكش يؤم بلاد الغرب وقبل خروجه من مراكش كتب إلى عامله على مدينة الدار البيضاء أبو عبد الله الحاج محمد بن ادريس بن حمان الجراري أن يقدم إلى مدينة الجديدة ويقيم هنالك حتَّى يأمره بما يكون عليه عمله فامتثل القائد المذكور ولما وصل السلطان إلى الثغر المذكور استقبله القائد السيد مَحمد بن ادريس الجراري وطلب منه أن يجدد له ظهير التوقير والاحترام حسبما كان عليه هو ووالده من قبل مع السلطان الأعظم المولى عبد الرحمان وابنه السلطان المرحوم سيدي محمد رحمهما الله ، فأجابه أعزه الله إلى ذلك وكتب له ظهيرا حسب طلبه المؤرخ في تاسع ربيع الثاني عام 1293هـ

ولما قضَى السلطان أعزه الله اربه من ثغر الجديدة نهض إلى أزمور فتلقاه أهلها بالفرح والسرور والبهجة والحبور فهش لهم وقابلهم بما يناسب ودعا لهم بخير وزار ضريح الشيخ أبي شعيب وأبي عبد الله محمد وعدود رضي الله عنهما وقدم لضريحهما ذبائح وطاف بأسوار البلد وأبراجها وأمر بتحصين برج هناك كان مقابلا للمرسَى ثم خرج من أزمور بعد يوم أو يومين فانتهَى إلى مدينة الدار البيضاء فدخلها في ثالث وعشري من ربيع الثاني المذكور وعزل عنها القائد أبا عبد الله محمد بن ادريس الجراري وولى مكانه الحاج عبد الله بن قاسم حصار السلاوي

ثم كتب إلى أبي عبد الله الجراري المذكور بولايته على الجديدة واعمالها ونص كتابه إليه

خديمنا الأرضَى الطالب محمد بن ادريس الجراري وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد ، فإنا أعفيناك من ولاية الدار البيضاء ووليناك على

الجديدة ولم نعزلك عنها سخطا لسيرتك ولا هضما لجانب خدمتك ، وإنما اقتضت المصلحة ذلك تقديما للأهم فالأهم وأنت منا وإلينا ودارك دار الخدمة والصلاح فلا نسلمكم ولا نفوتكم ولا نهضم لكم جانبا والسلام

في 23 من ربيع الثاني عام 1293هـ

حسب ما جاء في الجزء الثاني من الاستقصاء صحيفة 149 و150

قال الناصري رحمه الله الذي نقلنا عنه هذا الخبر

واعلم أن هذا العامل من أمثل عمال السلطان نصره الله وأعقلهم وأرجحهم وأنصحهم وقد استعمله الملوك الثلاثة المولى عبد الرحمان وابنه سيدي محمد وابنه المولى الحسن رضي الله عنهم فظهرت كفايته ونصيحته وحمدت ولايته وسيرته وهو الآن بهذا الحال حفظنا الله وإياه والمسلمين آمين

ولما حلّ السلطان بالدار البيضاء طاف في أبراجها وأمر الطبجية بنصب المدافع في البحر ثم أمر برميها وهو حاضر وربما باشر معهم ، ثم اجتاز بعد الفراغ على باب المرسَى ومحل وضع السلعة للتجار بها فوقف عليه وتأمله كما فعل بثغر الجديدة ووعد باصلاح المؤن على شاطئ البحر لأن البحرية في وقت انزال السلع ووسقها يتعبون في ذلك وأقام بالدار البيضاء بالمحلة خارج البلد يومين وأهدَى إليه تجارها من النصارَى واليهود والمسلمين ، وأظهر النصارَى الفرح وأكثروا من تعليق الصناجق وايقاد الحرقيات بالليل وارسالها في الجو فقابلهم السلطان رحمه الله بالجميل وحمل النصارَى منهم على خيل مكافأة لهم على هديتهم فطاروا بذلك فرحا حتَّى أنهم كتبوا بذلك لأهل دولتهم ، ونشروا في جرائدهم وأجوبتهم

انتهَى ما نقله الناصري في الاستقصاء

وقد نقله عنه ابن زيدان في الجزء الثاني من اتحافه صحيفة 157

زاد ابن زيدان ، ثم نهض من الدار البيضاء وأوقع بأعراب الزيايدة لانحرافهم عن الجادة

ومن مآثر العامل الجراري المذكور ما تقدم لنا في فصل المعاهد الدينية أنه هو الذي بنَى جامع النوق والحمام البالي في عصر السلطان المولَى عبد الرحمن على ما

نقله مولاي العربي الوزاني في كتابه بلوغ المَنَى والآمال والعامل السيد عبد الله حصار المذكور كان قبل هذا التاريخ أمينا بمرسَى الدار البيضاء وقد وقفنا على وثيقة أبرم فيها هو ورفيقه الأمين برادة عقدا مع القنصل الاميريكاني بالدار البيضاء لبناء دار سكناه طبقا للشروط

وهذا العقد مؤرخ ب 14 قعدة 1292هـ موافق 12 / 12 / 1875م والعقد محفوظ في الوثائق التاريخية بالمكتبة العامة والمحفوظات بتطوان تحت رقم 55 / 1 / ب

وقد كان مخلصا نصوحا وأحرز على ثقة السلطان فاتحفه بمنح ظهيرين

الأول بعدما ولاه عاملا على الدار البيضاء شركه مع أمناء الدار البيضاء وجعله مشرفا عليهم حسب ما جاء في ظهير حسني نصه

نأمر خدامنا أمناء مرسى الدار البيضاء أن يكونوا مع خديمنا الأرضَى الحاج عبد الله حصار يدا واحدة فيما كلفوا به من أمور خدمة الديوانة بحيث لا يمضوا شيئا فيها إلا بموافقته لأنا أشرفناه عليهم وأشركناه معهم في تلك الخدمة والسلام

في 25 ربيع الثاني عام 1293

وبعد عامين من ولايته على الدار البيضاء عينه بظهير آخر باشراكه في العمل مع أمين المستفادات بظهير نصه

خديمنا الأرضَى الحاج عبد الله حصار وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته

وبعد ، فقد جعلنا لك النظر في مستفاد الدار البيضاء مشاركة مع الأمين المعين للوقوف عليها بحيث تكون يدك ويده واحدة في التصرف في ذلك وما هو معين من أجرة للأمين المذكور تقتسمه معه انصافا بينكما على شرط أن تباشر معه ذلك بنفسك ولا تستنيب فيه أحدا كائنا مَن كان والسلام

في 20 ربيع الثاني عام 1295

وقد بعث لنا بنسخة من هذين الظهيرين الشريفين صديقنا وشيخنا المرحوم

مؤرخ سلا السيد محمد بن علي الدكالي السلاوي رحمه الله وبقية الكلام على تاريخ هذا العامل ستأتي من بعد

الأملاك المخزنية بالدار البيضاء
ومشروع الحصول على ملك بحسب ستة (6٪) في المائة للكراء

لما كانت الدار البيضاء حديثة الصنع بعزيمة السلطان سيدي محمد بن عبد الله رحمه الله وكانت الدولة العلوية لها رغبة أكيدة في عمارتها ومن جملة المشاريع التي شرعتها

مشروع بناء (6٪) ستة في المائة على كل من أراد الحصول على دار للسكنَى أو متجر للتجارة أو خزين للسلع

يتقدم بطلبه لذلك إلى أمين المستفادات فيحيل الطالب إلى أمناء المرسَى ويلتزم أمناء المرسَى ببناء ما طلبه من الدار أو المتجر أو الخزين بمقتضَى شروط فإذا تم البناء يكري للطالب بحسب (6٪) ستة في المائة مما أنفق عليه ويرفع الطلب إلى حاجب السلطان موسي بن أحماد

وبعد الموافقة عليه يدفع التصميم والشروط المعقودة في ذلك

وكانت الحكومة لها معمل للنجارة له رئيس عليه فإذا تم البناء يحرر بيان لما أنفق عليه من البناء من حفر الساس والبناء والنجارة والحدادة والجير والصبغ ويحرر عقد على الطالب بأن يدفع ككراء ستة في المائة (6٪) على مدة معينة متفق عليها في الشروط

ويمكن من الطالب للشروع في الاستغلال ويعلم بذلك الحاجب السلطاني موسَى ابن أحماد فيجيب عنه أمين المستفادات

وقد وقفنا على وثائق لهذا الغرض بالمكتبة العامة والمحفوظات بتطوان منها عقد أبرم بين القنصل الامريكي بالدار البيضاء وبين الأمينين برادة وحصار بالدار البيضاء لبناء دار سكناه طبقا لشروط محددة بتاريخ العقد 14 ذي القعدة 1292هـ موافق



من المنازل الجميلة بالدّار البيضاء ، وهي حاليا بزنقة الصويرة رقم 46 ، أخذت صورتها في أواخر القرن التاسع عشر.

12 / 12 / 1875م بالمحفظة 55 / 1 (2) بالمكتبة العامة بتطوان

ووثيقة أخرى بتاريخ 25 محرم 1293هـ موافق 21 / 2 / 1896م يتضمن جوابا من الحاجب موسى بن أحماد إلى الأمين الطريس حول تنفيذ دار لمحمد حصار وصدور الأمر المولوي المذكور باعتبار أن الإجراء من اختصاص الطريس المحفظة 70 / 2

ووثيقة أخرى بتاريخ 29 محرم 1293هـ موافق 29 / 2 / 1876م نسخة عقد يتعهد فيه أمينا مرسَى الدار البيضاء السيد برادة وحصار بإقامة بناء لابراهيم وشوميل التدغيين بحسب (6٪) ستة في المائة بالمحفظة 104 / 2

ورسالة الحاجب موسَى بن أحماد إلى الأمين الطريس بصدور الأمر المولوي بتهيئ دار للسكنَى للأمين بن جلون المكلف بالاشراف على بناءات المخزن في الدار البيضاء بتاريخ متم ربيع الأول 1293هـ موافق 25 / 4 / 1876م بالمحفظة 34 / 9

وللقارئ نسخة من العقد المنبرم بين قنصل أمريكا بالدار البيضاء والأمينين حصار وبرادة المتضمن لشروط العقد نصه

الحمد لله وحده ولا حول ولا قوة إلا بالله

هذا ولما ورد أمر مولانا المنصور بالله أعزه الله على أميني مرسَى الدار البيضاء في الوقت الفقيه السيد الحاج عبد الحفيظ ابن المرحوم بكرم الله السيد الحاج علي برادة الفاسي والأبر السيد الحاج عبد الله ابن الحاج قاسم حصار السلاوي اللذين يضعان خط يديهما عقب تاريخه ببناء دار بالثغر المذكور للتاجر كوب قنصل جنس المركان به وقتئذ على أن يكتريها لمدة ستة عشر عاما بحساب ستة في المائة فيما يصير عليها ويلتزم أداء كرائها بالحساب المذكور مدة من ثمانية أعوام سواء عمرها أو عطلها وإذا أراد اخلائها بعد الأعوام الثمانية الأولى وقبل انصرام الأعوام الثمانية الأخيرة فإنه يعطي وجيبة سنة كاملة عاجلة خطيئته وتحاز الدار المذكورة لجانب المخزن يتصرف فيها بما شاء من الكراء أو غيره ويكون في مدة بنائها يطلع على صائر كل يوم وقبل التاجر المذكور ذلك قبولا تاما كما رضي أن يرد الصائر ريالا بصرف الوقت كل وقت وما يروج به فيه وعلى الريال يقع حساب وجيبة الكراء وتوافق مع

الأمينين المذكورين على تعيين المحل الذي يكون فيه بناؤها وذلك قرب الموضع المسمى ببلاد أمزاب من الثغر المذكور ملاصقة للهري الذي أحدث له هناك واشترطا عليه أن لا يحدث فيها شيئا وأن لا يجعل بها شيئا من عنده وان أوقع فيها شيئا جليلا أو حقيرا فإنه يضيع عليه ولا يحسب على جانب المخزن منه شيئا ولا سبيل له إلى أخذه عند إرادة اخلائها بل يسلمه لجانب المخزن مجانا فرضِي ذلك والتزمه التزاما حسبما ذلك كله مرقوم بالخط العجمي أسفله وقيده في 14 قعدة الحرام عام اثنين وتسعين ومائتين وألف عبد الحفيظ بن علي برادة لطف الله به والحاج عبد الله حصار لطف الله به محفظة 55 / 1 (ب) بمكتبة تطوان

نسخة من جواب موسَى بن أحمد حاجب السلطان إلى الحاج محمد الطريس من انتهاء البناء وما يجب في الكراء الشهري لدار القنصل الكريكي

الحمد الله وحده وصلَّى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

محبنا وخديم مولانا الأرضَى أمين المستفادات بالدار البيضاء الحاج محمد الطريس أمنك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير سيدنا نصره الله وبعد فقد وصلنا كتابك مخبرا بانتهاء العمل في دار قنصل الكريك وتلخيص كرائها معه بحساب ستة في المائة وما وجب 158 / 17 في كرائها مشاهرة وشرع في قبضه منه في شعبان الفارط

وأطلعنا بذلك علم مولانا الشريف وصار منه بالبال وعلى المحبة والسلام

في 23 شوال عام 1293
موسَى بن أحمد لطف الله به
بمحفظة 34 / 37 بالخزانة العامة لتطوان

بيان ما صير على دار التاجر ابراهيم التدغي وما وجب عليه في كرائها الشهري بحسب ستة في المائة (6٪)

نص البيان

الحمد لله وحده

مجموع ما صير على ما بني للتاجر ابراهيم التدغي بالثغر البيضاوي بحساب ستة في المائة ما قدره ثمان وأربعون مائة ريال وستة وتسعون ريالا ونصف ريال بريال الفرنسيس آخر مدته صفر من عام 1296هـ بموافقته على الصائر المذكور ووضع خط يده عليه وتولى التصرف فيما بنى له في ربيع النبوي من العام المذكور

ينوبه عن كل شهر في الكراء أربعة وعشرون ريالا ونصف ريال بريال الفرنسيس

30 صفر عام 1296هـ موافق 23 يبراير 1877م
محفظة 28/148 المكتبة العامة بتطوان ووثيقة العقد
محفظة 104 / 2
بتاريخ 29 محرم 1293هـ موافق 25/4/1876م

انعام السلطان مولاي الحسن على سلطان السبنيول بأرض لاقامة كنيسة المسيحيين التي طلبها الباشدور لدولة اسبانيا بطنجة

نص تنفيذه

الحمد لله ، ولما ورد أمر مولانا الشريف أسماه الله على خديمه القائد السيد عبد الله حصار بالثغر البيضاوي وعلى الأمينين بمرساه السيد عبد السلام بناني والسيد الحاج محمد الطريس بتعيين البقعة التي أنعم بها أعزه الله بالثغر المذكور على حضرة

الفخيم سلطان اسبانيا لصلاة النصارى المطلوبة بواسطة المحترم باشدورهم

حضر القائد والأمينان المذكوران وعينوا لقنصل دولة حضرة السلطان المذكور مانويل دي لبراليس بقعة طولها اثنان وأربعون متر وعرضها ثلاثون متر ويحدها قبلة سكة نافذة وجنوبا نوالات الأعراب وشرقا سكة نافذة وغربا هري المخزن الذي بيد جرش الانجليزي وحازها القنصل المذكور من القائد والأمينين المذكورين بما يحاز به الأنعام حوزا تاما وذلك في ثاني عشر جمادى الأخيرة عام أربعة وتسعين ومائتين وألف ألحق بمنته بما يحاز به الانعام طابع من القائد عبد الله حصار ومحمد الطريس وعبد السلام بناني

بمحفظة 118 / 4 مكتبة تطوان

وهذه الكنيسة موقعها في الوقت الحاضر بشارع طنجة بالدار البيضاء

نسخة ظهير السلطان مولاي الحسن بأن أرض الدار البيضاء هي للمخزن

نصه

الحمد لله وحده

نسخة من كتاب شريف علوي عالي القدر نص افتتاحه الحمد لله وحده وصلّى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله ونص الطابع المحترم الحسن بن محمد الله وليه ومولاه ونص خطابه خديمنا الأرضَى الأمين الحاج محمد الطريس التطواني وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبركاته وبعد ،

فإن أرض الدار البيضاء ليس هي من قبيل الموات وإنما هي ملك لجانب المخزن فلا سبيل لمن يريد التصرف فيها بموجب الا عن اذن المخزن ومشورته حسبما هو مقرر من قديم على عهد سيدنا الوالد وغيره من أسلافنا الكرام وحتّى في الشروط التي بيننا وبين نواب الأجناس لا يثبت بيع فيها إلا باذن المخزن ثم أنه بلغنا أن بعض الناس اليوم صاروا يعلمون مواضع منها بالأحجار ويبنون فيها نوائل فإذا مر عليها ما

تيسر من الزمان ادعوا ملكها وأرادوا التصرف فيها بالبناء أو غيره مع تكرر صدور أمر سيدنا الوالد ومولانا الجد قدسهما الله للمكلف برباع المخزن شيء بها ولو قل ولا في فتح الطاق ولا باب عليها وبأن يمنع العدول من الشهادة في ذلك حسما لمادّة ما عسى أن يرومه بعض التجار وأهل الحمايات من ادعاء الملك بسبب اظهار وتصرف من تصرفات الملاك

وعليه فالذي نأمرك به هو أن من ادعَى منهم ملك بقعة أو بيت أو ما أشبهها واستظهر برسم اشترائها وأراد بنائها فلا تمكنه منه لأن بيع ذلك لا يثبت إلا باذن مالكه وهو المخزن وإذا بيعت دار وما أشبهها فلا ينبرم البيع فيها إلا إذا حضر الأمين المكلف برباع المخزن والقاضي والعامل وسلموا أن مشتريها ليس من أهل الحماية فحينئذ يشهد العدول ببيع الزينة لا غير واما الأرض فلا مدخل لها في البيع لأنها بجانب المخزن كما نبينه

وقد كتبنا في هده القضية كتبا أربعة أحدها يبقَى في الديوانة يتداوله أمناؤها والآخر يبقَى تحت يد الأمين المكلف برباع المخزن والآخر تحت يد العامل والآخر تحت يد القاضي والسلام

في 8 محرم عام 1293هـ
توجد بالمحفظة 21 / 3 (ب) بتطوان

وأرض مدينة الدار البيضاء كانت تعد من أملاك المخزن بما يحيط بها من الأراضي خارج أسوارها وقفنا على وثيقة تدل على ذلك وهو ظهير من السلطان مولاي الحسن إلى الحاج محمد بن العربي الطريس نصه

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله

الطابع الشريف داخله الحسن بن محمد الله وليه

خديمنا الأرضَى الحاج محمد بن العربي الطريس سلام عليك ورحمة الله وبعد ،

فغير خاف عنك أن البناء بمرسَى الدار البيضاء لا يكون إلا باذن مخزن البلد وقوفا مع الشرط وأن العرف في الدار البيضاء هو عدم البناء أصلا بخارج البلد .

وأن أرض الدار البيضاء كلها لجانب المخزن وأن من ادعَى ملكية شيء منها لا يسلم له رقبته ولأجل ذلك جعل المخزن البناء بستة في المائة وقد بلغ شريف علمنا أن اليهودي ولد حسيسو والرومي كارلو صارا يبنيان بعرصة خارج البلد وكذلك النصراني جورج النجليزي حاز جنانات خمسة أمام باب مراكش وبنَى بها دارا وعرصة ودارا للصابون وعليه فنأمرك بالكلام مع النواب في ذلك ليأمروا قناصلهم بالدار البيضاء بالزام تجارهم وأهل حمايتهم بالتمشي على الشرط والعرف المشار إليهما ويمنعوا العملة الواردين من النصارَى من مخالفة الشرط والعرف المذكورين وبأن لا يبنو لأحد إلا باذن حاكم البلد كما هو العرف الجاري في البلد والسلام

في 17 ربيع الأول عام 1309
محفظة 10 / 54

وكتاب حسني شريف إلى العامل الطريسي وأمناء مرسى الدار البيضاء يلزم من بنَى بأرض مخزنية بدون إذن شريف بأذاء نصف واجب الكراء المستحق عن الأرض بتاريخ 22 رجب 1296هـ يوافق 12 / 7 / 1879م محفظة 1 / 10

ومما عثرنا عليه من الوثائق المتعلقة بالاملاك المخزنية بالدار البيضاء نسخة كتاب حسني شريف يمنع البناء دون إذن خاص فيما حدد من أرض مخزنية بالدار البيضاء بتاريخ 9 جمادَى الثانية 1291هـ يوافق 24 / 7 / 1874م رقم 9 مكرر محفظة 2 / 21

تعيين مساحة الهري للتجارة بمياتير 54 والدار بمياتير 144

وقفنا على ظهير شريف في تحديد الدار والهري بالمساحة المذكورة

نصه ؛ بعد الحمدلة والصلاة على النبي ﷺ والطابع الشريف الحسن بن محمد الله وليه ومولاه

خدامنا الأنجاد أمناء مرسَى الدار البيضاء وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد

لقد بلغنا أن كل من تمكنوه من بقعة لبناء دار أو هري من التجار تجوزون له فيه الزيادة على القدر الذي يبني فيه الرياض وغيره من المنافع التي يتوسع فيها

وذلك لا ينبغي لكم والذي يكون عليه عملكم في المستقبل هو أن لا تزيدوا في بقعة الهري على ثلاثين شبرا في الطول وخمسة وأربعين في العرض ولا تتعدوا في بقعة الدار ستين شبرا طولا وعرضا في 4 ربيع الأول 1293 توجد نسخة من هذا الظهير بقسم الوثائق ، بمكتبة تطوان

وكان أمين المستفادات الطريس يراقب أعمال العامل الحاج عبد الله حصار ويخبر الحكومة ببعض المخالفات من أعماله

وقفنا على جواب من الحاجب موسى بن أحماد إلى الأمين الطريس حول صدور الأمر المولوي إلى العامل حصار بدفع كراء حانوت للمخزن يشغلها صديق له بتاريخ 24 قعدة 1293هـ موافق 11 / 12 /1876م

محفظة 34 / 45

وجواب من الحاجب موسى بن أحماد إلى الأمين الطريس حول صدور الأمر المولوي للعامل حصار بتسليم ما أشركه لأحد اليهود من أرض فلاحية للمخزن وعدم تدخله في مثل قضية ما أتلفه البحر من قوارب تاريخ 2 محرم 1294هـ موافق 17 / 1 / 1877م — محفظة 34 / 49

وجوابا أيضا من الحاجب موسَى بن أحماد إلى الأمين الطريس بنفي العامل حصار ، اشراك يهودي في حرث أرض مخزنية ومطالبة الأمين للبحث في هذه الأرض تاريخ 12 صفر 1294هـ موافق 26 / 2 / 1877م — محفظة 34 / 57

وجوابا آخر من الحاجب موسَى بن أحماد لأمناء مرسَى الدار البيضاء حول تشكي الأمناء من ترخيص العامل حصار لأحد المحميين الاسبان بالبناء وما طلبه الأجانب من المساواة وتوفر العامل على اذن شريف لذلك بتاريخ 21 شعبان 1294 موافق 31 / 8 / 1877م — محفظة 34 / 66

ووثيقة أخرى جواب من الحاجب موسَى بن أحماد حول ترخيص العامل حصار بالبناء في الدار البيضاء دون اشراك الطريس واعتبار الاذن لذلك من اختصاصهما معا

بتاريخ 16 شوال 1294هـ موافق 24 / 10 / 1877م — محفظة 34 / 67 .

ورسالة أخرى من الحاجب موسى بن أحماد إلى الأمين الطريس حول نفي العامل حصار احداث اليهود نواويل خارج حارتهم تاريخ 15 صفر 1295هـ موافق 18 / 2 / 1878م ـ محفظة 34 / 81

ووثيقة أخرى جوابا من الحاجب موسى بن أحماد إلى الأمين الطريس حول الحاق العامل حصار أماكن مخزنية بسكناه بتاريخ 7 ربيع الأول 1295هـ موافق 11 / 3 / 1878م ـ محفظة 34 / 85

ووثيقة تتضمن ضغطه على موظفين مع الحكومة واضطرارهما للدخول في حماية الأجانب ولومه على ذلك نصها

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

محبنا الأعز الأرضَى الأمين الحاج محمد الطريس أمنك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله وبعد ،

فقد وصلنا كتابك مبينا فيه ترامي القائد الحاج عبد الله حصار على المكلفين بخدمة المخزن هناك بالدار البيضاء مما حمل الرجلين اللذين سميت على الاحتماء بجنسي الماركان وبلجيك

فاعلم أنا أنهينا ذلك لمولانا المنصور بالله فعاب أيده الله عليه هذا الفعل وأمره بالكف عنه ولامه عليه غاية وعلى المحبة والسلام

في 4 المحرم الحرام فاتح عام 1294هـ
موسَى بن أحمد لطف الله به
19 يناير 1877 - بالمحفظة 34 / 51

وجواب حسني للعامل الطريس حول صدور البحث فيما تم بناؤه بأرض المخزن في الدار البيضاء دون اذن شريف بتاريخ 2 ربيع الثاني 1297هـ موافق 4 / 3 / 1880م ـ محفظة 1 / 12

وجواب من الحاجب موسَى بن أحماد إلى الأمين الطريس بصدور الأمر المولوي بالاحتفاظ بمحمد حصار لاستغلال كراء الدار المخزنية التي كان يشغلها بتاريخ 4 محرم 1294هـ موافق 19 / 1 / 1877م ـ محفظة 34 / 31 (ب)

وأظن أن محمدا هذا هو ولد العامل عبد الله حصار وقد سبق لنا وثيقة بتنفيذ دار له

وجواب من القائد الميلودي إلى الأمين الطريس على الترامي على بعض الأملاك المخزنية في فضالة تاريخ ربيع الأول 1293هـ موافق 31 / 3 / 1896م محفظة 70 / 5 ـ وسيأتي لنا الكلام على القائد الميلودي هذا أنه كان قائدا على مديونة وزناتة

ملاحظـة

هذا بعض ما وقفنا عليه من الوثائق المتعلقة بالأملاك المخزنية بالدار البيضاء بالمكتبة العامة بتطوان .نلاحظ أن تواريخ الوثائق التي أذن بها العامل عبد الله حصار إذا قارناها بتاريخ الانعام عليه من السلطان باشرافه على أمين المستفادات وما هو معين من الأجرة تكون بينهما انصافا الذي تقدم لنا ذكره

مؤرخا بـ 24 ربيع الثاني عام 1295هـ نجد أن تلك المخالفات لم تؤثر في تمتع العامل عبد الله حصار برضى السلطان والحصول على ثقته وقد وقفنا على ظهائر أخرى تتعلق بعمل العامل حصار بالدار البيضاء منها ظهير في استفاء الجزية من يهود الدار البيضاء نصه

خديمنا الأرضى الحاج عبد الله حصار وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد ،

فنأمرك أن تستوفي من يهود أهل الدار البيضاء الجزية هذه السنة المباركة فقد حل أجل قبضها منهم وما قبضته ادفعه لأمين المستفادات هناك على العادة والسلام 15 جمادى الثاني عام 1294هـ الجزء (2) من الاتحاف صحيفة (403)

وما كتبه لنا صديقنا الحميم مؤرخ سلا السيد محمد بن علي الدكالي نسخ من ظهائر نص الأولى بعد سطر الافتتاح

خديمنا الأرضى الحاج عبد الله حصار وفقك الله وسلام الله عليك ورحمة الله وبركاته ، وبعد ،

فقد وصلنا كتابك مهنئا بما منّ الله به من فتوحات ومخبرا بما حصل لك من

الفرح والسرور فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

وقد وصل وفد التهنئة الذي وجهته صحبة ولدكم الطالب محمد أصلحه الله وأدوا الهدية الموجهة معهم كثرة الله خيركم وعوضكم خلفا آمين والسلام

في متم ذي القعدة الحرام عام 1293هـ

وبعده بخط سيدي محمد بن علي الدكالي المذكور

هذا جواب عن كتاب التهنئة بفتح الريف والقبائل التي في قبلة فاس في (26 رمضان عام 1293هـ)

وظهير آخر من النسخة المذكورة بعد سطر الافتتاح

خديمنا الأرضَى الحاج عبد الله حصار أعانك الله وسلام عليك ورحمة الله وبركاته وبعد،

فقد وصلنا كتابك ذكرت فيه أن البناء متشقق وأن بعض الأماكن مفتقرة للاصلاح كتسقيف وترميم وشبه ذلك وطلبت بيان ما يكون عليه عملكم في ذلك وصار ما ذكرته بالبال الذي يكون عليه العمل هو اصلاح ما لابد منه مما ذكرت ما لم يكن فيه احداث بناء والسلام

في 10 جمادَى الأولى عام 1294هـ.

والعامل الحاج عبد الله حصار تقدم لنا تاريخ ولايته عاملا بالدار البيضاء في الثالث والعشرين من ربيع الثاني عام 1293هـ ولم نقف عن انتهاء عمله بالدار البيضاء إلى أن وقفنا على وثيقة من الوثائق المذكورة بمكتبة تطوان

تاريخ 18 جمادَى الثانية عام 1296هـ موافق 9 / 6 / 1879م

تنص على صورتين فتوغرافيتين من كتاب حسي شريف إلى أهالي الدار البيضاء بتعيين الحاج محمد الطريس حاكما عليها ـ محفظة 167 / 15 (أ) (ب)

الشيء الذي يدل على انتهاء ولاية الحاج عبد الله حصار في ذلك التاريخ ولم ندر هل انتهت ولايته بالموت أم بالاعفاء؟

والحاج محمد بن العربي الطريس التطواني هذا ابتدأ عمله بالدار البيضاء كأمين ثم أمين المستفادات ثم عاملا على الدار البيضاء

فتوظيفه لأمين المستفادات يوجد بكتاب حسني شريف إلى أميي مرسى الدار البيضاء بتعيين الطريس أمين المستفادات بتاريخ 21 ذي القعدة عام 1292هـ موافق 19 ــ 12 ــ 1875م

محفظة 165 / 4

وشرع في مزاولة عمله بالدار البيضاء بتاريخ 14 محرم عام 1293هـ موافق 10 / 2 / 1876م على ضوء توجيه أمين الأمناء السيد محمد التازي بالوثيقة والمحفظة 34 / 4 وبقي موظفا إلى أن رغب في الاستقالة وقبل السلطان استقالته حسبما بالوثيقة 28 شوال عام 1293 موافق 16 / 11 / 1876

وخلفه فيها الحاج محمد هارون وتسلمها منه في 26 محرم عام 1294م موافق 10 / 2 / 1877م محفظة 34 / 96

ثم وردت عليه رسالة من الحاجب موسَى بن أحماد بتعيينه أمين المستفادات أيضا بمرسَى الدار البيضاء بدل الحاج محمد هارون بتاريخ 16 رمضان عام 1294هـ موافق 24 / 9 / 1877م محفظة 34 / 63 ثم طلب الاعفاء من المسؤولية وورد عليه جواب من موسَى بن أحماد بعدم امكان الاستجابة لطلب اعفائه من المسؤولية بتاريخ 8 شوال عام 1294هـ موافق 16 / 10 / 1877م محفظة 34 / 65 ثم ورد عليه جواب من الحاجب موسَى بن أحماد بقبول الجلالة الشريفة اعفائه من الخدمة وصدور الأمر المولوي لعامل تطوان بتوجيه خلفٍ له ، بتاريخ 15 ربيع الأول عام 1295هـ موافق 19 / 3 / 1878م محفظة 34 / 87

وإثر ذلك عينه السلطان حاكما على الدار البيضاء حسبما تقدم بتاريخ 1296هـ

ووردت عليه تهنئة من أبناء عمه بتوليته عمالة الدار البيضاء بتاريخ 24 شعبان عام 1296هـ موافق 13 / 8 / 1879م محفظة 70 / 87

وتهنئة أخرى من عائشة الوزاني بتاريخ 22 شوال عام 1296هـ موافق 9 / 10 / 1879م ــ محفظة 90 / 94 .

ومادمنا نتكلم على أمناء المستفادات يجدر بنا أن نلم بالكلام على نظام هذه المستفادات بالدار البيضاء وقبائل الشاوية

المستفادات ما يجب دفعه للحكومة من الرسوم على المبيعات في الأسواق ورحبة الزرع وواجب القوارب في البحر وغير ذلك ويسمَّى المكس

وكان النظام الجاري به العمل بالدار البيضاء فقد كان المكلف بهذه المستفادات أمينان ، السيد بوعزة بن محمد الدكالي ، والطاهر بن محمد الركراكي وقد وقفنا على بعض الوثائق فيها بيان قوائم الباب وما وجب في الشهر والسنة نوع المبيع وما يجب عليها

وبيان ذلك على سبيل المثال في قوائم الباب

نص قائمه

الحمد لله وحده في فاتح ربيع النبوي الأنور عام 1293

بيان ما اجتمع في قوائم الباب

واجب الباب بعد اسقاط الأجور أربعة مثاقل وأوقيتين ونصف	04،24
واجب الفاخر والرماد ثلاثة مثاقل وثمان أواق.................	03،80
واجب الجوطية مثقال واحد وربع أوقية	01،05
واجب قلة الزيت لم يتحصل منه شيء	00،00
واجب العود ثمان أواق وثلاثة أرباع	00،8
واجب المجزرة خمسة مثاقل وأوقيتين........................	05،2
واجب الزرع الذي يدخل الدور ولم يتحصل منه شيء	00،0
واجب البقر والغنم مثقال واحد وثلاث أواق	01،3
يجتمع ستة عشر مثقال وأربع أواق ونصف	16،44

بوعزة بن محمد الدكالي وفقه الله
والطاهر بن محمد الرجراجي وفقه الله
فاتح ربيع الأول عام 1293هـ

وكان العمل جاريا أن كل أمين يدفع ما اجتمع عنده لأمناء مرسى الدار البيضاء

يكتب إلى حاجب السلطان ما دفعه إلى الأمناء وبقي العمل جاريا بهذا النظام إلى ورود الأمر للطريس بأن يدفع المستفادات لأمناء فاس ويذكر الريال في عقود البيع بدل المثقال وذلك بتاريخ 14 صفر 1295هـ

ومن الوثائق التي عثرنا عليها في هذا الشأن أولاهما جواب من الحاجب موسَى ابن أحماد إلى الأمين الطريس في شأن واجب شهر صفر

الحمد لله وحده وصلَّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

محبنا الأعز الأرضَى الأمين الأجل السيد محمد الطريس أمنك الله وسلام عليك ورحمة الله على خير سيدنا أيده الله وبعد ،

فقد وصل كتابك مبينا فيه 4780،555 قدر ما وجهه لك أمناء أسواق قبيلة الشاوية من مستفادها من أيام تصرفهم فيها من صفر الخير على التفصيل المبين في كتابك وعلمنا أنك دفعت ذلك لأمناء المرسَى مع ما تحصل 605815 من مستفادات الدار البيضاء عن شهر صفر الخير الفارط فأطلعنا بذلك شريف علم سيدنا أيده الله وصار بباله الشريف وعلى المحبة والسلام

في 29 ربيع النبوي الأنور عام 1293هـ
موسَى بن أحمد لطف الله به
24 أبريل 1876

ووثيقة أخرى جواب من الحاجب

الحمد لله وحده وصلَّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

محبنا الأعز الأرضى خديم سيدنا الأحظَى الأمين الحاج محمد الطريس أمنك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله وبعد ،

فقد وصلنا كتابك وصحبته حساب مستفادات الدار البيضاء مع ما وجهه لك أمناء أسواق الشاوية عن شهر جمادَى الثانية المتصل الفروط وقدره 8،285 928 بعد اسقاط الصائر.

وانك دفعت الجميع لأمناء المرسَى وقد أنهينا ذلك لعلم مولانا الشريف وصار منه على بال وعلى المحبة والسلام

في 13 شعبان عام 1293هـ
موسَى بن أحمد لطف الله به
3 شتنبر 1876م

وثيقة أخرَى جواب من الحاجب عن شهر ذي الحجة

الحمد لله وحده وصلَّى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

محبنا الأعز الأرضَى أمين مستفادات الدار البيضاء الحاج محمد الطريس أمنك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله وبعد،

فقد وصلنا كتابك وصحبته تقييد مدخول المنافع والمستفادات بالدار البيضاء وتقييد ما وجهه لك عمال الشاوية من مستفادات أسواقها عن شهر ذي الحجة وعرفنا قدره بعد اسقاط الصائر وحل محله وأطلعنا به العلم الشريف وصار من مضمنه على بال وعلى المحبة والسلام

في 11 صفر عام 1295هـ
موسَى بن أحمد لطف الله به
4 فبراير 1878م

وثيقة أخرى جواب من الحاجب عن واجب القعدة

الحمد لله وحده وصلَّى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

محبنا الأعز الأرضَى الأمين محمد الطريس أمنك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله وبعد

فقد وصلنا كتابك وصحبته حساب مستفادات الدار البيضاء مع ما وجهه أمناء أمزاب عن شهر ذي القعدة الحرام وعلمنا 56065 ما تحصل من الوفر في ذلك وحيازة الأمناء بالمرسَى له بعد اسقاط الصائر وأنهينا ذلك لمولانا أيده الله وصار بباله الشريف وعلى المحبة والسلام

في 15 محرم عام 1294هـ
موسَى بن أحمد لطف الله به
30 يناير 1877م

وكان النظام جاريا فيما تحصل من مستفاد أسواق الشاوية بواسطة الأمناء المعينين الذين كانوا يتوجهون للأسواق وما تحل عنهم يدفعونه لأمين المستفادات وهو بدوره يدفعه لأمناء مرسَى الدار البيضاء ويعلم حاجب السلطان موسى بن أحمد ، ثم يجيبه الحاجب وبقي هذا العمل جاريا إلى تاريخ 15 صفر 1295هـ ورد الأمر للطريس بأن يدفع ما تحصل عنده من المستفادات لأمناء فاس على يد عاملها السيد عبد الله بن أحمد

وفي شهر حجة 1294هـ تغير النظام بأن فرضوا أمر المستفادات على عمال الشاوية بحسب خمسين ألف مثقال توزع عليهم بنسبة أهمية الأسواق فكتب أمين الأمناء محمد التازي إلى أمين المستفادات الحاج محمد الطريس بأن النظام تغير وأن السلطان ولى أسواق كل قبيلة لعمالها بخمسين ألف مثقالا في السنة توزع عليهم ابتداء من التاريخ المذكور وبين سعادته ما يجب على كل واحد في الشهر والسنة حسب ما يوجد بالوثيقة نصها

الحمد لله وحده وصلّى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

محبنا الأعز الأرضى وأمين سيدنا المرتضَى السيد الحاج محمد الطريس رعاك الله وسلام عليكم ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله وبعد ،

فإن سيدنا أعزه الله ولى أسواق قبيلة الشاوية لعمالها بخمسين ألف مثقال في السنة ابتداؤها شهر التاريخ وبين دامت سعادته ما يجب على كل واحد في السنة والشهر وأمرهم بتوجيه المشاهرة له عند انصرام الشهر وجعل أيده الله الأشراف للسيد عبد السلام بن رشيد على الزيايدة وبنَى وراكما جعل الأشراف للسيد الشرقي المزابي على أولاد مَحمد فيكون كلامك مع العاملين المذكورين حسبما ورد له ذلك من شريف الحضرة مبينا وقد كتبنا لجميع الأمناء يرجعون لمحالهم بعد أن بينا لهم ابتداء تصرف العمال وأن يوجهوا لك ما تحصل في ذي القعدة الفارط وقد وصلنا كتابك بما أجابك به القائد الداودي من أنّ سيدنا حط عنه شيئا، ولم يبين قدره وأنه كتب لخليفته يوجه له ما بذمته من رجب فالذي يكون عليه العمل هو أن تكتب للفقيه رعاه الله بأن القائد الداودي ترتب بذمته واجب سوق ايالته عن 5 أشهر أولها

رجب من سوم خمسة آلاف مثقال في السنة وكتبنا لك مرارا ليوجه الواجب المذكور فلم يوجه شيئا وعليه فبينوا لنا ما يكون عليه عمليا في واجب الأشهر المذكورة هل يقبض عن حساب خمسة آلاف مثقال في السنة أو بحساب 23809 ما نابه من جملة العمال وأما واجب جمادى الأخيرة يبقي مرفوعاً حتَّى يتبين هل تصرف فيه العامل أو الأمين

وكنت قبل استفهمت عن تمنع الحمايات من الزيايدة في الكراء وعدم خروجهم بذلك على مقتضَى الشروط وإذا ورد عليك الجواب في قضية الدكالي فاعلمنا وكذلك إذا كتبت في قضية الداودي وإذاك الجواب اعلمنا بذلك واجبنا عن وصول هذا إليك ويسلم عليكم الأخ السيد عبد السلام والسيد الطاهر وعلى المحبة والسلام

في منم حجة 1295هـ/ 12 دجنبر 1877م
محمد التازي لطف الله به
بالمحفظة 35 / 17 المكتبة العامة بتطوان

ولما وصلت هذه الرسالة إلى الطريس كتب هذا الأخير إلى الأمناء المكلفين بقبض المستفادات من أسواق الشاوية بأن يرجعوا من مهامهم ويدفعوا ما بيدهم من الحسابات فامتثلوا ودفع كل واحد ما بيده من الحساب حسب ما يوجد بالنسخ من الوثائق الآتية التي عثرنا عليها وكتب إلى العمال يخبرهم بالنظام الجديد فأجاب كل عامل بما سيذكر في الوثائق الآتية

جواب المعطي بن الكبير العامل على قبيلة المزامزة بسطات

الحمد لله وحده وصلَّى وسلم على سيدنا محمد وآله

محبنا الأعز الأحظَى وأمين سيدنا المرتضَى الحاج محمد الطريس سلام عليك ورحمة الله وبركاته عن خير مولانا المنصور بالله وبعد ،

فإن مولانا أيده الله أمرني بدفع مستفاد سوقي إيالتنا مزامزة وكدانة وهو مائة مثقالا وسبعة وتسعون مثقالا وسبع أواق من كل شهر إليك وعليه فيصلك عن شهر ذي الحجة الحرام الفارط مواليا شهر تاريخه هذا العدد المستفاد من السوقين

المذكورين وهو 2977 فأجبني عن وصوله إليك فلوسا وعلى المحبة والسلام
ويصلك الكتاب الشريف طالعه ورده إلي

في 3 محرم الحرام عام 1295هـ
خديم المقام العالي بالله الحاج المعطي بن عبد الكبير أمنه الله
3 محرم 1295هـ / 7 يناير 1878م
المحفظة 70 / 42

وأجاب عامل أولاد حريز والمذاكرة وأولاد علي السيد عبد السلام بن محمد برشيد بالوثيقة التالية نصها

الحمد لله وحده وصلَّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

محبنا الأرضَى وخديم سيدنا الأحظَى أمين المستفادات بالدار البيضاء السيد محمد الطريس سلام عليك ورحمة الله وبركاته من خير مولانا نصره الله وبعد ،

فيصلك صحبة حملته أصحابنا ستمائة مثقال وأربعة وتسعون مثقالا وخمسة أواق الواجبة علينا في مستفادات أسواقنا في شهر ذي الحجة الحرام متم عام 1294هـ وقد كتبنا لعمال الزيايدة في شأن ما عليهم وحين يأتي واجبهم نوجهه إليك بحول الله وقوته وبيان السكة بطرته وعلى المحبة والسلام

في 3 محرم الحرام فاتح عام 1295هـ
خديم المقام العالي بالله عبد السلام بن محمد بن رشيد وفقه الله
المحفظة 79 / 41

ولما كان السيد عبد السلام بن محمد بن الرشيد المذكور مكلفا بما يجب على قبيلة الزيايدة وبني ورا من مستفادات أسواقهم وبعث لهم عن واجب شهر الحجة مائة وتسعة وأربعين ريالا وراجعوه عن بقية الواجب بعث لهم بهذه الوثيقة التالية

الحمد لله وحده وصلَّى الله على سيدنا محمد وآله

محبنا الأرضى سيد مولانا الأحظَى السيد محمد الطريس سلام عليك ورحمة الله بوجود مولانا نصره الله . وبعد ،

وصلنا كتابك جوابا عما وجهناه إليك من مستفادات أسواق عمال الزيايدة (149) مائة وتسعة وأربعون ريالا وقلت انها خصت مها ثلاثة وعشرون مثقالا فهاهي تأتيك صحبة حامله وبه وجب الاعلام وعلى المحبة والسلام

في 24 صفر عام 1295هـ
عبد السلام بن محمد وفقه الله
27 يناير 1876م / بالمحفظة 128/ 9

وأجاب عامل أولاد زيان السيد عبد السلام بن مشيش بالوثيقة التالية نصها

الحمد لله وحده وصلَّى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

أمناء سيدنا الذين بثغر الدار البيضاء أمنكم الله وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته عن خير مولانا نصره الله وبعد ،

فإن مولانا أعزه الله أمرنا بدفع ما استفدناه من سوقنا في قبض ما
660 أمرنا بقبضه منه من الأنكاس لكم فيصل ما بالطرة على هذا الشهر الماضي
ذي الحجة ووجهوا لنا الجواب على ما وصلكم وعلى المحبة والسلام

في 12 المحرم فاتح سنة 1295هـ/ 14 يناير 1873م
عبد السلام بن مشيش وفقه الله
المحفظة 96 / 10

ثم شفعه بكتاب آخر نصه

الحمد لله وحده وصلَّى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

محبنا الأبر الأود الأرضَى أمين مولانا السيد محمد الطريس أمنك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته عن خير مولانا نصره الله وبعد ،

فيصلك ابن عمنا الحامل فاقبل منه ما هو بيده من النكس الموظف علينا من قبل مولانا نصره الله وما بقي يصلك في الاثر إن شاء الله وعلى المحبة والسلام

في 1 صفر الخير عام 1295هـ
عبد السلام بن محمد بن مشيش وفقه الله
المحفظة 128 / 1

·وجواب عامل مديونة وزناتة السيد الميلودي بن محمد بالوثيقة التالية ، نصها

الحمد لله وحده وصلَّى الله على سيدنا محمد وآله

محبنا الأعز الأرضَى سيدنا المرتضَى السيد محمد الطريس أمنك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير سيدنا نصره الله وبعد ،

وصلنا كتابك مبينا وشارحا ما صدر به الأمر الشريف أعزه الله بأنه أيده الله جعل مستفادات أسواق الشاوية في اسم عمّالها بخمسين ألف مثقال في السنة وهم يتصرفون في ذلك لأنفسهم وقسط ذلك على جميع الأسواق وبين لكم أيده الله ما يجب لكل واحد في السنة والشهر مفصلا وأمركم بجوز ما ينوب كل واحد مشاهرة من غير تأخير شهر لشهر الفارط ونابنا في وسطهم على أسواق إيالتنا ثلاثمائة مثقال وتسعة وتسعون مثقالا وتسع أواق في الشهر وأول المدة شهر حجة الفارق وقد آن انصرام شهر التاريخ وطلبتم منا توجيه ذلك الكل علمناه وصار بالبال وسيصلك ذلك يوم الجمعة الآتية إن شاء الله وعلى المحبة والسلام

في 22 محرم الحرام عام 1295هـ
بالمحفظة 70 / 45
الميلودي بن محمد لطف الله به

وجواب عامل قبيلة أولاد سعيد السيد بوشعيب بن الحاج بالوثيقة التالية نصها

الحمد لله وحده وصلَّى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

محبنا الأرضى أمين سيدنا الأسعد الأحظَى أمين المستفادات بالدار البيضاء أمنك الله ورعاك وسلام عليك ورحمة الله وبركاته عن خير مولانا نصره الله وأدام عزه وعلاه وبعد ،

فغير خاف عنك أن سيدنا المنصور بالله أمرنا عمال الشاوية بقبض المستفادات من أسواق أيالتنا من أول شهر ذي الحجة الحرام آخر سنة 1294هـ بعد أن عين على كل عامل ما ينوبه في كل شهر منها فمن جملة ذلك عين علينا أربعمائة مثقال وستة وتسعون مثقالا وأمرنا أيده الله أن ندفعها إليك عند تمام كل شهر وعليه فهاهي تصلك صحبة حامله الحاج الجيلالي بن الدغوغي عن شهر الله ذي الحجة الحرام

المذكور كما قدرها بالطرة وبه وجب الاعلام اعاننا وإياك على خدمة سيدنا نصره الله (مثاقيل 496)

12 محرم الحرام عام 1295هـ / المحفظة 96 / 4
خديم المقام العالي بالله بوشعيب بن الحاج
الجيلالي أمنه الله

وأجاب عامل مزاب السيد الشرقي بن محمد بالوثيقة التالية

الحمد لله وحده وصلّى الله على سيدنا محمد وآله

محبنا وأعز الناس علينا أخص أمناء سيدنا الحاج محمد الطريس أعانك الله ورعاك وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته عن غير مولانا نصره الله وأدام علاه وبعد ،

يرد على جانبك مستفاد هذا الشهر من جانب ايالتنا حسبما هو مقرر في الأذهان وقد حسبنا على ما كان فضل قبل من مستفاد الشهر الفارط وأما أولاد مَحمد لازالوا كما هم عليه حسبما قدمنا لك الاعلام وانهم ما وجهوا لنا شيئا مما بقي عليهم وبه اعلامك وعلى المحبة والسلام

في 5 صفر الخير عام 1295هـ / 8 فبراير 1878م
الشرقي بن محمد وفقه الله
بالمحفظة 70 / 53

ووجد بالوثائق جواب الشرقي بن محمد للحاج محمد الطريس الذي ظن أنه مكلف بما يجب على السيد عبد الله بن حماني المعروفي والواقع أنه مكلف بما يجب على أولاد مَحمد فقط حسبما ما تقدم في كتاب أمين الأمناء السيد محمد التازي أجاب القائد السيد الشرقي بن محمد بالجواب التالي

الحمد لله وحده وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

محبنا الأرضَى الأمين الأبر المرتضَى الحاج محمد الطريس أمنك الله ورعاك وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته عن خير مولانا نصره الله وبعد

ورد علينا كتابك مخبرا بما وجب على السيد عبد الله بن حماني المعروفي في مستفاد

السوق بايالته بأن نوجهه لكونه بلغك أنا تولينا عليها وقدره تسعة وتسعون مثقالا وأوقيتان في كل شهر وكذا مستفاد أسواق أولاد محمد أن دفعوا لنا الخ فاعلم بأن الكلام لما وقع بين العمال على عدد الأسواق في دار المخزن ونحن بالحركة فتبث على أولاد محمد مستفاد سوقين وثبت على السيد عبد الله مستفاد سوق واحدة لكونه صغيرا وهذا الأيام لم يبق فيه نفع ولا كبير فائدة وأما أولاد مَحمد فانتظرناهم حيث ورد عليهم الاذن الشريف بأن يدفعوا على يدنا مستفاد أسواقهم فلم يظهر لنا مهم شيء وسنكتب لهم فإذا يسر الله مهم فيصلك بحول الله والا نعلمك بالحال وبه اعلامك وعلى المحبة والسلام

في 28 محرم الحرام عام 1295هـ
الشرقي بن محمد وفقه الله
المحفظة 76 / 47 / 26 محرم 1295هـ

وأجاب قائد قبيلة الخزازرة السيد بوعزة بن الحاج الخزاري بالوثيقة التالية

الحمد لله وحده وصلّى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

محبنا الأمين الأرضَى وخديم سيدنا الأبر المرتضَى السيد محمد الطريس سلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته بوجود مولانا نصره الله وبعد ،

وصل كتابك وعلمنا مضمن خطابك من توجيه ما ألزمنا سيدنا من مستفاد الأسواق وأمره لك بقبضه منهم على السمع والطاعة فها هو يصلك في اثر الكتاب إن شاء الله وعلى المحبة والسلام

في متم محرم فاتح 1295هـ
المحفظة 70 / 49
بوعزة بن الحاج الخزاري الله وليه

وبعد ذلك بعث للطريس واجب مستفاد شهرين الحجة والمحرم 1295هـ حسبما بالرسالة التالية

الحمد لله وحده وصلّى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

محبنا الأمين الأرضَى السيد محمد الطريس سلام عليك ورحمة الله بوجود مولانا نصره الله . وبعد ،

فتصلك مائتا مثقال 1984 تثنية سوَى ستة عشر أو قيمة واجب ذي الحجة والمحرّم من مستفاد سوقنا حسبما كنت ذكرت لنا في كتابك وعلى محبتك والسلام

في 3 صفر الخير عام 1295هـ
المحفظة 70 / 53
بوعزة بن الحاج الخزاري الله وليه

وجواب القائد السيد محمد ابن الشيخ الزيراوي قائد قبيلة أولاد بوزيري نصه

الحمد لله وحده وصلّى الله على سيدنا محمد وآله

محبنا الأعز الأجل الأرضَى أمين سيدنا على المستفادات بالدار البيضاء أمنك الله ورعاك بمنه وكرمه وسلام عليك ورحمة الله وبركاته عن خير مولانا أيده الله ونصره وأدام لنا عزه وعلاه وبعد ،

فقد وجهنا لك صحبة كتابنا هذا مائتي مثقال بالتثنية سوَى ستة عشر وقية مستفاد سوقنا على الشهر الماضي وهو ذو الحجة متم عام 90 وذلك ما يجب علينا فيه حسبما هو مقرر لك ولنا عن أمر مولانا أيده الله فأجبنا عن وصول ذلك إليك وابراء ذمتنا منه بارك الله فيك وفي عقبك وعلى المحبة التامة والسلام

في محرم الحرام فاتح عام 1295هـ
بالمحفظة 96 / 8
خديم المقام العالي بالله محمد ابن الشيخ الزراوي وفقه الله

أما المرتب على القائد السيد محمد الداودي قائد أولاد سيدي بنداوود فيظهر من الوثائق التي عثرنا عليها أنه كان ترتب بذمته من مستفاد سوق قبيلته واجب خمسة أشهر قبل النظام الجديد أولها رجب عام 1294هـ وآخرها قعدة

وبعث له الطريس رسالة يحضه فيها على ارسالها فاجابه بكتاب مؤرخ 3 قعدة 1294هـ بأن الواجب عليه هو أربعة أشهر فقط وواجب الشهر الخامس كان قبضه الحاج المعطي وسبب تأخره لأداء واجب أربعة أشهر أنه كان يشتكي على السلطان ليحط عليه منها ومن آداب الطريس انه كتب إلى القائد المعطي يطلب منه أن يبعث إلى القائد الداودي لارسال واجب خمسة أشهر آخرها قعدة ولم يعلمه بجواب

القائد الداودي ثم بعث القائد الداودي رسالة إلى الطريس بجواب مؤرخة بـ 3 محرم بانه بعث له مائة ريال مع الحَاج محمد هارون من واجب ما بذمته من الأشهر الأربعة المذكورة

وتأخر جواب القائد المعطي للطريس إلى تاريخ 13 محرم 1295هـ

وإلى القارئ نص الرسالة الأولى التي بعث بها القائد محمد الداودي كجواب للطريس

الحمد لله وحده وصلّى الله على سيدنا محمد وآله

محبنا الأعز الأرضَى وخديم سيدنا المرتضَى الأمين الحاج محمد الطريس وفقك الله ورعاك وسلام عليك ورحمة الله وبركاته عن خير مولانا نصره الله وبعد ،

قرأت كتابك الأعز وما فيه صار بالبال على أن نوجه لديك المستفاد من الثمن كذا الذي ذكرت في كتابك العزيز على خمسة أشهر الفارطة التاريخ وعليه وأن ذلك أربعة أشهر لا غير لأن الشهر الخامس قبضه الحاج المعطي كاملا وقبض من الشهر الرابع سوقا واحدا والله على ما نقول وكيل وعدم توجه ذلك لديك كنت أشتكي على سيدنا نصره الله من ثقل ذلك حتّى جعل الله خيرا فالحمد لله على خاطر سيدنا نصره الله وعليه ها أنا كتبت لأخ يوجه المستفاد لديك في الأشهر الماضية ونحن على الخدمة المولوية والمحبة الكافية والسلام

في 3 ذي القعدة عام 1294هـ
بالمحفظة 74 / 40 (ب)
محمد بن داوود الداودي وفقه الله

ونص الرسالة الثانية للقائد الداودي

الحمد لله وحده وصلّى الله على سيدنا محمد وآله

محبنا الأعز الأرضَى الأمين المرتضَى الحاج محمد الطريس سلام عليك ورحمة الله وبركاته عن خير مولانا نصره الله وبعد

تصلك مائة ريالا من المستفاد الفارط في الأشهر الأربعة المتقدمة ذكرهم مع الحاج محمد هارون وهي ستة مائة مثاقيل وثلاثون مثقالا على حسب الريال ستة

مثاقيل وثلاثة أواق لكل ريال كما تقدم وتصلك أيضا مائة مثقالا وثمانية وتسعون مثقالا وأربعة أواق مما وجب علي في كل شهر بأمر سيدنا نصره الله في وسط الشاوية من حين توليتك على ذلك في ذي الحجة وما بقي علي في الأشهر المتقدمة ذكرهم يأتيك في أثره إن شاء الله وعليه فإن مائة ريال في الأشهر المتقدمة يوجهها ومائة مثقالا وتسعون مثقال وأربعة أواق فلوس في شهر ذي الحجة كما في علمك وعلى محبتك المودة والسلام

في 3 محرم الحرام 1294هـ / بالمحفظة 86 / 1
محمد بن داوود الداودي وفقه الله

ونص الرسالة الثالثة التي بعث بها القائد المعطي جوابا للطريس

الحمد لله وحده وصلّى الله على سيدنا محمد وآله

محبنا الأعز الأرضَى وأمين سيدنا الأحظى السيد الحاج محمد الطريس أمنك الله وسلام عليك ورحمة الله وبركاته عن خير مولانا المنصور بالله وبعد ،

فقد وصلني كتابك معلما فيه ما تخلد بذمة القائد السيد محمد بن داوود الداودي من مستفاد سوق إيالته وأنه تراخَى في توجيهه مع تكرار الكتابة منك إليه وطلبت منا الكتب إليه بالتأكيد عليه في شأنه والقيام على ساق الجد في توجيه ما بذمته منه لتحصل له الاستراحة من تبعته فقد كتبت له بذلك وما قصرت عليه من التحضيص والحزم وتوجه له واحد من أبناء عمنا بكتابنا وأوصيته بمشافهته فيه زيادة على ما كتبت له به فأجاب بما تطالعه في كتابه طيه ففيه كفاية ويد سيدنا والحمد لله باسطةٌ على الجميع وسطوته قاهرة لكل أحد من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وبه وجب الاعلام وعلى المحبة والسلام

في 13 محرم الحرام عام 1295هـ / المحفظة 30 / 2
الحاج المعطي بن الكبير أمنه الله

جواب علي بن حجاج قائد أولاد بني عريف بامزاب نصه

الحمد لله وحده وصلّى الله على سيدنا محمد وآله

محبنا الأبر الأرضَى وخديم سيدنا الأمين الأحظَى السيد الحاج محمد الطريس

سلام عليك ورحمة الله وبركاته عن خير مولانا أيده الله وبعد ،

فاعلم رعاك الله بأنه نابنا فيما وجب علينا في مستفاد السوق عن الشهرين الماضيين تسعة وتسعون مثقالا ودرهمان

وقد أمرنا مولانا حفظه الله بدفع ذلك إليك شهرا شهرا إلى آخر السنة بحول الله وعليه فها العدة المذكورة تصلك إن شاء الله مع الحامل وفي إشارة سيدنا أعزه الله ومتعنا جميعا برضاه وبه الاعلام وعلى المحبة والسلام

في 6 صفر الخير عام 1295هـ / بالمحفظة 128 / 6
علي بن حجاج العريفي أمنه الله

ولما كان السيد عبد السلام بن محمد برشيد قائد أولاد حريز مكلفا بما ينوب الزبايدة وبني ورى بعث الرسالة التالية نصها

الحمد لله وحده وصلّى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

محبنا الأرضى أمين مولانا الأحظَى السيد مَحمد الطريس أمنك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله وبعد ،

فيصلك صحبة حامله صاحبنا أربعة وعشرون ريالا 24 ومثقالا 20 وجهها خديم مولانا القائد بوعزة الطرفاوي من مستفادات سوقه عن شهرين ذي الحجة ومحرم الحرام الماضيين المواليين وبه وجب اعلامك وعلى المحبة والسلام

في 22 صفر الخير عام 1295هـ
عبد السلام بن محمد برشيد وفقه الله

وبما أن المخزن الشريف الذي كان يتقاضَى رواتب المستفادات على حسب ما تقدم كان أيضا يتقاضى واجب العشور من المزروعات الفلاحية وما تحصل منها يبقَى مؤمنا عند بعض العمال المخلصين حتَّى يصدر الأمر من السلطان ببعث عرابين من القمح والشعير من وزير الخارجية السيد محمد بن العربي الطريس ويباع بأسواق أوربا بواسطة التاجر بطري الطلياني فقد وقفنا على ظهيرين شريفين في الموضوع الأول منهما مبعوث لأمناء مرسَى الدار البيضاء نصه

الحمد لله وحده وصلَّى الله على سيدنا محمد وآله

الطابع الشريف بداخله الحسن بن محمد الله وليه

خدامنا الأرضين أمناء الدار البيضاء المحروسة بالله وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله وبعد ،

فقد أمرنا الخديم الطريس بأن يوجه لكم عربونين من قمح الاعشار والشعير المخزونين تحت يد الخديمين ابن رشيد والمزابي ويوجه نظيرهما لها وكذا أمرناهما بأن يوجها لكم ما كان مماثلا للعربونين المشار لها من القمح والشعير المذكورين فنأمركم أن تقفوا في تصفيته ووسقه على يد أميني السكة بطنجة للتاجر بطري الطلياني ببيعه على يده ببر النصارَى فقد كلفناهما بمباشرة أمر وسقه له معكم فليكن كلامكم معهما فيه كما كلفناهما بمباشرة أمره معه ليكون كلامه معهما في مصارفته فيما يوسق له من ذلك وفي حيازة ثمنه إذا باعه والسلام

في إحدَى جمادي الأولى عام 1310هـ
محفظة 11 / 55

ونص الثاني مبعوث إلى القائد السيد عبد السلام بن رشيد ونصه

الحمد لله وحده وصلَّى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

الطابع الشريف بداخله الحسن بن محمد الله وليه

خديمنا الأرضَى القائد عبد السلام بن الرشيد وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد ،

فقد أمرنا الخديم الطريس بأن يوجه لك ما اختير للوسق لبر النصارَى من عربون قمح الاعشار المخزون تحت يدك الذي وجهته له فإذا وجهه لك فنأمرك أن توجه لأمناء مرسَى الدار البيضاء ما كان مماثلا له من القمح المشار إليه بقصد وسقه للمحل المذكور وبيعه به على يد التاجر بيطري الطلياني وعجل بذلك والسلام

في إحدَى جمادَى الأولى عام 1310هـ
محفظة 11 / 56

والمراد بالخديم المزابي هو القائد السيد محمد بن أحمد

انعام ومكافأة

في سنة 1298هـ موافق 1881م وردت على مرسى الدار البيضاء باخرة فرنسية فصادفت البحر هائجا وبسبب عتو الأمواج أشرفت الباخرة على الغرق فأشعر بذلك عامل الدار البيضاء الحاج محمد بن العربي الطريس فهب لانقاذها واستنفر لذلك بحارين من بحارة مرسَى الدار البيضاء فغامر البحارة بأصحابهم حتَّى خلصوا بحارة السفينة من الغرق فاعلم قنصل الدار البيضاء وزير الخارجية بفرنسا بذلك وأعلم هذا الأخير البريزدان فارسل البريزدان للعامل وساما من الذهب وللبحارين أوسمة من فضة فكتب البريزدان في تاريخه يشكر السلطان مولاي الحسن نص الظهير جوابا للسيد أحمد بركاش

خديمنا الأرضَى الطالب محمد بركاش وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعده

وصل كتابك بأن نائب الفرنسيس كتب لك بأن وزير الأمور البرانية بدولته أخبر البريزدان بما صدر من عامل الدار البيضاء وكبيري مرساها من الاعتناء والوقوف في انقاذ بحرية البابور الفرنسيس الذي حرث من الغرق

فوجه البريزدان المذكور نيشانا من الذهب للعامل المذكور ونشانين من فضة لكبيري المرسى مجازاة على ذلك حسبما في كتابه الذي وجهت مع نسخة مما أجبته به وصار ذلك بالبال وها النياشين المذكورين تصلك فادفعها لهم والسلام

في 19 حجة 1298هـ
بالاتحاف لابن زيدان

والظهير الذي نقله لنا ابن زيدان المخبر بانقاذ السفينة من الغرق بمرسى الدار البيضاء لم يبين لنا فيه اسم العامل ولا اسم البحارة وقد عثرنا على أسمائهم بالمكتبة العامة والمخطوطات بتطوان

فوثيقة الشرف الممنوحة من الوزارة الفرنسية البحرية إلى العامل بتاريخ 21 شعبان 1298هـ موافق 9 ـ 7 ـ 1881م

والبحاران المنقذان للسفينة من الغرق هما الحاج علي القرواني ووثيقة الشرف

الممنوحة له بالمحفظة 41ــ 1 تاريخ 21 شعبان 1298هـ موافق 19ــ 7ــ 1881م

والبحار الثاني هو الرئيس الحريزي

ووثيقة وسام الشرف الممنوحة من الوزارة البحرية الفرنسية إلى البحار المغربي الحريزي بالمحفظة 41 / 2 في 21 شعبان 1298هـ

ومن الانعامات التي عثرنا عليها بمكتبة تطوان كتاب حسني شريف إلى العامل الطريس بالانعام عليه بمبلغ مالي وعلى ولديه بكسوة في زفافهما

بالمحفظة 1 / 23 بتاريخ 21 جمادى 1300هـ موافق 30ــ 3ــ 1883م

ووثيقة أخرى مؤرخة في 12 جمادَى الثانية 1294هـ موافق 24ــ 6ــ 1877م بانعام مولوي على ملك اسبانيا بقطعة أرض بالدار البيضاء لاقامة كنيسة بمحفظة 118 / 4 تقدم ذكرها

وكتاب حسني شريف إلى العامل الطريس بتخصيص دار مخزنية لسكنَى نقيب الشرفاء العلويين بالدار البيضاء وهو السيد محمد بن الطاهر بتاريخ جمادَى الثانية 1296هـ موافق 20ــ 6ــ 1879مــ محفظة 1 / 9

وجواب من الحاجب موسى بن أحمد إلى الأمين الطريسْ عن صدور الأمر المولوي بافراغ دار طلبها لسكناه بتاريخ 13 محرم عام 1293 موافق 9 / 2 / 1876مــ محفظة 34 / 3

منع البناء على شاطئ البحر وما ترتب عنه

لما كان البناء ممنوعا على شاطئ البحر تجرأ أحد المواطنين من قبيلة مديونية تحت حماية الاسبان صهرا لعامل مديونة فبنَى دارا بالساحل بأولاد جرار قرب الدار البيضاء وقفنا على ظهير نقله ابن زيدان يتضمن أمره بهدم ذلك البناء

نص الظهير

خديمنا الأرضَى الطالب محمد بركاش وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته . وبعد .

فقد بلغ لعلمنا الشريف أن رجلا مديونيا صهرا لعامل مديونة تجرأ فبدا له فابتنَى قصرا وبداخله دار بالساحل بأولاد جرار قرب مرسَى هنالك بينها وبينه نحو ربع ساعة وبينهما وبين مرسَى الدار البيضاء ثلاث ساعات

وحيث كان البناء في ذلك المحل لم يعهد من أحد ويحصل منه الاضرار بالمرسى من وجوه لا تخفاك مع كون الساحل محرما لا يشغل ببناء ولا بنزول ولا بنحو ذلك حسبما هو معروف عند كل أحد فأصدرنا أمرنا الشريف بهدم ذلك البناء واعفاء أثره ثم ذكِر لنا أن ذلك الصهر له مخالطة مع قنصل اسبانيا بالدار البيضاء فكتبنا لخليفة العامل فيما يعرض من الكلام مع ذلك القنصل وأعلمناك لتكون على بال وتتكلم مع الباشدور هنالك في القضية والسلام

في 29 محرم عام 1299هـ

والظهير الذي نقله ابن زيدان المذكور لم يبين فيه اسم العامل وقد عثرنا على ظهير آخر بالمكتبة العامة بتطوان مبينا فيه اسم العامل وأنه عبد الله المديوني نصه

بعد الحمدلة والتصلية على رسول الله ﷺ

والطابع الشريف الحسن بن محمد الله وليه

خديمنا الأرضَى القائد عبد الله المديوني وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبركاته وبعد،

فقد بلغ لعلمنا الشريف أنك الان لم تمتثل ما أمرناك به من هدم ما بناه صهرك افتياتا واعفاء أثره وعليه فإن تماديت على ذلك فلا تلومن إلا نفسك والسلام

في 26 محرم عام 1299هـ

وقد عثرنا على وثيقة بالمكتبة العامة والمحفوظات بتطوان وهي رسم عدلي حول تكليف الجلالة الشريفة عبد السلام غرسية بتعيين وتحديد الدور والعزائب الساحلية الواقعة بين الجديدة والرباط بتاريخ أواخر ربيع الأول 1299هـ موافق 2 سنة 1882م

المحفظة 117 / 61 — أظنها من أجل منع البناء على الساحل والعامل الطريس بقي عاملا على الدار البيضاء في تاريخ 15 ربيع النبوي 1300هـ فطلب من

السلطان اعفاءه من الخدمة من أجل ضعف قوته وضيق صدره فأعفاه

وقفنا على ظهير شريف باعفائه وتعويضه بالحاج العربي بريشة نص الظهير

الحمد لله وحده وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

الطابع الشريف بداخله الحسن بن محمد الله وليه

خديمنا الأرضَى الحاج محمد الطريس وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد ،

فمنذ كتبت لجانبنا العالي بالله بضعف قوتك وضيق صدرك وعجزك وطلبت اعفاءك من الخدمة لأجل ذلك ولما شرحته من حال منهم إلى نظرك وأجبناك بأننا قبلنا عذرك وعما قريب توجه لمحلك بقصد الاستراحة وبأنك عندنا في مقام الخدمة ونحن ننظر من يصلح للخدمة في محلك إلى أن شرح الله صدرنا لخديمنا الأنجد الحاج العربي بريشة وهانحن وجهناك بقصدها وعليه فتوجه لمحلك شابا مأجورا تستريح به حتّى نعين لك الخدمة التي انك بصددها بحول الله والسلام

في 26 ربيع النبوي عام 1300هـ

تولية الحاج العربي بريشة
خلفا عن محمد بن العربي الطريس

ولما تولى الحاج العربي بريشة عمالة الدار البيضاء كان في ذلك الوقت بعض العدول من الحاضرة والبادية يتهاونون في الشهادة بعمارة ذمم بديون خيالية تترتب عنها تفويت أملاك وعقارات من بعض المغفلين افتياتا ووقع بذلك ضرر كبير على الناس فوقفنا على ظهير شريف من السلطان مولانا الحسن الأول للعامل الحاج العربي بريشة يأمره فيه بالقيام على ساق الجد في فتق ذلك الرتق في الضرب على يد بعض العدول الذين يفسدون ولا يصلحون ونص الظهير الشريف

الحمد لله وحده وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

الطابع الشريف بداخله ــ الحسن بن محمد الله وليه ومولاه



صورة الحاج محمد بن العربي الطريس .

خديمنا الأرضَى الحاج العربي بريشة وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد ،

وصل جوابك عما كتبنا إليك في شأن تفويت الأملاك والبلادات والرباع بالبيع من غير موجب كتساهل العدول في الشهادة في ذلك بأنك شمرت عن ساعد الحزم للتصدي لتنفيذ ما أمرناك به في ذلك وألفيت خرق تفويت الأملاك أتسع في المدينة فضلا عن البادية بعدم مبالاة العدول وبلغك أن عمال البادية يشتكون من عدول ذلك الثغر بكونهم يعمرون ذمم أناس من القبائل لبعض تجار الأجناس تسترا من المخزن بعد اطلاعهم على أن تلك المعاملة لا حقيقة لها هي عمل باليد بدليل أن بعض التجار كان له على البعض العدد الكثير فصولح بما تبث من القليل ونشأ بذلك الضرر للعمال بكثرة القيل والقال مع تجار الأجناس وقناصلهم وشهادة عدول البادية يلزمكم الحكم بها في الحاضرة لخطاب القضاة عليها رغم ما سطرته وصار بالبال أما خرق تفويت الأملاك الذي ذكرت أنك الفيته اتسع في المدينة فضلا عن البادية بما بيناه لك من أن الأملاك والبلادات والرباع التي مات المتصرفون فيها ولم يتركوا وارثا وصارت لبيت المال وترومي عليها وفوتت بالبيع افتياتا بدون موجب تحاز لبيت المال والتي تبث ملكها للمتصرف فيها بالشروط الشرعية واضطر لبيعها بالخصاصة الناشئة عن شدة المحل والقحط وفوتها بموجب بأبخس ثمن سواء كان ممن إلى نظرك أو إلى نظر القبائل المجاورة للمرسَى تشترى بجانب بيت المال على يدك ويد أمناء المرسَى فامض على ذلك في تلافي الخرقين وقد أخبر نائب القاضي هنالك أنه قصر الاشهاد في بيعها على اثنين من عدول العدوتين تمه وألزمها المشورة في الاقدام على ذلك وأما ما تشكي به عدول البادية من عدول الثغر فلا يستغرب من هؤلاء العدول وكم لهم من نظير وهم مفاتيح أبواب الفساد الواقع في المعاملات وغيرها ولولاهم ما وجدت العامة وغيرها سبيلا لارتكاب ذلك

وقد أمرنا نائب القاضي بدرء هذه المفاسد الواقعة فيما ذكر بالبحث في العدول المشتغلين بذلك تمه سواء من عدوله أو عدول البادية وعزلهم عن الشهادة أصلا وتعزيرهم وانتخاب عدول تقاة مرضيين للشهادة في المعاملات وكل ما يرجع لتعمير الذمم بموافقتك وموافقته وموافقة أعيان البلد كما هو فعلنا بمراكش ومن وقع اختياركم عليه وارتضيتموه لذلك يعدلهم ويقصر الشهادة عليهم فيما ذكر زيادة على

العدلين اللذين عينهما للشهادة في الأملاك والعقار

وأما عدول البادية الذين نصبهم قضاتها ولا حكم لنائب قاضي الثغر عليهم فهانحن أمرنا قضاتهم بمنعهم من الشهادة في بيع الأملاك والعقار وفي المعاملات والمخالطات وكل ما يرجع لتعمير الذمم وقصرهم على غير ذلك من أنواع الشهادة وتوعدناهم بالعقوبة ان عثر فيما يستقبل على رسم متضمن لشهادة عدولهم في ذلك وعليه خطابهم وأعلمناهم بأننا أمرنا قضاة المراسي وعمالها بتعيين عدول تقاة مرضيين من أهلها للشهادة في ذلك وقصرها عليهم وبأن من باع من قبائلهم ملكا أو عقارا أو تعامل أو تخالط يتوجه للمرسَى المجاورة لقبيلته ويتشاهد في ذلك مع صاحبه عند العدول المعينين هنا للاشهاد فيه وكتبنا لعمالهم بمثل هذا فكن على بال من ذلك وان عثرت بعد على رسم متضمن لشهادة عدولهم في ذلك وعليه خطاب قضاتهم فلا تعمل به ووجهه لحضرتنا الشريفة وقد أمرنا نائب القاضي بهذا وبأن يطرد من كان منهم بالثغر المذكور ملموزا ولو لم يكن من عدوله ويرفع يد من لم يرتضه منهم عن العدالة تمه وليخرج لباديته عند من تقلده ولا يشهد بالبلد من عدول البادية إلا من يرتضيه فنأمرك أن تشد يدك على ما ذكر كله وتكون معه يدا واحدة في تنفيذه والسلام

في 22 شعبان الأبرك عام 1300هـ

وعلى ضوء هذه التعليمات الملكية في شأن تفويت العقار والملكيات وقع تشديد من العامل والقاضي وشدة الاحتياط بأن لا يفوت عقار الحاضرة أو البادية إلا إذا كانت رسومها مسلمة شرعا وسالمة مما يقدح فيها من فصول الشهادات ومتوفرة على شروطها

ومن أجل ما ذكر باع أحد المواطنين بمديونة لأجنبي ألماني بلادا وكانت رسومها فاسدة ومهلهلة فوقع الحوار بين القاضي وقنصل بلجيكا بالدار البيضاء النائب عن ألمانيا وذلك بواسطة خليفة العامل محمد بن عبد الرحمان ابريشة فكتب قنصل بلجيكا إلى خليفة عامل الدار البيضاء بالكتاب التالي يقول فيه ونصه

الحمد لله وحده نسخة كتابنا لخليفة عامل الدار البيضاء

خليفة عامل الدار البيضاء وفقك الله وسلام تام عليك ورحمة الله.

وبعد فقد وفاني كتاب باشدور جنس البروس بطنجة مكنني منه الطالب الأجل السيد مَحمد بركاش في شأن شراء بلدان رسومهم بيد التاجر نومان البروصي والشراء في اسم السيد عباس الحارثي وكنت أتيتك بالكتاب وقد نبه الباشدور المذكور أن يشهد شراء البلدان في اسم التاجر المذكور وعليه فيصلك طيه الرسوم الثلاثة فإن كانوا على طريق كذا يكتبون في الاسم المذكور ولابد وعلى المحبة والسلام

في 6 حجة الحرام عام 1300هـ
بالمحفظة 61 / 3
القنصل البلجيكي نائب البروصي بالدار البيضاء

فأجابه خليفة العامل بالرسالة التالية نصها

الحمد لله وحده

محبنا المعتبر قنصل البلجيك نائب البروصي بالدار البيضاء بعد السؤال عنك نطلب الله أن تكون بخير وعافية فقد وصلنا كتابك بما كتب به باشدور البروصي في شأن التاجر نومان البروصي وما هو طالب من كتب ملكية الأرض الحراثية التي اشتراها من عباس الحارثي وكذا أتيتنا بثلاث رسوم ذلك طالبا النظر فيها فإن كانت على الطريق يكتب له فقد كتب نائب سيدنا الفقيه السيد مَحمد بركاش في ذلك وأمر أن يدفع الرسوم إلى القاضي لينظرها فإن كانت الملكية مسلمة شرعا فتكتب له الملكية في اسم التاجر المذكور نومان ووجهنا للقاضي هذه الرسوم وباتت عنده وتصفحها كما يجب وأجابنا بأن الرسوم المذكورة غير مسلمة شرعا لكونها مبنية على غير أساس ومع ذلك هي مكتوبة في البادية وبعض العدول الكاتبين لها معزول ومشهور أمره ومولانا أيده الله عندنا أمره الشريف بأن الأملاك لا تكتب إلا بعدول الحاضرة على يد العامل والقاضي وعليه فها الرسوم تصلك وبهذا اعلامك وعلى المحبة والسلام

في 6 حجة الحرام عام 1300هـ
بالمحفظة 61 / 4
محمد بن عبد الرحمان بريشة لطف الله به

فعارضه قنصل بلجيكا بالكتاب التالي :

الحمد لله وحده

خليفة عامل الدار البيضاء وفقك الله وسلام تام عليك ورحمة الله وبعد ،

وصلني جوابك عن ما كتبنا لك عنه وكتابة ملكية الأرضين التي بالرسوم الثلاث في اسم التاجر نومان البروص ذكرت أنك وجهت عدد الرسوم المذكورة إلى القاضي هنا وتصفحها وأجاب أنها لم تكن مسلمة شرعا لكونه لم يقف لها على أساس ومع ذلك مكتوبة في البادية وعندك إذن شريف أن الملكية لا تكتب إلا بعدول الحاضرة على يد العامل والقاضي وقد فهمنا أن هذه الإشارة على شراء أملاك الحاضرة الخ

اعلم أن شراء ما ذكرنا أولا لعباس الحارثي اشتراه من أهل البادية وأشهد الملكية المذكورة بعدولها ثم سجل عنهما من كلفه الأمير بأمر القضاء هناك وقد اشترَى التاجر المذكور الكل من عباس المذكور وأراد أن تشهد الملكية في اسمه هنا وعليه نحبك ولابد أبحث القضية القاضي ما سبب إشارته لك أنه لم يقف لها على أساس بالمحفظة 61 / 7

فليوضح لنا ذلك وكما تسأله هل يقبل كتابة الأملاك بالبادية يعني الأرضين بعدول البادية ومسجلة بالمكلف بأمر القاضي بها أم لا ؟ ولابد وعلى المحبة والسلام

في 7 حجة الحرام عام 1300ع
قنصل البلجيك نائب البروص بالدار البيضاء

فأجابه خليفة العامل بالجواب التالي ، نصه

الحمد لله وحده

محبنا المعتبر قنصل البلجيك نائب البروص بالدار البيضاء بعد السؤال عنك نطلب الله أن تكون بخير وعافية فقد وصلنا كتابك ثانيا في شأن الرسوم المكتوبة بالبادية لعباس الحارثي على شأن الأرضين الحراثية وأجبناك أمس بأن الرسوم طالعنا بها القاضي هنا فألفاها غير مسلمة شرعا وأجبنا بذلك ولا يخفاك أنك بالأمس انما طلبت منا ما هو حق بأن يوجه الرسوم للقاضي ليبحث فيها وما ظهر له يخبرنا به وكذلك كتب لنا الفقيه سيدي مَحمد بركاش مشيرا بأن نوجه الرسوم لمن له الأحكام الشرعية هنا فإن سلمها فتكتب في اسم التاجر نومان وإلا فتعلمه بالدافع

وها نحن بصدد جواب الفقيه سيدي مَحمد بركاش بما أجابنا به القاضي وعلى كل حال فالقاضي له النظر في الأمور الشرعية ولا مدخل في ذلك لنا وبهذا يجب الاعلام وعلى المحبة والسلام

في 7 حجة عام 1300هـ
بالمحفظة 61 / 6 بمكتبة تطوان
محمد بن عبد الرحمان بريشة لطف الله به

ثم أجابه قنصل بلجيكا بالجواب التالي نفس التاريخ نصه

الحمد لله وحده

خليفة عامل الدار البيضاء وفقك الله وسلام تام عليك ورحمة الله وبعد

وصلني جوابك على ما نبهنا عنه من قضية أن تشهد ملكية التاجر نومان الخ

ذكرت أن الفقيه السيد مَحمد بركاش أمرك بدفع الرسوم إلى القاضي هنا فإن سلمها فتكتب الملكية في الاسم المذكور والا فتعلمه بما ذكره القاضي وها أنت بصدد ذلك لكن لم تجبنا على ما طلبناه من القاضي لأننا طلبناه يبين لنا ما أشير لك به أن الرسوم لم يقف لها على أساس فيوضح لنا ما هو ناقص في حقها لنخبر به التاجر المذكور

كما أشرنا عنه هل يقبل شهادة ملكية بعض الأرضين بالبادية وتكون الشهادة بعدول المحل المذكور ومسجلة بمن كلفه الأمير بأمر القضاء ولابد لنكون من ذلك ببال ونرفع الخبر إلى باشدور الجنس المذكور أعلاه والجواب ولابد وعلى المحبة والسلام

في 7 حجة الحرام عام 1300هـ
بالمحفظة 61 / 5
قنصل بلجيكا نائب البروص بالبيضاء

فرد عليه خليفة العامل بالجواب التالي نصه

الحمد لله وحده

محبنا المعتبر قنصل بلجيكا نائب البروص بالدار البيضاء ، بعد السؤال عنك نطلب الله أن تكون بخير وعافية .

فقد وصلنا كتابك ثالثا في شأن رسوم الأرضين التي لعباس الحارثي وتطلب كتابتها في اسم التاجر نومان وأجبناك أولا وثانيا فيما أجاب به نائب القاضي

وكونها أي الرسوم غير مسلمة شرعا وبكونها مكتوبة بعدول البادية ثم طلبت منا أن يبين القاضي وجه عدم تسليمها شرعا وهل يقدر أن يقبل الرسوم بعدول البادية إذا كانت مسجلة بقضاة البادية فقد ساعدناك في مطلبك وسألناه عن ذلك

فأجابنا بأن الرسوم غير مسلمة شرعا ولا يقدر أن يبين لنا إلا بالأمر الشريف أو إذا طلبه نائب سيدنا الفقيه سيدي مَحمد بركاش

وأما الرسوم المكتوبة في البادية في الأملاك لا يقبلها ولو كانت مسجلة بقضاة البادية لكونه عنده أيضا الأثر الشريف بعدم قبولها فلا يتعداه وبهذا أجاب وعلى المحبة والسلام

في 8 حجة الحرام عام 1300هـ
بالمحفظة 61 / 4
محمد بن عبد الرحمان بريشة لطف الله به

والتاجر نومان المذكور سبق له أن كان اشترَى أرضا فلاحية بمديونة ومنع العدول من الاشهاد له بالشراء ورام التصرف فيها بدون إشهاد بالبناء ومنعه قائد مديونة وحجز له حمرا سبعة وعشرين وجملا ولعله كان يشتري ما فيه خصومة ونزاع مستغلا جنسيته الألمانيه ورفع شكاية للسيد مَحمد بركاش بطنجة ورفعت قضيته إلى السلطان فأصدر فيها السلطان ظهيرا

نصــــه

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

الطابع الشريف بداخله الحسن بن محمد الله وليه ومولاه

خديمنا الأرضَى الطالب محمد بركاش وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد ،

وصل كتابك بأن باشدور الألمان كتب لك فما في كتابه الذي وجهت من أن تاجرا من رعيتهم بالدار البيضاء يسمَّى نومان اشترَى أرضا في مديونة ومنع من

الاذن للعدول في الشهادة له وأراد أن يبنَى فيها حظيرة من الحجر فمنع عامل مديونة البناء من البناءين ووجه مخازنيته للطريق وتعرضوا لهم وقبضوا عليهم وجعلوهم بالسجن وأخذوا لهم 27 حمرا وجملا وطلبت منك الكتابة لعامل الدار البيضاء بالاذن للعدول في الشهادة بما ذكر ولعامل مديونة بعدم التعرض للتاجر المذكور في البناء وتسريح البنائين والبحث عما حصل له من الخساره بسبب ذلك

ولما تلاقى معك التاجر المشار إليه ذكر له أنه جعل فيما أخذ له من البهائم وفي خسارة ذلك ثلاث عشر مائة ريال فكتب لعامل مديونة بأن يرد له بهائمه ويسرح من قبض وبعد ذلك تنظر فيما ادعاه من الخسارة ولم تدر ما تجيبه به عن الاذن في الشهادة بشراء الأملاك لكونه طالبا على مقتضَى الشروط إذا ظهر لهم منك الوقوف في مرافعتهم عن ذلك يفضي الأمر معهم إلى ما شرحته وأن ما كان يصدر منك من موقفهم عن ذلك حياة سيدنا رحمة الله إنما هو فيما له سبب يمنع من شرائهم له ككونه لجانب المخزن والأحباس وترومي عليه وأما ما لا سبب له فلم تدافعهم عنه وكانوا يشترونه ولازال بأيديهم إلى الآن بطنجة وبغيرها وأن الفرق بين ما كان قديما وبين ما صار الآن بسبب وفق مدريد هو أنهم كانوا لا يشترونه في القديم عَلى مقتضَى شريعة البلد وصاروا الآن يشترون على مقتضاها بسبب الوفق المذكور وأنك مهما وجدت أدنَى سبب يقبل عندهم في مرافعتهم عن ذلك لا تقصر فيه أصلحك الله وحيث كانت الشهادة لهم بشراء الأملاك شرطا فلا يمنع منها التاجر المذكور وقد أصدرنا أمرنا الشريف لعامل الدار البيضاء وقاضيها بابقائها على مقتضَى الشرع ان كانت تلك الأرض التي اشترَى سالمة مما ذكرت من كونها للحبس وللمخزن والسلام

في 20 من ذي الحجة الحرام عام 1298هـ

حادثة زقعت بالدار البيضاء وهي بسيطة ولكنها تطورت تطورا خطيرا ذلك أن مواطنا مغربيا بيضاوي وهو الغندور بن الحبيب المديوني الذي كان كاتبا مع قنصل الاسبان ارتكب خطأ تسبب في وقوع أضرار على الجيران

وذلك الخطأ هو فتح ثلاث كوات بمنزله مشرفة على دور جيرانه وذلك في عهد العامل السابق سيدي مَحمد بن ادريس الجراري وكان فتح الكوة على

الجيران ممنوعا شرعا بما فيه من التكشف على أحوالهم وقام الجيران يحتجون إلى الأمناء ومن بيبهم العامل الطريس لما كان الاذن في البناء من اختصاصهم فاضطر إلى غلقها

ولما انتقل العامل الجراري إلى مدينة الجديدة الذي تولى عوضه السيد عبد الله حصار . عاد لفتحها فتكرر احتجاج الجيران ورفعت القضية إلى الطريس بصفته أمين المستفادات فأمره بغلقها فامتنع الغندور المذكور بصفته كاتبا لقنصل الاسبنيول وتعذر تنفيذ الحكم عليه بغلقها كما كان يهودي في حماية الانجليز فتح كوة مشرفة على باب الحمام فكتب الطريس لحاجب السلطان السيد موسَى بن أحمد يخبره بالواقع فأجابه الوزير بكتاب هذا نصه

الحمد لله وحده وصلَّى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

محبنا الأعز الأرضَى السيد محمد الطريس أمنك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله وبعد ،

فقد وصلنا كتابك أخبرت فيه أن الغندور بن الحبيب المديوني كاتب قنصل الاسبنيول عاد لفتح ثلاث طيقان التي كان فتح فوق دور المسلمين وسدها لوقوع الكلام معه فيها على عهد ولاية السيد محمد الجراري وأنك عدت للكلام معه في سدها فامتنع منه فاعلم أنا أنهينا ما سطرته في شأنها لمولانا المنصور بالله فأمر أيده الله الحاج عبد الله حصار بسدها هي والطاقة التي فتح الدّمي يوسف النجليزي فوق باب الحمام وها كتابه الشريف بذلك يصلك فادفعه له يعمل بمقتضاه وعلى المحبة والسلام

في 2 من رجب الفرد الحرام عام 1293هـ
24 يوليوز 1876م – بالمحفظة رقم 34 / 19
موسَى بن أحمد لطف الله به

وبعدما رفعت القضية إلى السلطان ، بعث السلطان للعامل حصار فأمره بسدها فأجاب حصار السلطان وكتب الحاجب موسَى بن أحمد إلى الطريس رسالة تتضمن جوابا حصار نصها

الحمد لله وحده وصلَّى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله .

محبنا الأمين الأرضَى الحاج محمد الطريس سلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله وبعد ،

فقد كنت كتبت معلما بأمر الطيقان الأربع التي أحْدَثَ ثَلاثة منها الغندور والرابعة ترجمان قونصو النجليز بالدار البيضاء وفي جميعها ضرر فكتب سيدنا أيده الله لعامل الدار البيضاء في شأنها وأمره بغلقها فأجاب بأنك أنت الذي أمرت المعلم البناء ببناء الصالة الفوقية للغندور وأمرته بجعل الطاقات له فيها وتكلم مع قونصو السبنيول قبل في شأنها وحضرت أنت والمعلم البناء معه وشهد بذلك ومع ذلك ساعد على غلقها وظن أنها أغلقت والآن لما أمره سيدنا أيده الله بغلقها أعاد الكلام مع القونصو في ذلك فأجابه بأنك تركتهم له ووجه القونصو بذلك شهادة كبير المعلمين بما ذكر كما كان تكلم مع قونصو النجليز في شأن الرابعة وأغلقها وهي الآن مغلقة وقد تعجب سيدنا أيده الله من كونك تأذن في ذلك وتشتكي وعليه فيأمرك سيدنا أيده الله أن تخبرنا بحقيقة الأمر في ذلك وارتكب فيه طريق الصدق لينظر ما يكون في القضية وعلى المحبة والسلام

في 7 شعبان الأبرك عام 1293هـ
28 غشت 1876م/ بالمحفظة 34 / 21
موسى بن أحمد لطف الله به

وبعد وصول الرسالة للطريس ارتأى للطريس أن يكتب رسالة للعامل القديم السيد محمد الجراري يستفسره من شأن هذه الكوات في عهده حيث كان أمره بغلقها فأجاب السيد محمد بن ادريس الجراري بالرسالة التالية

الحمد لله وحده وصلَّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

محبنا الأعز الأرضَى الأمين الأجل الأحظَى السيد الحاج مَحمد الطريس سلام عليك ورحمة الله وبركاته عن خير مولانا نصره الله وبعد ،

فقد وصلنا كتابك تذكر فيه بأن الغندور بن الحبيب المديوني كاتب قونصو السبنيول هناك كان أحدث فتح ثلاثة طيقان بداره هنا مشرفة على دور المسلمين ولدار بها الرومي دينك السبنيولي وأنك كنت كلمتنا في سدهم في عهد ولايتنا وكتبت إلي تستفهمني هل كانوا سدوا أم لا فاعلم رعاك الله أني لم أثبت عليهم

وأنت عندك حقيقة أمرهم فإن كانوا سدوا فذاك والافلا واما أنا فإنما كنت أشد العضد للأمناء في جانب المخزن وغير مقصر كما لا يخفَى عليك وعلى تمام المحبة مسلما عليكم من التاجر السيد محمد راهون والسيد عبد السلام ملينة وسلم منا على الأمير السيد الحاج مَحمد بن جلون والتاجر السيد عبد السلام غرسية والسيد محمد النوباهي والسيد محمد بن عبد الرحمان ابريشة كاتبا تمه والسلام

في 6 رمضان المعظم عام 1293هـ
محمد بن ادريس الجراري لطف الله به
المحفظة 70 / 76

مضمن جواب الطريس

وبعد ذلك أجاب الطريس وقفنا على فهرس الوثائق بمكتبة تطوان أفاد بها العلم الشريف في موضوع الاذن للغندور في فتح النوافذ

وبما ارتكبه العامل حصار من تصرفات كادت تعطل سير المرسى ودخل مستفاداتها هذه الوثيقة مؤرخة 27 رمضان عام 1293هـ موافق 12 / 10 / 1876م بالمحفظة 39 / 32 والغندور هذا في آخر الأمر تولى القضاء بقبيلة مديونة في عهد السلطان مولاي عبد العزيز

وهذه الضجة كلها وقعت لما في فتح الكوات على الجار ومن الاشراف على الحريم والاستطلاع على عورات الناس والشرع يعتبره ضررا ويجب الحكم بمنعه كما هو منصوص في كتب الفقه يقول المتحف في باب الضرر وسائر الجنايات وان يكن تكشفا فلا يقر بحيث الأشخاص تبين والصور

قال شارحه ميارة

يعني إذا كان الضرر تكشفا بحيث تبين به الأشخاص والصور فإنه يزال ولا يقر قال الشارح وتبين الأشخاص هو بحيث يتبين زيد من عمرو وتبين الصور بحيث يتبين الذكر من الأنثى والحسن من القبيح قال في الوثائق المجموعة

ومن ذهب إلى أن يحدث على جاره كوة أو بابا في غرفة يشرف منها على ما في دار جاره أو اسطوانه أو غرفته منع من ذلك فإن أحدثها قضي عليه بغلق الكوة وسد الباب بالبنيان وقلع العتبة من الباب ولم تترك العتبة فيها لأنه إن تركها ثم طال

الزمان ونسي الأمر كانت حجة للباب ويقول إنما أغلقته لأعيده متَى شئت ولذلك يقضي بقلع العتبة في باب الدار إذا حكم بغلقه وكذلك يقضي بقلع عتبة الكوة للعلة المذكورة في عتبة الباب وفي طرر ابن عات انما يمنع إذا تبينت الأشخاص وإذا لم تتبين فلا يمنع

ومن ذيول ما نتكلم عليه من تعسفات قناصل الأجانب في نظام الحماية ما نقله لنا ابن زيدان في اتحافه ظهير شريف في شأن سلوك قنصل البلجيك بالدار البيضاء

خديمنا الأرضَى الطالب محمد بركاش وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد ،

فقد وصلنا كتابك جوابا عما كتبنا لك به في شأن اشتغال قونصو البلجيك بالدار البيضاء بادخال الناس في الحماية وذكرت أنك كلمت باشدوره في ذلك وتغير منه وكتب للقونصو المذكور بالتوبيخ على ما صدر منه وأمره بالوقوف عند حده وترك الخوض فيما لا ينبغي وذكر لك أن الأناس المذكورين ليسوا في الحماية ولا يقبلهم وأن مخالطتهم مع الترجمان من جملة مخالطة الرعية على العادة وصار ذلك بالبال أصلحك الله ورضي عنك والسلام

في 7 جمادَى الأولى عام 1296هـ

وحيث بينا نظام المستفادات بالدار البيضاء والشاوية يجدر بنا أن نتكلم على مهمة العامل وما يتصف به من سلطة في الأحكام

العامل أو القائد هو بمنزله
نائب السلطان في المدينة أو القبيلة

فهو صلة الوصل بين السلطان والرعية وله خليفة ينوب عنه وله كاتب أو كتاب وله أعوان يطلق عليهم المخازنية جمع مخزني وهم بمنزلة رجال الدرك في عصرنا يستتب بوجودهم الأمن في البلاد وله مراقبة على رجال السلطة بالبلد كالمحتسب وأمين المستفادات وناظر الحبس ووكيل الغياب وأبي المواريث وكان يعيهم ويشد

عضدهم في مشاكلهم التي تعرض لهم ، وله رياسة على رئيس الجند ومهمته في الأحكام أن يقضي في الدعاوي الجنائية والديون وإذا عرضت له مشكلة شرعية صرف الخصوم للقاضي ويشترط فيه أن يكون ذكيا وسياسيا وله الشجاعة والقدرة على مجابهة العصيان وبسبب فقد هذا الشرط أدين العامل على الدار البيضاء السيد بو بكر بوزيد السلاوي لما هجم الأعراب على الدار البيضاء وكسروا القطار وقتلوا عماله الأجانب واحتلت فرنسا الدار البيضاء عام 1907 وحمّلوه المسؤولية وسجنه الفرنسيون بالباخرة التي قنبلت البلاد

ومن أجل ذلك ما وقع بالدار البيضاء قبل هذا الحادث بنحو عشرة أعوام لما شاع الخبر بعزم المنحرفين من الأعراب على الهجوم على سكان الدار البيضاء يوم عيد الفطر بالمصلى لأجل السلب والنهب فأحجم القاضي على الخروج للمصلى لأداء صلاة العيد

فقام العامل إذ ذاك السيد أحمد بن العربي المديوني فطلب من والدي رحمه الله السيد الحاج مَحمد المعروفي الذي كان إماما وخطيبا بجامع السوق للخروج معه إلى المصلى لصلاة العيد فاستأذن والدي القاضي فأذن له فخرج العامل للمصلى صحبة أعوانه والجنود الذين كانوا بالدار البيضاء مسلحين فأدّى سكان الدار البيضاء صلاة العيد في أمن واطمئنان بسبب قيام العامل بواجبه وتوفره على هذا الشرط

«تحامل الأجانب على رجال السلطة بالدار البيضاء بدون مبرر» والرد عليهم

ومن هؤلاء الأجانب الدكتور ف سجيربير الذي تقدم لنا الكلام عليه في زيارته للدار البيضاء سنة 1896 بقصد مهنة الطب ظاهرا وفي الحقيقة جاء بقصد تمهيد أركان الاستعمار فقد تكلم على رجال السلطة في البلاد من القائد والقاضي والمحتسب وناظر الأحباس وأبي المواريث وأمناء المرسَى فوصفهم بأوصاف الارتشاء والظلم وأنهم يعملون ولا راتب لهم وأنهم كانوا يعيشون بالرشوة

وقال في حق القائد . كان القائد يعاقب بدون محاكمة ولا تحقيق والعقوبات

كقطع اليد والرجل وتطبيق قانون العين بالعين والتأديب بالملح كل هذه العقوبات لم تطبق وهذا ليس بدافع انساني وإنما لأنها لا تعود على الذي يطبقها بأي ربح مادي والمتهم بذنب أو جريمة كان يرمى في السجن دون أي محاكمة وتحت التهديد والضرب بالسياط كان الرجل يقر بذنوب لم يرتكبها

وكان هم القائد هو أن يستخلص من أسرة المذنب أكبر كمية من الدراهم كي يطلق سراحه

أما القاضي فهو الحاكم الديني لتنفيذ القوانين الشرعية فهو الوحيد المخول في المشاكل العقارية والقوانين الشخصية وكان يعاونه عدد من العدول يكتبون ما يقول وبجانبه عدد من الأعوان وأغلب هؤلاء القضاة كانوا يقومون بأبشع أنواع الاستغلال حتَّى أن الناس كانوا يتمثلون بالمثل القائل انه من سبعة قضاة واحد منهم هو المخول له أن يدخل الجنة على حد تعبيره

وكانت كل الوسائل تفيدهم في المماطلة أثناء المحاكمة لاستخلاص أموال المتداعين وفي أغلب الأحيان كانت كفة العدالة تهبط في مصلحة الذي دفع أكبر قدر من الدراهم أما باقي موظفي الحكومة فهم المحتسب المنتدب من قبل السلطان عن الأمن في الأسواق والطرقات وأمين المستفادات وهو المسؤول على أموال عقارات الحكومة

وأبو المواريث هو المسؤول عن الارث غير المطالب به

والأمناء هم المسؤولون عن الجمارك ، ورئيس المرسَى وهو المسؤول عن المرفأ كل هذه الوظائف لم يكن لها راتب معاشي من الدولة ولكنها كانت مرغوب فيها لأنها كانت مربحة كثيرا

ومثالا على ذلك فإن المحتسب كان يرتشي كي يقرر ثمن البضائع كما يطلب منه ، وأمين المستفادات وكذلك ناظر الحبس كانا يستفيدان من مردود أملاك الدولة والأملاك المحجوزة وأبو المواريث كان يقتطع من أموال الدولة ما هو مؤتمن عليه

وأمناء الجمارك كانوا يرتشون من قبل التجار الذين يرغبون بادخال بضائع محرمة .

«هذا ما قاله الدكتور[55] ف سجيربير»

وألف كتابا في الموضوع وأهداه للجنرال داماد قائد الجيش الذي نزل بالدار البيضاء في ديسمبر سنة 1907 والكتاب تحت عنوان «الدار البيضاء والشاوية عام 1900» فأجابه الجنرال داماد متشكرا بقوله

صديقي العزيز أرجوك أن تسمح لي أن أدعوك هاكذا ومن الممكن أن لا يسمح لك ضميرك بهذا لأنك لم تكن مع ألويتنا العسكرية في الشاوية ولكنك فعلت ما هو أكثر من هذا لقد سبقت ألويتنا وكنت من الطلائع

والذين كتبوا من الأجانب عن بلادنا وشؤون الإسلام والمسلمين على قسمين

القسم الأول هم من العلماء الباحثين الذين أحبوا هذه الدراسة لداتها فأخلصوا لها وكتبوا عنها بشيء من الانصاف لأنهم بطبيعتهم علماء أحرار لا يخضعون للنزوات السياسية ومطامع السياسيين وهم كثير

وكتاب دائرة المعارف الإسلامية تعج بأبحاث هؤلاء العلماء

والقسم الثاني من المستشرقين كتبوا في خدمة السياسة فصاروا دعاة للاستعمار يستخدمون العلم في تأييد قضايا سياسية وأغراض استعمارية شريرة تتنافَى مع مبادئ انسانية ومن هذه الفئة الدكتور «سجيربير» الذي تكلم بالعبارة النابية في حق حكام المغرب بالدار البيضاء ولم يكد يخفي حقده على الدولة التي عمل على استعمارها حقبة من الزمن حتَّى نفث ما في صدره من سموم ووصف حكامها بأوصاف لا تتلائم إلا مع الدول المتوحشة ونسي أو تناسَى ما كان لدولة المغرب من حضارة وبسط نفوذ سلطانهم لا على المغرب الكبير فحسب بل حتَّى على دولة اسبانيا التي لازالت آثارهم الخالدة ماثلة للعيان بالأندلس إلى الآن

ومقصود هؤلاء المستعمرين أن يظهروا الدول المستعمرة بمظهر النقص والتخلف والتوحش ليبرروا بهذه الأوصاف حق استعمارهم عليها وتغالوا في قصدهم

(55) وما نقلناه عنه فبترجمة صديقنا السيد فهد تومة السوري الذي كان طالبا بكلية الطب بالرباط من كتاب الدكتور من صحيفة 22 إلى صحيفة 25 الذي سبق له أن زار الدار البيضاء سنة 1896م بقصد تمهيد قواعد الاستعمار واعداد تقارير عن طبيعة المغرب ودراسة لجميع أحواله واعداد المخططات والتقارير عن وضعية البلاد .

هذا حتّى ارتكبوا تحريف النصوص التاريخية وتعمدوا الكذب والزور ونحن نكذبه في زعمه هذا بحجج محسوسة لا تدع مجالا للشك أما قوله كل هذه الوظائف لم يكن لها رواتب من الدولة فلنا على تكذيبه ما عثرنا عليه في المكتبة العامة والمخطوطات بتطوان من الرواتب للموظفين التي تخرج من مستفاد المرسَى عن كل شهر في القائمة الآتية الموجودة بالمكتبة العامة بالمحفظة 187 / 1 (1) في بيان رواتب الموظفين بالدار البيضاء من مستفادات الديوانة رقم 54

الفقيه[56] القارني لحزب الشادلي..............................	0080
القائـد	0300
المخازنية وعددهم 125	3750
رئيس المرسَى	0487
خليفته	0227
الأمينـان..	5350
المقيـدون	1300
8 حراس المرسَى	0480
مقيد السلع النازلة من المركب	0030
الباشا الرباطي	0300
قابض الأكرية..	0400
ورديانان	0240
آخر بباب المرسَى	0120
حاسب الخنشة...	0060
حارس ببيت المال...	0120
26 الطبجية والبحرية..	0390
28 زيادة للبحرية	0120
8 متعلمون...	0080
مؤذن مسجد فضالة	0015

بالمحفظة 187 / 1 (1)

(56) في الأصل القاضي (خطأ)

هذا ما عثرنا عليه من الأجور بالدار البيضاء في عصر السلطان مولاي الحسن ولم يذكر في هذه القائمة المحتسب وناظر الحبوس وأبي المواريث ووكيل الغياب لكونهم كانوا يتقاضون أجورهم من الأموال التي كانوا يتصرفون فيها بنسبة مئوية معينة

وقد عثرنا على رواتب لأمناء المرسى وعدولهم في عصر السلطان مولاي عبد العزيز

نص الأول

(57)خديمينا الأرضين أميني الموضوع بمرسى الدار البيضاء المحروسة بالله وفقكما الله سلام عليكما ورحمة الله وبعد ،

فنأمركما أن تكونا تقتصران في أجرتكما على مائتي ريال تثنية مشاهرة لكل واحد منكما وفي أجرة العدلين معكما على مائة ريال مفردة مشاهرة لكل واحد منهما وذلك من شهر تاريخه والسلام

في 7 صفر عام 1326هـ

(58)ونص الثاني بعد الحمدلة والصلاة والطابع

خدامنا الأرضين أمناء مرسى الدار البيضاء وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله وبعد ،

فلأجل مصلحة تخفيف صوائر المرسَى من حيث هي اقتضَى نظرنا الشريف أن يكون قدر راتبكم الشهري وراتب العدول معكم مائتي ريال بالتثنية وعشرين ريالا للامينين الأفاقيين معكم ونصفها وهو مائة ريال وعشرة ريال للعدل الافاقي معكم ومائة وخمسون ريالا للأمين البلدي منكم ونصفها وهو خمسة وسبعون ريالا للعدل البلدي معكم وعليه فنأمركم بأن يكون عملكم في تصيير الرواتب المذكورة على مقتضَى ما ذكر لتثبتوا نسخة من كتابنا هذا بمحله من كناش ضابط خدمة المرسَى ليتمشّى عليه الأمناء بعدكم والسلام

في 17 صفر الخير عام 1326هـ

---

(57) الجزء الأول من الاتحاف صحيفة 146 .

(58) نفس المصدر صحيفة 147 .

الحمد لله وحده

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه



خديمنا الأرضى ناظر أحباس الدار البيضاء المحروسة بالله وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله
وبعد فنأمرك أن تدفع للفقيه القاضي السيد أحمد بن عيسى راتبه الشهري على القضاء بذلك الثغر
خمسة وأربعين ريالا وتحفظ عنه ما ذكر [illegible] راتب القضاء [illegible] والسلام في 15
جمادى الثانية عام 1326

[illegible]

ظهير شريف في تعيين راتب القاضي.

وقد وقفنا على ظهير آخر في راتب القضاء نصه

الحمد لله وحده وصلّى الله على سيدنا محمد وآله

[59]خديمنا الأرضى ناظر أحباس الدار البيضاء المحروسة بالله وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد ،

فنأمرك أن تنفذ للقاضي السيد أحمد الزعيمي في راتبه الشهري على القضاء بذلك الثغر خمسة وأربعين ريالا وتسقط عنه ما كان مرتبا له في راتب القضاء قبل والسلام

في 10 جمادى الثانية عام 1326هـ

أما قوله أن القائد كان يعاقب بدون محاكمة ولا تحقيق

وقوله المتهم بذنب أو جناية أو جريمة كان يرمَى في السجن دون أية محاكمة وتحت التهديد والضرب بالسياط

وكذلك ما اتهم به رجال السلطة من القاضي والمحتسب وناظر الحبس وأمناء الجمارك كله كذب وزور ولم يدعمه بأي حادث تاريخي يشهد لما يقول

والقوانين السماوية والوضعية كلها مجمعة على أن المدعى مطالب بالبينة والفقهاء يقولون المدعى بشراء بصلة مكلف بالبينة ولو كان أعدل الناس كأبي بكر الصديق رضي الله عنه

والمتحف يقول

والمدعَى مطالب بالبينة وحالة العموم فيه بينة

ويرحم الله البوصيري إذ يقول

والدعاوي ما لم تقيموا عليها بيّنات أبناؤها أدعياء

والواقع أن رجال السلطة بالدار البيضاء من قائد وقاض ومحتسب وناظر الحبس وأمناء الجمارك كلهم كانوا موصوفين بالعدل والنزاهة والتحري في الأحكام

---

(59) من الرسوم المتخلفة عن ناظر الحبس السيد ادريس الفيلالي .

كان العامل مختصا بالنظر في أحكام الديون والجنايات إذا حضر الخصمان لديه كلف المدعى بالبينة فإن أحضرها وسلمها الخصم نفذ الحكم عليه وان أنكرها أعذر له فيها على القاعدة الشرعية

وكان إذا نفذ الحكم على المدعَى عليه بمبلغ مالي وأحضره ولم يكن المدعي حاضرا كلف أحد الأعوان وكان يطلق عليه المخزني بحوز المبلغ ليبلغه لربه بعد أن يحضر عدلين للاشهاد على المخزني بحوز المبلغ وتسليمه لربه تحريا في أموال الناس

وقفنا على عدة رسوم في هذا الموضوع منها وثيقة وهي رسم عدلي بحيازة عون العامل الطريس مبلغا ماليا من تاجر فرنسي والتزامه ليبلغه لتاجر آخر

بالمكتبة العامة بتطوان بالمحفظة 113 / 9 تاريخ 2 ربيع الثاني 1297هـ موافق 14 / 3 / 1880م

ووثيقة أخرى رسم عدلي بحيازة المخزني ادريس بن رحال مبلغا ماليا من التاجر كنبة الفرنساوي والتزامه بتبليغه إلى الحاج بوشعيب المعروفي بالمحفظة 117 / 36 بتاريخ 5 جمادى الأولى 1297هـ موافق 5 / 4 / 1880م

وكان إذا طلب الخصم مهلة لاحضار ما كلف به ألزمه ضامن الحضور بعدلين وقفنا على عدة رسوم عدلية في هذا الموضوع ومنها رسم عدلي بالتزام السيد العربي المجاطي ، احضار محمد المجاطي أمام المخزن بالمحفظة 117 / 39 بتاريخ 12 جمادَى الثانية 1297هـ موافق 22 / 5 / 1880م

ورسم عدلي يلتزم فيه الحداوي باحضار محمد التادلي متَى طلبه العامل الطريس بالمحفظة 117 / 45 تاريخ 13 محرم 1298هـ موافق 16 / 12 / 1880م

ورسم عدلي يلتزم فيه صالح المعروفي بأداء ما بذمته لخصمه بالمحفظة 117 / 52 ــ أوائل ربيع الأول 1298هـ موافق 2 ــ ــ 1881م

ورسم عدلي يلتزم فيه بوعزة ابن القائد الهراوي باحضار علي الحريزي أمام العامل الطريس المحفظة 117 / 54 بتاريخ 4 جمادَى الثانية 1298هـ موافق 4 / 5 / 1881م

ورسم عدلي يلتزم فيه محمد بن الغزواني الشلح احضار المامون المذكوري متَى طلبه العامل .

محفظة 117 ـ 63 بتاريخ 15 رمضان 1299هـ موافق 31 / 7 / 1882م

ووثائق أخرى كثيرة فلنقتصر على هذا القدر

أما في الدعاوي الجنائية فقد وقفنا على رسوم عدلية لا يستهان بها منها رسم عدلي حول تعرض الطاهر الدكالي للسرقة بسوق اثنين أولاد علي

محفظة 117 ـ 6 تاريخ 16 ذي الحجة 1295هـ موافق 10 / 12 / 1878م

ورسم عدلي يتعرض العالية الحداوية لسرقة بقر لها

محفظة 117 ـ 13 تاريخ 17 رجب 1296هـ موافق 7 ـ 7 ـ 1879م

ورسم عدلي حول تعرض علي وأحمد البوزراريين للنهب في جماعة أولاد مالك

محفظة 117 ـ 19 في 5 شوال 1296هـ موافق 22 ـ 9 ـ 1879م

ورسم عدلي حول تعرض الحاج مَحمد ومحمد بن قدور البغداديين للنهب من طرف علي الحريزي ومن معه

ومحفظة 117 ـ 21 في 24 شوال 1296هـ موافق 11 ـ 10 ـ 1879م

وجواب من القائد الميلودي بن محمد إلى العامل الطريس حول توجيه سارق

محفظة 128 ـ 20 بتاريخ 2 ذي القعدة عام 1296هـ موافق 18 / 10 / 1879م

وشهادة لفيفية بنفي تهمة السرقة عن الحاج المزمزي والحداوي ومن معه

المحفظة 112 ـ 7 في 6 ذي القعدة عام 1296هـ موافق 1879/10/22م

ووثائق أخرى في هذا الموضوع لم نذكرها اكتفاء بهذا القدر

جلبنا هذه الوثائق لتكذيب الدكتور «سجيربير» في الصاقه التهم بالعامل في ادخاله الخصم في السجن وضربه بالسياط حتَّى يقر بذنوب لم يرتكبها دون أية محاكمة وتحقيق أو يدفع كمية من المال

وهذه التهم كنا نسمع بمثلها في حق الكوميسير الفرنسي إبان الحماية بتعذيب

المتهم بالسياط والكهرباء وازالة الأظفار وكم من متهم بالوطنية عذب تعذيب الحيوان حتّى لفظ نفسه الأخير

وكانت دعاوي الأجانب الجنائية والمدنية غالبا ما يرفعها باشدور الجنس إلى السلطان بواسطة وزير الخارجية السيد محمد بركاش فيحيلها السلطان إلى العامل المختص معززة بتعاليمه السامية وبنص الحكم وقفنا على وثيقتين من هذا النوع الأولى مكتوبة إلى خليفة العامل بالدار البيضاء السيد محمد بن عبد الرحمان ابريشة نصها

الحمد لله وحده

خديمنا الأرضَى الطالب محمد بن عبد الرحمان ابريشة وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد ،

وبعدما أمرناك بتصفح مواجب كيلمان النجليزي على ما يدعى به من النهب على آيت زلطن فإن ألفيت صحيحة مسلمة شرعا يلزمون أداء ما نهب له وإن لم تلف صحيحة مسلمة شرعا يحلف فيما يعظمونه ويمكن مما يدعيه اقتضَى نظرنا الشريف ان مواجب المذكور ان كانت مسلمة شرعا يحلف على كمية القدر المنهوب له ويمكن منه وان لم تلف مسلمة ترفع النازلة للشرع والعمل على ما يحكم به فيها لكون الادعاء بالباطل والاستظهار عليه بالمواجب المزورة كثر والحالف لا يعجز المدعى المستظهر بتلك المواجب

وعليه فنأمرك أن تمضي في قضية المذكور وفي غيرها أمر قضايا النهب على ما ذكر والسلام

في مهل ربيع الثاني 1303هـ وكتب بمثله لعامل الصويرة ولعامل آيت زلطن
محفظة 21 / 12 بالمكتبة العامة بتطوان

والوثيقة الثانية من الوزير السيد محمد بن العربي الجامعي إلى العامل الطريس حول كتابين شريفين إلى القاضي في شأن قضية العاملين السيد عبد السلام برشيد عامل أولاد حريز والحاج المعطي بن الكبير عامل سطات وعلاقة ذلك بالسفير الانجليزي نصها :

الحمد لله وحده وصلَّى الله على سيدنا محمد وآله

محبنا الأرضَى الحاج محمد الطريس أمنك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبعد ،

فيرد عليك كتابان شريفان للقاضي في شأن قضيتين احداهما متعلقة بخديم سيدنا السيد عبد السلام بن الرشيد والأخرى متعلقة بخديم سيدنا الحاج المعطي بن الكبير فابقهما تحت يدك إلى أن يكتب لك على قضيتهما باشدور النجليز وادفعهما للقاضي ليكون على بصيرة في القضية وقد شرح لك سيدنا أيده الله القضيتين بما فيه الكفاية وانما كتب سيدنا أعزه الله للقاضي المذكور لكون القضيتين منوطتين بالرسوم والا فأنت المتكلم فيهما بدءا وتماما وعلى المحبة والسلام

في 7 جمادَى الأولى عام 1298هـ
محمد بن العربي بن المختار الجامعي
بالمحفظة 115 – 70 بمكتبة تطوان

ولقد سقنا هذه الوثائق التاريخية والرسوم العدلية كدليل محسوس على تكذيب الدكتور فسيجربير في وصفه لرجال السلطة بالدار البيضاء بأوصاف لا تنطبق إلا على الدول المتوحشة بدافع ترغيب أبناء جنسه على استعمار المغرب وأن ترغيبه لهم كان بدافع انساني

كما استفدنا أن عمال الدار البيضاء كانوا يطبقون المسطرة الشرعية كما يطبقها القضاة

كما استفدنا أيضا منها التعاون الوثيق الذي كان بين محكمة العامل ومحكمة القاضي اللتين كانا لا يفصل بينهما إلا الجامع العتيق

كما أن هذه المسطرة بسببها كان يدر على العدول أجورا لا يستهان بها وكانت حالتهم المادية حسنة

ومما يؤكد تفنيد هذا الخبر أن التاريخ سجل للملوك العلويين تمسكهم بتعاليم الشريعة الإسلامية وتطبيقها على الرعية تطبيقا حرفيا

فقد كانوا رحمهم الله إذا اشكلت عليهم المشكلة في حق الرعية يستفتون العلماء

في شأنها فقد ثبت أن السلطان مولاي الحسن استفتى علماء فاس في حكم الشرع لبيع الحبوب والحيوان للنصارى وتقدم لنا في حوادث 1208 استفتاء السلطان مولاي سليمان لشيخه الشيخ التاودي بنسودة حيث توقف في حكم بيع الزرع للروم المصالحين وما قضية موقف السلطان مولاي الحسن في فتح الغندور بن الحبيب الكوات تكشفا على الجيران وكتبه لعامله بالدار البيضاء الحاج عبد الله حصار في سد الكوى ببعيد فكيف يسوغ والحالة هذه للملوك العلويين أن يولوا على رعيتهم موظفين دون تقرير رواتب تناسب مناصبهم السامية ويرسلونهم يعيشون بالرشوة ويفترسون الرعية افتراس الذئاب الجياع للأغنام سبحانك هذا بهتان عظيم والموظفون كانوا متخلقين بأخلاقهم في التمسك بالدين الإسلامي وفي الأمثال الحكيمة الجارية بينهم (الناس على دين ملوكهم).

أسباب تطرق الكذب على التاريخ

لقد بين علماء التاريخ أن الكذب متطرق للخبر بطبيعته وله أسباب نقل الدكتور عمر فروخ في كلمته لتعليل التاريخ نقلا عن مقدمة ابن خلدون أن من هذه الأسباب التشبعات للآراء والمذاهب فإن النفس إذا كانت على حال الاعتدال في قبول الخبر أعطته من التمحيص والنظر حتى تتبين صدقه من كذبه. وإذا خامرها تشيع لرأي أو نحلة قبلت ما يوافقها من الأخبار لأول وهلة وكان ذلك الميل والتشيع غطاء على عين بصيرتها عن الانتقاد والتمحيص فتقع في قبول الكذب ونقله ومن الأسباب المقتضية للكذب في الأخبار أيضا الثقة بالناقلين ومنها الذهول عن المقاصد فكثير من الناقلين لا يعرف القصد بما عاين أو سمع فينقل الخبر على ما في ظنه وتخمينه فيقع في الكذب ومنها توهم الصدق وهو كثير وانما يجيء في الأكثر من جهة الثقة بالناقلين

ومن الأسباب المقتضية له أيضا ــ وهي سابقة على جميع ما تقدم ــ الجهل بطبائع الأحوال في العمران ، فإن كل حادث من الحوادث ذاتا كان أو فعلا لابد له من طبيعة تخصه في ذاته وفيما يعرض له من أحواله

فإذا كان السامع عارفا بطبائع الحوادث والأحوال في الوجود ومقتضياتها أعانه

ذلك في تمحيص الخبر على تمييز الصدق من الكذب وهذا أبلغ في التمحيص من كل وجه آخر يعرض في نقل الخبر من (تطرق) الكذب

ومادمنا واضعين يدنا على حبل انتقادات الدكتور سجيربير للموظفين السامين بالدار البيضاء لا يفوتنا الكلام على هذه الوظائف وهي وظيفة القائد والقاضي والمحتسب وناظر الحبوس ووكيل الغياب وأبي المواريث فوظيفة القائد تقدم الكلام عليها

خطة القاضي الشرعي

هذه الخطة الشريفة المكلف بشؤونها القاضي الذي يستمد مسطرته الشرعية من رسالة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إلى قاضيه بالكوفة أبي موسَى الأشعري التي نقلها القاضي برهان الدين بن فرحون في تبصرته ونقلها العلامة التسولي في شرحه تحفة ابن عاصم وعلى فقه لامية الزقاق وشروحها ، ويستمد أحكامه في أحوال الميراث والعقار والأحوال الشخصية من مذهب الامام مالك المطبقة أحكامه في المغرب الكبير المنصوص عليه في كتب الفقه من شرح خليل وشرح تحفة ابن عاصم

وشرح العمل الفاسي فيسجل أحكامه على حسب المسطرة المذكورة ويقضي في النوازل على حسب فقه مالك ويخاطب على الرسوم ويفصل بين الخصوم

وكان السلطان يعينه بظهير بعد البحث عن نزاهته وعدله ويمثل العدالة والنزاهة بأجلى مظاهرها وتقدم لنا أنه كان له راتب كما أن العدول كانوا يسهمون له من أجورهم كل واحد منهم على قدر حاله عوضا عن تصحيح رسومهم وكانت هذه المساهمة اختيارية وكان بعض القضاة يتنزهون عن حوز هذه المساهمة ترفعا مهم وتنزها

وظيف المحتسب

المحتسب أحد رجال السلطة ويقال له صاحب السوق ويسمَّى المحتسب لأن أكثر نظره كان يجري في المحاسبات لما يوجد في الأسواق وغيرها من غش أو خديعة

وتفقد مكيال أو ميزان وشبهه

وليس له النظر في عيوب الدور وفي مخاطبة حكّام البلد في الأحكام إلا أن يجعل له السلطان ذلك في تقديمه

وقال الماوردي في الأحكام السلطانية حاصل الحسبة أمر بمعروف ظهر تركه ونهى عن منكر ظهر فعله قال تعالى «وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ» قال وهذا واضح في كل مسلم فإن المحتسب فرضه ذلك بحكم الولاية وفي غيره فرض كفاية وأيضا عليه أن يبحث عن المنكرات الظاهرة وما ترك من المعروف الظاهر ويعزر في ذلك ويستصرخ به وليس ذلك لغيره واعلم أن الحسبة واسطة بين أحكام القضاة وأحكام المظالم توافق القضاة في الاستعداء إليه وسماعه الدعوَى لكن ليس على العموم ، بل في أمور مخصوصة وهي ما يتعلق ببخس وتطفيف في كيل أو وزن وما يتعلق بغش أو تدليس في بيع أو ثمن وما يتعلق بمطل أو تأخير دين وليس له سماع الدعاوي الخارجة عن ذلك من العقود والمعاملات وما يتوقف على ثبوت البينات وقبولها والتحليف وانما ذلك للحكام والقضاة

قال ويجب أن يكون حرا عدلا عالما بالمنكرات ذا رأي وخشونة في الدين ، وقال غير الماوردي يجب أن يكون فقيها في الدين قائما مع الحق نزيه النفس عالي الهمة ذا أمانة وعلم وتيقظ لا يستفزه طمع ولا تأخذه في الله لومة لائم نقلنا هذه الأوصاف من شرح التاودي على قول الزقاق

لها خطط ست قضاء مظالم وسوق الخ علق سيدي المهدي الوزاني في حاشيته على قوله يجب أن يكون حرا عدلا قال ميارة قد ألف الناس في خطة الحسبة بالخصوص تآليف وقفت على جملة منها وشاهدت في صغري كتبا عديدة على مرافع دكان المحتسب الكائن بالقشاشين وسألت عنها فقيل لي انها من أحكام الحسبة وما يتعلق بها وهي محبسة على أن تكون هنالك ليطالعها وينظر فيها من يتولى خطة الحسبة فمازال الأمر يتناقض ويقل حتَّى صار يتولاها من لا يميز الألف من الباء فإنا لله وإنا إليه راجعون

وكان المحتسب في عصرنا مقتصرا نظره على تسعير المواد الغذائية والأحكام في

وآخر محتسب شاهدناه عندما احتلت فرنسا الدار البيضاء هو الحاج عبد الكريم بنكيران فبقي محتسبا إلى أن مات وخلفه السيد مَحمد بن الحاج ادريس الشرقاوي وبقي محتسبا إلى أن توفي

وبعده تولى السيد ادريس السيقال وبقي محتسبا إلى استقلال المغرب وتعطل هذا المنصب إلى أن أحياه جلالة السلطان مولاي الحسن سنة 1982م

خطة وكيل الغياب

هو المكلف بالتصرف في أموال الغائبين غيبة اتصال وانقطاع وأموال المفقودين طبق القواعد الشرعية وعوائد البلد بأموالهم ويحميها ويحتفظ بها إلى أن يرجع الغائب أو يأتي خبر موته أو تمضي عليه مدة التعمير وهي خمسة وسبعون سنة على المشهور من قول المالكية ولا يمكن له بيع المنقول من الأموال المكلف بتدبيرها من غير اذن صريح من القاضي برسم عدلي

وإذا جاء خبر موت الغائب أو مضت عليه مدة التعمير أعطَى حساب ما تصرف فيه لورثته بعد الاذن له من القاضي وان لم يترك الغائب عاصبا عصبه بيت المال ولا يسوغ له التصرف في أموال الغائب بل يجب عليه أن يضعها في البنك المخزني ولا يخرجها إلا بإذن القاضي وأجرته من مال الغائب بنسبة مئوية لا نعلم قدرها قبل الحماية وبعد الحماية ، عينها الظهير الشريف المؤرخ في 27 جمادَى الأولى عام 1368هـ موافق 28 مارس 1949م وهي خمسة في المائة (5 ٪) لمبلغ قدره مليون وثلاثة في المائة من مليون إلى مليونين واثنين في المائة لما فوق ذلك بعد اسقاط واجب الرسوم والصوائر

ويتخذ الوكيل الكنانيس يدون فيها حساباته على الطريقة القانونية ويقدم كل سنة حساب تصرفاته بالمصادقة عليه .

خطـة أبـي المواريـث

هو المكلف بقبض ما يرجع لبيت المال في تعصيبه عن الهالك

فإذا مات مسلم أو مسلمة ولم يترك عاصبا عصبه بيت المال الذي ينوب عنه أبو المواريث في البحث عن حقه وقبض ما يجب له من متخلفات الهالكين الذين لا عاصب لهم إلا بيت المال

وإذا نازعه أحد في حق المخزن أجرى المسطرة معه كسائر الورثة فيتعين عليه أن يخاصم ويظهر الحق ويبيعه أصلا كان أو غيره أرضا أو منقولا بالسمسرة بعد حصوله على اذن أمين الأملاك ومراقب الأملاك المخزنية كما كان عليه أن يكفن موتى الفقراء الغرباء الذين لا مال لهم وتتحمل البلدية مصاريف ذلك وأعمال أبو المواريث تحت نظر مراقب الأملاك المخزنية فيضع بالبنك المخزني النقود التي يقبضها تحت تصرفاته ولا يخرجها إلا بإذن أمين الأملاك ومراقب الأملاك ويتقاضَى أجرته من الأموال التي يتصرف فيها بنسبة مئوية كما هو مبين في الظهير المؤرخ في 26 ربيع الأول 1366هـ موافق 19 يبراير 1947م والظهير المدون خصائص أبي المواريث المؤرخ في 22 حجة 1341هـ موافق 6 غشت 1923م بعدما كانت وظيفته وكيل الغياب بيد رجل واحد طبقا لما كان قضَى به الظهير الشريف المؤرخ في 22 رمضان 1333هـ موافق 4 غشت 1915م الذي عين اختصاصهما ثم استقل أبو المواريث عن وظيفته فيسميه الصدر الأعظم باقتراح مدير الأملاك المخزنية ومساعدة الإدارة الداخلية كما له أن يعزله ان انحرف عن واجبه بتقرير مثبت من إدارة الأملاك المخزنية

نقلنا ما يتعلق بوكيل الغياب وأبي المواريث من كتاب البيان المطرب لنظام حكومة المغرب

نظام المرسَى والديوانة بالدار البيضاء

كانت مرسَى الدار البيضاء وديوانتها كسائر مراسي المغرب لها أنظمة خاصة من هذه الأنظمة كان لها رئيس وله التفويض التام في شؤون الميناء وله خليفة

يقوم مقامه في غيبته ويعاونه في مهماته وكان الرئيس يتأمر على أصحاب القوارب وينظم أسفارهم والقوارب كانت ملكا لأصحابها والرئيس والخليفة لها عدد وافر منها في غالب الأحيان ويقود القارب عدد من البحارة منهم من يتولى زمام القارب ويقوده يسمَّى مولى الدمان وإذا رسا مركب حامل للسلع بعيدا من المرسَى اتفق الرئيس مع الخليفة على ثمن السفرة وإذا حصل الوفاق أخذ أصحاب القوارب يحملون السلع والمسافرين إلى البر والبحرية كان لهم رئيس هو الذي كان يفرق عليهم أجورهم مما اقتضاه من صاحب المركب وكان للديوانة إدارة تشتغل بمسائل الديوانة كقبض الاعشار ومراقبة السلع الواردة والصادرة وعلى رأسها موظف مخزني يسمَّى «أمين الديوانة» يعينه جلالة السلطان ويعين له راتبا مخزنيا

وكان تحت أمر «أمين الأمناء» ومعه عدلان مشتغلان بالكتابة وتحرير رسوم الديوانة وتلقي شهادة أصحاب السلع لأجل الاعشار وكانت لها حسابات وكنانيش

ومع الأمين المذكور أمناء تحت أمره أقل منه رتبة منهم من يتقاضَى الواجبات المخزنية ومنهم من يتكلف بالوزن والحسابات ويسمَّى مولى الميزان

وكان أمين الديوانة يقبض المستفادات كالمكوس وواجب اللحوم

وكان يؤجر الموظفين المخزنيين ويتقف السلع المحرمة الداخلة والخارجة خفية ويبيعها بالسمسرة

ومن مصلحة الديوانة قبض الاعشار المخزنية على السلع الواردة على المغرب والقيام بحراسة التخوم المغربية من مرور البضائع وتتبع دخولها إن لم يعشر عليها وتثقيف السلع التي يمنع القانون ورودها أو صدورها أو بيعها

نـاظـر الحبـس

هو المكلف بالنظر في شؤون الأملاك المحبسة في سبيل الله على الفقراء والمساكين والمساجد والزوايا وأضرحة الأولياء والحرمين الشريفين بقبض أكريتها وغللها وإصلاح ما يحتاج لاصلاحه منها والمكلف بفرش المساجد وانارتها وادخال الماء ويؤدي أجور الموظفين من أئمة ووعاظ ومؤذنين ومعه عدلان لضبط أوفار الحبس في

كناش يسمّى الحوالة الحبسية ومعه قباض لقبض ما يتحصل من الأكرية والغلل وهو المكلف بحفظ الأملاك وإقامة الدعاوي مع من يروم الاستيلاء عليها

ويؤدي أجور العدول والقباض ، وله هو أجرة معينة مئوية من المدخول وتوظيفه بظهير ملكي سلطاني أما أجرته بنسبة مئوية فكانت قبل الحماية وفي عهد الحماية عينت له أجرة كسائر الموظفين

في نطاق علائق السلطان مولاي الحسن مع الدول الأوربية

بعث عاملين من عمال الشاوية سفيرين لملوك دول أوربا

الأول الحاج المعطي بن الكبير عامل قبيلة امزامزة بعثه سفيرا لدولة فرنسا

والثاني السيد عبد السلام برشيد الحريزي سفيرا إلى دولة ألمانيا

وفي الاتحاف لابن زيدان الجزء الثاني ، صحيفة 317 وجه للدولة الفرنسية سفارة يرأسها القائد المعطي بن الكبير المزمزي معززا بالكاتب السيد أحمد الكردودي والأمين ابن المدني بنيس وإليك نص الكتاب السلطاني للرئيس كارنو بعد الافتتاح

إلى المحب سامي الرتب الموقر المنتخب الملحوظ بملامح الاحترام والأثرة والاكرام الموصوف بين الرؤساء العظام بصميم الثناء والسياسة والذكاء كبير الجمهورية بالدولة الفرنسية الفخيمة البهية الرئيس المعظم كارنو

أما بعد ،

حمدا لله الذي لا إله إلا هو العلي العظيم فلا زائد على المعهود من المحبة والمودة إلا الاعلام بما اقتضاه جميل المعاملة وجليل المجاملة من توجيه خديمنا الأرضَى الأفصح الأنجد الأصلح القائد المعطي بن عبد الكبير المزامزي سفيرا إليكم مؤديا مشافهة بحول الله ناجحا لديكم بعد أن انتخبناه من سليل الجماهير خدام أعتابنا الشريفة المشاهير الذين لهم القدم الراسخ فيها خلفا عن سلف ومن بيوتات المجد وحملناه ما يؤديه إليكم من حسن المجازاة والثناء والمكافأة على ما ظهر من جانبكم

الأفخم من حسن الموالاة التي تأكدت بتوجيه سفيركم لحضرتنا الشريفة تأكيدا للمحبة وزيادة المودة والاعراب عما في النية وما تضمنته الطوية مما حرك نشاطا وسرورا وانبساطا وعززناه بكاتبنا الأرضَى الأنجد الطالب أحمد الكردودي وخديمنا الأرضَى الأمين الحاج محمد بن المدني بنيس ونحن على يقين من أنكم تقابلون الجميع بمزيد المبرة والقبول وتبلغهم من الاعتناء غاية المأمول وتصدقون السفير المذكور فيما حملناه وفي كل ما يذكره لكم عن جانبنا العالي بالله من جميل الاعتقاد وكامل الوداد وما يقوي أسباب الاتصال ويحصل فوائد الاحتفال والاهتبال عما يزيد بحول الله في الخير بين الايالتين وتتأكد به المحبة بين الدولتين فإن مقصدنا ومناط معتقدنا هو ربط أسباب الخير بين الدول العظام سيما مع من هو مثلكم من الجوار الذي عليهم في المحبة المعول وادخار صحبتهم من الأهم الأول ودمتم مخصوصين بالاعتبار التام في الافتتاح والاختتام

وحرر في 27 عام 1306 هجرية

ومن ذيول هذه السفارة

ان العامل السيد المعطي بن الكبير المزمزي ارتكب خطئا بسيطا مع رئيس الباخرة التي نقلته وهو غفلته عن عدم رد التحية للرئيس وقفنا بمكتبة تطوان بالمحفظة 8 / 19 على ظهير شريف حسني في الموضوع نصه

الحمد لله وحده وصلَّى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

الطابع الشريف بداخله الحسن بن محمد الله وليه

خديمنا الأرضَى الحاج محمد بن العربي الطريس وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد ،

فإن الخديم الحاج المعطي بن عبد الكبير المزمزي لما ورد من سفارته للدولة الفرنسية وكلم في عدم رده السلام لرئيس المركب التي وردت لحمله من طنجة لباريس أجاب بأن عادة من تقدمه من السفراء هي رد السلام على رئيس المركب عند ركوبه فيها بقصد السفر وأنه بحث في ذلك بطنجة فلم يجد من يحقق له فاعتمد



سفارة الحاج المعطي بن الكبير بن المدني لإيطاليا.

فيه على عادة السفراء المذكورة وذكر أن الكلام جرَى بينه وبين الدولة الفرنسية في ذلك بباريس فذكرت له أن عدم رده السلام لرئيس المركب قبل سفره فيها ليس بصواب وأن العادة الجارية في ذلك بين سفراء الدول ورؤساء المراكب التي تأتي لحملهم هي رد السفير السلام لرؤسائها فيها قبل سفره وأنها سامحته في ذلك وعليه فحيث ذكرت الدولة الفرنسية المحبة أن العادة الجارية في ذلك بين سفراء الدول وبين رؤساء المراكب التي تأتي لحملهم هي ما ذكر فقد قلدناها في ذلك ولم يبق عندنا بحث فيه تصديقا لها فنأمرك أن تكون على بال من ذلك وتكون تنبه عليه سفراء حضرتنا الشريفة عند حلولهم بطنجة بقصد الركوب منها للسفارة والسلام

في 17 من ربيع الأول النبوي عام 1307هـ
بالمحفظة رقم 8 / 19

وأخبرني ثقة أن العامل الحاج المعطي المذكور لما استقبله رئيس الجمهورية الفرنسية ناوله لفافة تدخين وهو على عادته لا يدخن

فمن أدبه أنه تناول من الرئيس المذكور لفافة التدخين وأدخلها في جيبه قائلا سأتركها عندي تذكارا تاريخيا من جلالتكم ففهم الرئيس المقصود فاستحسنه

والعامل الثاني من عمال الشاوية السيد عبد السلام بن محمد بن رشيد بعثه سفيرا للدولة الألمانية وقفنا على ثلاثة ظهائر في الموضوع الأول فيه جواب لقنصل ألمانيا عن بيان اسم السفير ومرتبته ووقت سفره نصه

الحمد لله وحده وصلَّى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

خديمنا الأرضَى الحاج محمد بن العربي الطريس وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد ،

وصل كتابك وبطيه ما كتب لك به نائب الألمان من طلب دولته بيان اسم السفير ومرتبته من الخدمة ووقت سفره ليعلم هل يمكن لملكهم انتظاره حيث هو على نية السفر وصار بالبال اما السفير فهو الخديم القائد عبد السلام بن رشيد الحريزي واما مرتبته فالعمالة وهو من خواص العمال وأرفعهم مكانة لدينا ودارهم دار ولاية خلفا عن سلف مع ما لهم من الاتصال بنا وبأسلافنا المقدسين ومن النصح في خدمتنا الشريفة ولأجل ذلك رشحناه لهذه السفارة وانتخبناه لها .

وأما وقت سفره فهو شهر ربيع الثاني حسبما تقدم لك الاعلام به وأما من سيعين معه فأحد من أعيان أمناء الأمور المالية وكاتب من أعيان كتاب أعتابنا الشريفة وعشرة مخازنية في مرتبة قواد المائة فاعلم النائب بذلك وطير لنا الاعلام بما أجابك به عنه والسلام

في متم صفر عام 1306هـ
محفظة 7 / 28

ونص الثاني جواب من السلطان مولانا الحسن إلى الحاج محمد الطريس من اعلام نائب الألمان بأن دولته متعذر عليها توجيه باخرة حربية لحمل السفير وستوجه عوضها باخرة من البواخر الكبار لحمله وأن الباخرة التي ستحمله لا مدفع فيها لاخراج المدافع عند ركوب السفير وعند نزوله ونصه

الحمد لله وحده وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

خديمنا الأرضَى الحاج محمد بن العربي الطريس وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد ،

وصل كتابك بأن نائب الألمان كتب لك بما في كتابه الذي وجهت من ورود الاعلام له من دولته بتعذر توجيهها مركبا حربيا لحمل السفير بالسبب الذي بينه وعزمها على توجيه بابور بكيط من بابوراتها الكبار المستخدمة في مهماتها لحمله وكون الوعد المجعول لسفره لازال على حاله وذكرت أن القانون الجاري هو اخراج المدافع من مرسَى طنجة عند ركوب السفير وعند نزوله والبابور المذكور لا مدفع فيه وصار بالبال أما السفير فقد توجه من حضرتنا الشريفة لطنجة في السابع عشر من شهر تاريخه ، وأما ركوبه في البابور المذكور بحيث تعذر أمر توجيه المركب الحربي لركوبه ، فهم أعرف بقوانين البحر فليركب في ذلك البابور فإن الزائر في قبضة المزور

وأما اخراج المدافع فامضوا فيه على مقتضَى القانون في ذلك والسلام

في 25 من ربيع الأول عام 1306هـ
محفظة 7 / 51

ونص الرسالة الثالثة تتضمن جواب الطريس بتاريخ ركوب السفير نصه

الحمد لله وحده وصلّى الله على سيدنا محمد وآله

خديمنا الأرضى الحاج مَحمد بن العربي الطريس وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد ،

وصل كتابك بركوب الخديم ابن رشيد في الواحد والعشرين من الشهر الفارط في البابور الذي وصفت وتوجهه لبلاد الألمان هو ومن معه وصار بالبال أصحبهم الله السلامة والسعادة والسلام

في 3 جمادَى الثانية عام 1306هـ
محفظة 7 / 74

وقد كان أخبرنا صديقنا عامل منطقة ابن رشيد الحاج محمد ولد شميسة ولد العامل المذكور أن والده عند استقباله امبراطور ألمانيا في قصره وكان الامبراطور في الطابق الأعلى ووالده بالطابق الأسفل وعند الصعود إليه أصيب بتوعك في احدَى رجليه فعجز عن الصعود فأمر الامبراطور المكلفين بالقصر بحمله على السواعد

وهكذا استقبله الامبراطور محمولا فلما استقبله متأسفا هش في وجهه وبش مرحبا بقدومه وكما بعث السلطان مولاي الحسن القائد الحاج المعطي بلكبير سفيراً لفرنسا بعثه أيضاً سفيراً لإيطاليا تكلم على هذه السفارة ابن زيدان في الجزء الثاني من أتحافه صحيفة 352

آثار السلطان مولاي الحسن بالدار البيضاء

من مآثره رحمه الله إصلاح مرفأ مرسَى الدار البيضاء الذي كان وعد باصلاحه بعد زيارته إليها وكان هذا الإصلاح باشراف الحاج عبد الخالق أفرج محتسب الرباط الشهير وبقي هذا المرفأ مستعملا إلى احتلال فرنسا بالدار البيضاء

ومن آثاره بناء صومعة جامع ولد الحمراء حيث يوجد مرقوم على بابها ، تاريخ البناء هو سنة 1310 هجرية ، ومن آثاره بناء السور الجديد وهو عبارة عن ميدان فسيح يحتوي على عدة هكتارات محاط بالسور بالجهات الأربع في أبراج محكمة البناء وقصده في بناء هذا السور أن يكون سكنَى الأجانب منعزلا عن سكنَى الأهالي

المسلمين لاختلاف العوائد وافتراق المشارب والاذواق وقد بني على يد الأمين محمد ابن سعيد الرباطي المعروف بالكدر والحاج عبد الخالق أفرج محتسب الرباط

وفي أثناء بنائه مات السلطان رحمه الله وبقي المحل معدا لتخييم الجيوش المخزنية وقت ما مرت بذلك الثغر وقد يتفسح فيه أهل البلد عند فراغهم من نزول الجيش وبالأخص في زمن الربيع وتقام به نزهة لسلطان الطلبة وبعد احتلال فرنسا الدار البيضاء أحدث فيه شارع عمومي اتخذ بجانب منه مستشفى عسكري

قراءة حزب الشادلي بالدار البيضاء

مما يتعين ذكره في تاريخ الدار البيضاء في عصر السلطان مولاي الحسن الأول مما تقدم لنا ذكره من رواتب الديوانة بالدار البيضاء ومن جملتها راتب الفقيه القارئ لحزب الشادلي وقدره ثمانون متقالا فمن الغريب في التاريخ أن نجد راتب قادئ حزب الشادلي في الدار البيضاء دون أن نعلمه في مدن المغرب وقراه إذ من المعلوم أن الراتب كان يمنح لقارئ أحزاب القرآن الستين في كل يوم حزبين حزب بعد صلاة الصبح وحزب بعد صلاة المغرب ، والمكلف بأداء الراتب هو وزارة الأوقاف والقارئ أطلقوا عليه حزَّاب بفتح الحاء والزَّاي مشدَّدة ويجمع على حزّابة ، ومن النوادر في التاريخ أن تختصّ مدينة الدار البيضاء بقراءة حزب الشادلي

وفي القاموس الحزب بالكَسر الورد الطائفة والسلاح وجماعة من الناس والأحزاب جمْعُه

وأول حزب سجل هو الحزب الذي وضعه عبد القادر الجيلالي (المتوفى عام 561هـ) ووضعت بعد ذلك أحزاب كثيرة من تصنيف ابن عربي (المتوفًى عام 676هـ) وغيرهم ، وأشهر هذه الأحزاب جميعا حزب البحر للشاذلي ويسمَّى أيضا الحزب الصغير تمييزاً له عن حزب آخر للشاذلي أطول من الأوّل ولكنه دونه شهرة ؛ وهذا الحزب محبب إلى المسافرين وخاصة من يركبون البحر لأنه في معظمه يسخّر البحر لهم ، وقد كتب سنة 656هـ وهي السنة التي توفي فيها الشاذلي ، وهو يشمل اسم الله الأعظم ، وقد استولى المغول على بغداد في تلك السنة ؛ وقيل على وجه

التحقيق إن الشاذلي قال إن بغداد ما كانت لتسقط لو أن حزبه ثلي فيها ، وقد أورد ابن بطوطة نصه كاملا في رحلته

والشادلي هو أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبّار الشريف الزرويلي صوفي مشهور مؤسس طريقة وقد تفرّع عنها نحو من خمسة عشر طريقة أخرى مثل الوفائية والعروسية والجزولية وغيرها ، وفي مدينة فاس تلمّذ على أصحاب الجنيد ومحمد بن علي بن حرازم تلميذ أبي مدين التلمساني وتأثر بصحبة شيخه مولاي عبد السلام بن مشيش (المدفون بجبل العلم) والذي نقل هذا الحزب من المشرق إلى المغرب هو ابن بطوطة لعلّ القارئ يجد فيه بغيته من التحصن من كوارث الطبيعة والأسفار البحرية وإنما الأعمال بالنيات

نصّه بعدما ذكر أن الشادلي كان يسافر في كل سنة على صعيد مصر وبحر جدّة ، فكان إذا ركب السفينة يقرؤه في كلّ يوم ، وتلامذته إلى الآن يقرؤونه في كل يوم وهو هذا يالله يا علي ياعظيم ياحليم ياعليم أنت ربي وعلمك حسبي ، فنعم الرب ربّي ، ونعم الحسب حسبي ، تنصر من تشاء ، وأنت العزيز الرحيم ، نسألك العصمة في الحركات والسكنات والإرادات والخطرات من الشكوك والظنون والأوهام الساترة للقلوب عن مطالعة الغيوب ، فقد ابتلَى المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً ليقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلاّ غروراً ؛ فثبتنا وانصرنا وسخر لنا هذا البحر كما سخرت البحر لموسَى عليه السلام ، وسخرت النار لإبراهيم عليه السلام ، وسخرت الجبال والحديد لداود عليه السلام ، وسخرت الريح والشياطين والجن لسليمان عليه السلام ، وسخر لنا كل بحر هو لك في الأرض والسماء والملك والملكوت ، وبحر الدنيا ، وبحر الآخرة ، وسخر لنا كل شيء يا مَن بيده ملكوتُ كل شيء ، كهيعص ، حم ، عسق ، انصرنا فإنك خير الناصرين ، وافتح لنا فإنك خير الفاتحين ، واغفر لنا فإنك خير الغافرين ، وارحمنا فإنك خير الراحمين ، وارزقنا فإنك خير الرّازقين ، واهدنا ونجّنا من القوم الظالمين ، وهب لنا ريحاً طيّبة كما هي في علمك ، وانشرها علينا من خزائن رحمتك ، واحملنا بها حمل الكرامة مع السلامة والعافية في الدين والدنيا والآخرة ؛ إنك على كل شيء قدير، اللهم يسر لنا أمورنا مع الراحة لقلوبنا وأبداننا، والسلامة والعافية في ديننا ودنيانا وكن لنا صاحبا في سفرنا، وخليفة في أهلنا، واطمس على وجوه أعدائنا

وامسخهم على مكانتهم ، فلا يستطيعون المضي ولا المجيء إلينا ، ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فآستبقوا الصراط فأني يبصرون ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم فما استطاعوا مضيا ، ولا يرجعون ، يس إلى فهم لا يبصرون ، شاهب الوجوه وعنت الوجوه ، للحي القيوم ، وقد خاب من حمل ظلماً طس طسم حم عسق ، مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان حم حم حم حم حم حم حم حم الأمر وجاء النصر ، فعلينا لا ينصرون ، حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب ، وقابل التوب شديد العقاب ، ذي الطول ، لا إله إلا هو إليه المصير ؛ بسم الله بابنا تبارك حيطاننا ، يس سقفنا ، كهيعص كفايتنا ، حم عسق ، حمايتنا فسيكفيكهم الله ، وهو السميع العليم ، ستر العرش مسبول علينا ، وعين الله ناظرة إلينا ، بحول الله لا يقدّر علينا ، والله من ورائهم محيط ، بل هو قرآن مجيد في لوحٍ محفوظ فالله خير حافظنا ، وهو أرحم الراحمين ؛ إن وليي الله الذي نزلَ الكتاب ، وهو يتولّى الصَّالحين ، فإن تولواْ فقل حسبي الله لا إله إلاّ هو ، عليه توكلت ، وهو رب العرش العظيم ، بسم الله الذي لا يضر مع آسمه شيء في الأرض ولا في السماء ، وهو السميع العليم ، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العلي العظيم ، وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم (انتهَى الحزب المذكور وحم الثامنة تقرأ بضمّ الحاء وفتح الميم مشدّدة مبني للفاعل)

الدار البيضاء والشاوية في عصر السلطان مولاي عبد العزيز

اهتمامه بنشر العلم وبثه

قد سبق لنا تسجيل الحركة العلمية في عصرنا ، وقبل عصرنا كان السلطان مولاي عبد العزيز مهتما بالتعليم ونشر العلم بالدار البيضاء وكان يخصص عالمين من علماء فاس يرسلهما للدار البيضاء بقصد بث العلم ونشره ويعين لهما محلا للسكنَى وما

(60) دائرة المعارف الإسلامية الجزء السابع صحيفة 369 ـ 370

(61) نفس المصدر الجزء الثالث عشر صحيفة 56 .



مـولاي عبـد العـزيـز.

يكفيهما من الراتب لمدة عام واحد ثم يبدلهما بآخرين

وقفنا على ظهائر شريفة في الموضوع نقلناها في كتاب الاتحاف لابن زيدان الجزء الأول بصحيفة 439 و440

نص الأول

خديمنا الأرضَى ناظر أحباس الدار البيضاء حرسها الله الطالب ادريس الفيلالي وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد ،

فقد أصدرنا أمرنا الشريف للقاضي بفاس بتعيين فقيهين مدرسين وتوجيهما على يد خليفة العامل ثمه واصلين للثغر المذكور بقصد بث العلم ونشره وتدريسه والتمشي على الضابط المبين بطرته وأمرنا أمناء دار عديل بأن ينفذوا لهما ما ينفذ لأمثالهما في جهازهما سلفا عنك لتوجهه لهم من وفر الأحباس المذكور بعد بيانه وعليه فنأمرك أن توجه لهم ما يدفعونه لهما في ذلك عند تبيهم ذلك لك بفور وصوله إليك على يد العامل ثمه

ليوجهه لهم بواسطة خليفة عامل فاس فقد أمرنا المؤونة التي تحصل لهما الكفاية بها من الأحباس بعد اعلام جانبنا العالي بالله بقدرها والسلام

في 13 صفر عام 1316هـ

والضابط المشار له هو ما لفظه في أول النهار نصاب في المختصر بما يناسب المبتدئين من الساعة العاشرة إلى الزوال ونصاب في التحفة كذلك من الظهر إلى العصر ونصاب في النحو بالألفية بين العشائين ونصاب في الرسالة والمرشد

وفي بكرة الخميس والجمعة نصاب بالجرومية لصغار المتعلمين

ونص الثاني

خديمنا الأرضَى ناظر أحباس الدار البيضاء حرسها الله وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد ،

فنأمرك أن تنفذ للطالبين المدرسين الواردين لهناك من فاس بقصد التدريس وبث العلم دارا من دور الأحباس لنزولها وعشرين ريالا للواحد من مدخول

الأحباس في كل شهر حتَّى تكمل مدتها وهي سنة واحدة ليعين بدلها عند انقضائها بحول الله على يد قاضي فاس والسلام

في 16 جمادى الأولى عام 1316هـ

ونص الثالث

ناظر الأحباس بالدار البيضاء حرسها الله أن يكون يدفع من مستفاد آخر كل شهر لكل واحد من الفقيهين السيد محمد بن الطاهر بناني والسيد محمد الصنهاجي ثلاثين ريالا في مرتبه الشهري إعانة له على تدريس العلم الشريف بها والسلام

صدر به أمرنا المعتز بالله في عشري رجب الفرد الحرام عام 1316هـ

ونص الرابع

خديمنا الأرضى ناظر الأحباس بالدار البيضاء حرسها الله وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد ،

فقد أمرنا بابدال الفقيهين المدرسين هنالك السيد محمد بناني والسيد محمد الصنهاجي ونأمرك أن تدفع لكل منهما خمسين ريالا من وفر الأحباس صلة ، والسلام

في 20 رجب عام 1318هـ

ومن اهتمامه بحياطتها وتحسين شؤونها

وقفنا على ظهائر ذكرها ابن زيدان في اتحافه الجزء الأول صحيفة (433)ـ (434)ـ (435)

النص الأول

بعد الحمدلة والصلاة والطابع

خدامنا الأرضين أمناء مرسَى الدار البيضاء وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله وبعد ،

فقد أخبرنا الأمين الطالب عبد السلام والزهراء الرباطي بأن المهراسين اللذين

بالبرج اليزيدي أحدهما ملقي على الأرض والآخر بمحل الإشارة خارج البرج على سرير مكسر ، وكانت له طبلتان تلاشى فراشها واندثر بناؤهما باهمالها وتراكم الازبال حولها من النوائل والبناءات وعليه فنأمركم بالوقوف على عين المحل الذي به مهراز الإشارة وتنظيفه وتصوينه ورده لحالته القديمة وتجديد سرير المهراسين كما كانا بما يحتاج إليه ورد البال لذلك في المستقبل

وقد أمرنا العامل بالوقوف معكم وشد العضد في ذلك والسلام

في 17 جمادى الثانية عام 1325هـ

ونص الثاني

خدّامنا الأرضين أمناء مرسى الدار البيضاء حرسها الله وفقكم الله والسلام عليكم ورحمة الله وبعد

فقد بلغ لعلمنا الشريف أن محل ترسية الفلائك بتلك المراسي مفتقر للتحسين والاصلاح وأن صائر حصول المقصود من ذلك قوم بنحو سبعة آلاف فرنكا ، وعليه فنأمركم أن تشرعوا في إصلاح ذلك بما تحسن به هيئته من الصفات المرادة والسلام

في 23 شوال الأبرك عام 1325هـ

والنص الثالث

بعد الحمدلة والصلاة والطابع الشريف

خدامنا الأرضين أمناء مرسَى الدار البيضاء وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله وبعد ،

فقد أخبرنا القائد قاسم الأودي أن المؤونة مقطوعة عن ادالة اخوانه الذين بقصبة الصخيرات من وقوع الحادثة هناك وعليه فنأمركم أن تبينوا ما توفر لهم من المؤونة في المدة التي لم يتوصلوا بها وتكونوا تؤدونها لهم على العادة والسلام

في 5 قعدة عام 1325هـ

ونص الرابع

بعد الحمدلة والصلاة والطابع الشريف

خدامنا الأرضين أمناء مرسَى الدار البيضاء المحروسة بالله وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله وبعد ،

فقد أخبرنا القائد قاسم الأودي أن ادالة اخوانه الذين بقصبة الصخيرات يسألون للأمناء قبلكم من قبل مؤونتهم واجب لأربعة أشهر كما يسألون لكم واجب ستة أشهر دفعتم لهم منها واجب شهر واحد وعليه فنأمركم أن تدفعوا لهم ما يسألونه لكم وللأمناء قبلكم من قبل ذلك والسلام

في 22 حجة الحرام عام 1325هـ

ونص الخامس

بعد الحمدلة والصلاة والطابع الشريف

خدامنا الأرضين أمناء مرسَى الدار البيضاء المحروسة بالله وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله وبعد ،

فقد أخبر القائد ادريس بن العربي الأودي أن أدالة اخوانه الذين بقصبة الصخيرات يسألون من قبل مؤونتهم المنفذة لهم بالمرسَى هناكم واجب عشرة شهور وقد لحقهم الضرر من ذلك وعليه فنأمركم أن تبينوا الواقع في ذلك وفي ذمة من توفرت لهم هذه المدة وقدر ما توفر لهم فيها والسبب في عدم تمكينهم منها لنرَى في ذلك والسلام

في 23 جمادَى الأولى عام 1326هـ

ونص السادس

بعد الحمدلة والصلاة والظهير الشريف

خدامنا الأرضين أمناء مرسَى الدار البيضاء المحروسة وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله وبعد ،

فقد طلب من على جنابنا الفريلية السبليونيون اتمام الانعام عليهم بعدم بحث

حوائجهم الخاصة بهم المسرح لهم دخولها بدون اعشار واستظهروا بظهائر شريفة لاسلافنا الكرام مصرحة بعدم فتح صناديقهم التي ترد لهم وقد ساعدناهم على طلبهم ونأمركم أن تجروا حوائجهم مجرَى حوائج القناصل في دخولها من غير فتح ولا تفتيش والسلام

في 21 حجة عام 1325هـ

ونص السابع

خدامنا الأرضين أمناء مرسى الدار البيضاء وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله وبعد

فالسلاح الذي تسرحون ادخاله للمرسَى على مقتضَى ضابطه نأمركم بأن تكونوا تقبضون من صاحبه ما يلزمه في اعشاره بحسب عشرة في المائة لأن مضمن ما يأتي به إليكم من طنجة هو التسريح فقط لا اسقاط الاعشار والسلام

في 22 ربيع الثاني عام 1326هـ

ونص الثامن

نأمر خديمنا الأرضَى ناظر أحباس الولي الصالح سيدي أبي الليوث بمحروس ثغر الدار البيضاء أن يكون يدفع الأجرة المتعارفة للمعلمين الذين يختانون الصبيان اليتامَى وأولاد الضعفاء بالزاوية القادرية هنالك وأن يكسوهم بما يناسب حالهم كل عام وقت الاختتان من فتوحات الولي المذكور والسلام

في 8 ربيع الثاني عام 1316هـ

ونص التاسع

خديمنا الأرضَى ناظر الشيخ أبي الليوث بمحروسه ثغر الدار البيضاء وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد ،

فقد بلغ علمنا الشريف أن المرضي من الأفاقيين وأهل البلد الذين لا مأوَى لهم يمرضون في الطرقات وينقلون لبيوت خارج المدينة ويبقون هنالك حتَّى يموتوا جوعا وعطشا .

وقد اقتضَى نظرنا الشريف جمعهم بالبيوت التي قرب ضريح الشيخ المذكور . فنأمرك أن تجمعهم فيها وتخص الرجال ببيوت منها والنساء ببيوت منها كذلك بعد أن تصلح ما لابد من اصلاحه منها وتزيد ما يتوقفون عليه من البيوت وتكون تدفع لكل مريض خبزتين أو ثمنهما في كل يوم ومن توفي منهم يقوم بتجهيزه ناظر المواريث ومن حصلت له العافية يتوجه لحاله وتسقط مؤونته ومن زاد تزاد له مؤونته وهكذا وقد أمرنا الخديم أحمد المديوني بالوقوف في ذلك وشد العضد فيه حتَّى ينفذ أمرنا على مقتضاه والسلام

في 6 قعدة عام 1318هـ

ونص عاشر

خديمنا الأرضَى ناظر أبي الليوث وأحباس الدار البيضاء الطالب ادريس الفيلالي وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد ،

فقد وصل جوابك عما أمرت به من تنفيد الخبز للمرضى والأفاقيين وجعل البيوت لهم بأنك نفذت ترتيب الخبز لهم من مستفاد الضريح المذكور غير أن العامل أطلعك على كتاب شريف بأن الصوائر تكون من ربيعة الشيخ ، مع أن الربيعة تفتح على يد أمناء المرسَى والقاضي ويفرق ما يوجد فيها فالثلث على الضعفاء القاطنين بجوار الشيخ والباقي يصيره في ختان اليتامَى وأبناء الضعفاء وتعين عليك أن تصير على المرضَى مما تحت يدك من المستفاد مبادرة لامتثال ما أمرناك به والعمل على ما يصدر لك في المستقبل

وعليه فإن الذي يكون عليه عملك هو أن الصائر يكون ثلثاه من وفر الأحباس الكبرَى والثلث الواحد هو الذي يكمل من فتوحات الولي المذكور وما عداه من بقية الفتوحات ينفذ في مصالحه ووظائفه المعهودة فيه فليجر عملك عليه وقد كتبنا للقاضي والأمناء والعامل بمثله والسلام

في 15 قعدة عام 1319هـ

غزوة السلطان مولاي عبد العزيز
قبائل لعشاش وسبب التسمية بالأعشاش

قبائل[62] لعشاش نصف قبائل أمزاب والنصف الآخر يسمّى املال ولعشاش من بني سليم بن منصور وهم بطون كثيرة هم ينتسبون إلى أحمد بن كعب

وكان كعب جدهم يعرف بالحاج لما كان قضَى فرضه ، وكان له من الولد سبعة أربعة لأم وهم أحمد وماضي وعلي ومحمد ، وثلاثة لأم ، وهم بريد وبركات وعبد الغني فنازع أحمد أبناء عمه أولاد شيخة في رئاستهم على الكعوب

وهلك أحمد واستقرت الرئاسة في ولده وكان له من الولد جماعة فمن غزية احدَى نساء بني يزيد من صنهاجة قاسم ومراء وأبو الليل وأبو الفضل ومن الحكمية فائد وعبيد ، ومنديل ، وعبد الكريم ومن السرية كليب وعساكر وعبد الملك وعبد العزيز ولما هلك أحمد قام بأمرهم بعده ابنه أبو الفضل ثم من بعده أخوه أبو الليل بن أحمد وعلت رئاسة بني أحمد هؤلاء على قومهم وتألفوا ولد اخوتهم جميعا وعرفوا ما بين أحيائهم بالأعشاش إلى هذا العهد والأعشاش جمع عشة وهي الخيمة في اصطلاحهم

وكان هذا قبل زمن ابن خلدون في عصر الموحدين وقبائل لعشاش اليوم هم أولاد مَحمد ـ أولاد حمامة ـ أولاد عتو ـ الخلط ـ الخزازرة ـ والمعارف ـ أولاد بني عريف وليسوف وغيرهم وهؤلاء قبائل لعشاش المذكورة كانوا موصوفين بالشجاعة والصولة في الحروب وبسبب قوتهم وصولتهم كانوا يثورون على العمال

منهم القائد عبد الله ولد التوزر المعروفي ثاروا عليه وحاربوه حتَّى غلب على أمره فعزله السلطان مولاي عبد الرحمان سنة 1260 هجرية ثم حاربوا القائد محمد بن أحمد الحمداوي ودامت الحرب بينهم ثلاثة أعوام وكان رئيسهم إذ ذاك بوعزة بن عامر المحمدي حتَّى عزله السلطان

---

(62) كتاب العبر لابن خلدون الجزء السادس صحيفة 149 .

وفي عصر السلطان مولاي عبد العزيز سنة 1315 هجرية بلغ خبرهم إلى السلطان أنهم يفسدون السبل وأنهم عازمون على الثورة فأرسل إليهم السلطان محلة بقصد التهديد والتخويف تحت رئاسة خليفته محمد بن مَحمد المراني

وهذا الغزو الذي نتكلم عليه لم يتكلم عليه من سبقنا من المؤرخين مثل الزياني والضعيف والناصري لتأخر تاريخها عن وجودهم ومصدرنا في خبر هذا الغزو وثيقتان هامتان احداهما تصف الحالة قبل الغزو نقلناها من تاريخ الاتحاف لابن زيدان في ترجمة محمد المراني المذكور من الجزء الرابع صحيفة (289)

والثانية رسالة من السلطان مولاي عبد العزيز إلى عامله الصديق بركاش يخبره فيها بانتصاراته بعد الغزو

فالأولى جواب من الوزير أحماد بن موسَى إلى رئيس المحلة السيد محمد المراني ، وهي جواب عن رسالتين

الأولى مؤرخة في 14 ربيع الثاني 1315هـ

والثانية بالخامس عشر منه وهو جواب عن فصول الرسالتين ومحتواهما

نص الجواب

محبنا الشريف الأرضَى سيدي محمد الأمراني أمنك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله وبعد ،

وصل كتاباك أحدهما بتاريخ رابع عشر شهر التاريخ والثاني بتاريخ خامس عشر منه أخبرت في الأول بأنك لما حللت بالمحلة السعيدة ألفيتها بخير غير أن فساد الأعشاش واملال ومن شاكلهم اشتدت شوكتهم وكثرت آرائهم في تعمير موسم طبق ما تقدم الاعلام به بعدما كان أخبر عمال الأعشاش باضمحلال أمره وأن الفساد تمالئوا واجتمعوا بسوق أولاد مَحمد ونادوا بعمارته رغما على كل أحد وصار الفساد يسري وأن العمال لم يغنوا في ذلك شيئا ولم تظهر لهم خدمة ولا نتيجة وأنك لما رأيت ما هم عليه من الرعب خاطبت قواد أولاد أمراح ، والشباني والبرهمي بانهاض حركتهم حلة ومحلة أمام المحلة لعزمك على الرحيل غدا التاريخ والتخييم بطالع السلطان قرب بلاد الاحلاف ــ والأولاد بعد مفاوضتك ــ في ذلك مع عمال الشاوية المخيمين بالمحلة .

وجوابهم لك باستحسان ذلك وعدم المصلحة في طول مقام المحلة وأن بسبب ذلك استطال الفساد حتّى صاروا يزحفون لغرب المحلة واشتد طمعهم فيها وسرى ذلك لغيرهم من القبائل التي كانت تنالها الأحكام فامتدت أيديهم لنهب السبل وقطعها على المارة وأن من المتعين انهاض محلة الغرب للتخييم بقربكم وتجديد شريف الأمر للجوار بشد العضد والتضييق بالفساد حيث لازال لم يظهر أثر مهم عدى أولاد عبدون الذين لم يقصروا في ضرب الخزازرة وأن من المصلحة تعجيل نهوض الركاب العالي بالله لتدارك رقع أولئك خرق أولئك الفساد وجعل ذلك بيت القصيد ذاكرا أن من هون أمر تلك الناحية وسهل أمرها فقد خان وغش الجناب المعتز بالله

وأخبرتني في الثاني بهوضكم يوم التاريخ المذكور بالمحلة السعيدة وتخييمكم بطالع السلطان قرب دار الحاج عبد القادر الحلفي وقرب الأولاد وتلقيه لكم مع قواد الأولاد الخادمين الابراهيمي والشباني بعدد وافر معتبر من الخيل مظهرين الفرح والسرور وتخييم بعض حلة أولاد أمراح مع حلة الشباني والابراهيمي بقرب المحلة ذاكرا أن هذا النهوض يكون بحول الله سببا في اخضاع شوكتهم وتفريق جمعهم الفاسد وأنه ظهر بسببه أثر الخير وطلب منك عمال الأعشاش الزيادة بالمحلة لقصبة المعاريف قرب دار ولد التوزر وأشار عليك البعض بالتخييم بدار ابن أحمد حيث أن بعض أولاد محمد نازل بقربها وأنك كتبت لأعيانهم وكبرائهم بما تقتضيه المصلحة من التأليف المشوب بالارهاب مع التأمين عليهم وأنه ان أفاد ذلك فيهم فذاك المراد وإلا فلابد من الزيادة بالمحلة السعيدة للتخييم بأحد المحلين المذكورين اظهارا للسطوة المولوية عليهم وصار بالبال بعد اطلاع العلم الشريف به فقال دام علاه أما ما كانوا توافقوا عليه من عمارة موسم الفساد الخ ، فقد كان بلغ شريف علمه ذلك وصدر الأمر بالبحث عن حقيقة ذلك وأما ما خاطبت به أولاد أمراح ومن ذكرت معهم من انهاض حركتهم حلة ومحلة أمام المحلة السعيدة بقصد التخييم بطالع السلطان فقد استحسنه مولانا دام علاه وعده من الحزم وأما ما أنتجته مفاوضتك مع عمال الشاوية من تعين نهوض المحلة الغربية للتخييم قربكم الخ ، فقد صادف الحال أن الأمر الشريف صدر لمولاي الأمين بالنهوض والتخييم بمائة بير وبير من بلاد الحلاليف من زعير في الحدود بينهم وبين الاعشاش ولا يكون إلا وصل وجدد له شريف الأمر بالتضييق بالأعشاش وأما ما طلبته من تجديد الأمر للجوار بالتضييق

بهم فقد جدده لهم واكد عليهم فيه وها كتابه الشريف بذلك يصلك طيه لتوجهه لهم على يدك إلا أنك لم تبين المراد بالتضييق هل بشد الوطأة عليهم فقط كما أمروا الآن أو بضربهم فلتبين ذلك

وأما ما ذكرته من المصلحة في تعجيل نهوض الركاب الشريف فقد تقدم لك الاعلام بنهوض الركاب المعتز بالله يوم الخميس ثامن عشر شهر التاريخ وأمرت فيه بازعاج الاعشاش وأملال لدفع ما هم مطالبون به وتطيير الاعلام بما يظهر منهم فلتمض على ذلك وأما ما أشرت إليه من عدم تهوين أمر تلك الناحية فسيدنا أيده الله من ذلك على بال وسيحكم الله في كل فاسد بباهر قدرته

وأما نهوضكم وتخييمكم بالمحل المذكور فقال أعزه الله جعله الله نهوض يمن وظفر وسلامة

وأما ملاقاة من ذكرت من الخدام للمحلة السعيدة بعددهم وعدتهم فقال نصره الله ذلك المراد منهم أصلحهم الله

وأما ما ذكرت من ظهور أثر الخير بسبب نهوض المحلة فقال أعزه الله كمل الله بخير وحكم سيف عدله في رقبة كل باغ آمين

وأما ما طلبه عمال الأعشاش من نهوض المحلة لقصبة المعاريف وما أشار به الغير من نهوضها لدار ابن أحمد فقال نصره الله الحاضر بصيرة والذي تقتضيه المصلحة من التخييم بأحد المحلين يرتكب وأما ما كتبت لهم به الخ ، فقد استحسنه دام علاه

وأما ما ذكرته من كونهم ان لم يظهر منهم انقياد فلابد من الزيادة لأحد المحلين المذكورين الخ ، فقال دام علاه العمل على ذلك ولا تغيب خبرا وعلى المحبة والسلام

في 20 ربيع الثاني عام 1315هـ
أحمد بن موسَى بن أحمد لطف الله به

والوثيقة الثانية تتضمن غزو الجيوش المخزنية لقبائل العشاش وتطويقهم حسب ما جاء في رسالة كتبها السلطان مولاي عبد العزيز للخليفة الصديق بركاش وأهل الرباط كافة

نـصـــه

الحمد لله وحده وصلّى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

الطابع الشريف وسط دائرته (عبد العزيز بن الحسن بن محمد الله وليه)

وبدائرته (ومن تكن برسول الله نصرته ان تَلْقَهُ الأسد في آجامها تجم)

خديمنا الأرضَى الخليفة الطالب الصديق بركاش وأهل الرباط كافة وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ،

فانا بعون الله وحوله ومنته وطوله قد كنا قدمنا لكم الاعلام بما منحنا به الملك العلام من المواهب الالهية والفتوحات الربانية منذ نهضنا من حضرتنا المراكشية إلى أن حللنا القبيلة العميرية وألفيناها على حالة غير مرضية وشنفنا أسماعكم بما أوقعته بهم سهام الأقدار من نسف المال واخلاء الديار وانهم كانوا غير مقصودين بالذات ، وأن المقصود بهذه الحركة السعيدة غيرهم من الاعشاش المرتكبين لشنيع الهفوات ووعدناكم بالاعلام بما يتجدد من الفتوحات وما ينعم به المولَى سبحانه في سائر الحركات والسكنات وهانحن موفون لكم بذلك الوعد مشنفون أسماعكم بما تجدد ، فبعد أن بلغت العقوبة في بني عمير حدها وأعملت الصوارم فيهم حدها تسارعوا بصبيانهم ونساءهم لشريف أعتابنا متطارحلن تائبين راغبين في العفو عن مقترفاتهم ملتزمين بأداء واجباتهم فقبلنا توبتهم ومحونا من صحيفتهم حوبتهم وامتثلنا فيهم قول مولانا العظيم فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم ووظفنا عليهم ذعيرة تطهيرا لصحيفتهم من دنس الأوزار قدرها خمسون ألف ريال مع أداء مثلها من الواجب عليهم في الحال

فقبلوا ذلك والتزموا أدائه فورا من غير مقال ونهضنا وخيمنا بقصبة الفقيه بن صَالح بحبوحة بلادهم ومحل طارفهم وتلادهم وأقمنا بها ثمانية أيام في أرغد عيش وأحسن مقام لكونهم لم يخطر لهم ذلك ببال بل كانوا يظنون مقام ليلة فيها من المحال شدة عطشها حيث ليس بها إلا ابار يسيرة وبمجرد تخييم المحلة السعيدة بها فاضت مياه غزيرة حتَّى روت المحلة المظفرة أنعم ري

وانتشرت النعم والخيرات بعد الطي وقاموا بدفع ما وظف عليهم خلال المدة المذكورة على كيفية مستحسنة مشكورة ، وحيث عزمنا على التوجه للمقصود الأهم

وكان انتظار أكمالهم أداء الموظف حتَّى يتم يفوت قضاء الغرض في الأعشاش الذي هو بيت القصيد وعتبة الوصيد أمرنا بابقاء أخينا مولاي حفيظ بمحلته مخيما عليهم حتَّى يكملوا بالأداء ويتسربلوا بسربال الوفاء ونهضنا عنهم قاصدين القصبة الزيدانية ومنها إلى القصبة الربعية وأقمنا بها أياما فقاموا بالواجب قياما ثم نهضنا قاصدين قبيلة بني زمور فتلقوا ركابنا الشريف بالفرح والسرور ثم نهضنا منهم لبلد السماعلة وخيمنا بسيدي محمد البصير فقاموا بجميع الواجبات من غير تقصير ثم نهضنا قاصدين بلاد ورديغة إلى أن خيمنا بصخرة الرجاجة فأخذت جيوشنا المنصورة بالله بخنق صقع الأعشاش وملأت فجاجه وأمرنا بتعمير مراكز الأحداق بهم بسرايا من جيوشنا المظفرة وعساكرنا المعنترة بالله المؤزرة ، فخيم عمنا مولاي الأمين والقبائل الغربية ببير مراح في الحدود بين الاعشاش وزعير وابن عمنا سيدي محمد الأمراني بدار ابن أحمد الامزابي بينهم وبين قبيلة أمزاب وابن عمنا مولاي المامون بالعين البيضاء بينهم وبين ورديغة وابن عمنا مولاي بوبكر بن الشريف بعين الزميت بينهم وبين بني خيران الوصيف محمد بن الحفيان البخاري بباكورة والخديم مولاي أحمد الصويري ببسط العرب حتَّى وقع بهم الاحداق وضاق عليهم النطاق

ولما كان أولاد محمد منهم رأس الخطيئة في الفساد وبهم يقتدَى كل صعلوك في ذلك الناد تعينت البداية بهم في التربية ليعلم من هو على شاكلتهم مآل أمره في القضية

فأمرنا المحال المذكورة بالزحف إليهم والأخذ بنواصهم واستنزالهم من صياصيهم فما هو إلا كلمح البصر أو أقرب حتَّى أحاطت بمتمنعهم الذي تمنعوا به حياة سيدنا الجد ومولانا الوالد قد سهما الله واستصالتهم من غير طعن ولا ضرب فقبضوا منهم على عدد معتبر من المساجين وحزوا منهم أربعة وعشرين من الرؤوس بعد أن بقَى بقصر واديهم عدد من ازهقت منهم النفوس وجرعوا مرارة حرّ القرطوس وقد كان البعض منهم ادعَى الصلاح نفاقا وطلب الامان فسوعد عليه بشروط أن أقام بها وفاقا وذلك منهم مجرد خديعة ليكونوا لاخوانهم الفساد مأوَى عند الزحف إليهم وذريعة فلم يلبثوا حتَّى ظهر ما استنبطوه للعيان وتسببوا في نقض شروط الأمان فأمرنا بالزحف إليهم من كل ناحية وأحدقت بهم عقبان الجيوش ولم تبق لهم من باقية وصارت أموالهم للجيوش فيئا ، ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا

واجتمع مهم من المساجين نحو الخمسمائة كلهم وردوا على حضرتنا الشريفة فئة بعد فئة مع أصحاب الجيوش المظفرة بالعز والسلامة ولم يضع لهم ولا مهم ولو قلامة كل ذلك فضل من الله وكرامته ثم صارت المحال المذكورة تركب إليهم كل يوم فلا تجد فيها إلا البوم وكل هذا بعد الاعذار والانذار والاستدعاء بالوعظ والتذكار فلم يرد الله بهم خيرا ولا لطريق الهداية بهم سيرا حتّى وقع اليأس من خيرهم وتحقق فيهم الشقاء فامتثلنا قوله تعالى فيما أنزله على نبيه الكريم انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وعاملناهم بما وجب عليهم شرعا وطبعا فاستأصلتهم سطوة الله القادر أفرادا وجمعا وعاملهم الله بصميم عدله وحاق بهم سيء فعلهم ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله ولازالت المحال المنصورة بالله محيطة بباقي الاعشاش ممن زاغ وبقي وطغَى وعن طريق الصلاح طاش وقد صاروا بذلك أحير من بقة في حقة وكل منهم يطلب لنفسه الخلاص ولات حين مناص وحيث اجتمع ذلك العدد من المساجين والرؤوس اقتضَى نظرنا العالي بالله توجيه المساجين لسجن رباط الفتح اذهى أقرب المدن المعتبرة للمحلة المظفرة حتّى يلحق بهم بحول الله غيرهم ويوزعون على جميع السجون من سائر البلدان

والرؤوس ها هي تصلكم صحبته لتعلق بمحلها على العادة وتقدروا منة الله ونعمته فإنه جل علاه هو الفاعل المختار في كل ايراد واصدار إذ لا معتمد إلا عليه ولا حول لنا إلا بقوته وحوله فله الحمد على ما أجرانا عليه من عوائد بره وأفضاله وله الشكر على ما أسبغ علينا من جزيل نواله ، وأعلمناكم لتعلموا أن الله نصر عبده وهزم الأحزاب وحده وتأخذوا حظكم من السرور وتعمروا أندية الحبور وما يتجدد بعد من مواهب المولى العظيم نعلمكم به معتصمين به سبحانه ومن يعتصم بالله فقد هدَى إلى صراط مستقيم والسلام

في 16 رجب عام 1315هـ

من الأحداث التي سجلها التاريخ في عصر السلطان مولاي عبد العزيز

تولية القائد السيد محمد بن أحمد المزابي وثورة القبائل عليه وما نشأ عنها من

الأحداث تقدم لنا الكلام على ولاية القائد الشرقي بن محمد في عصر السلطان مولاي الحسن وكان خليفته القائد محمد بن أحمد

ولما توفي القائد الشرقي المذكور تولّى عوضه خليفته القائد محمد بن أحمد الذي سميت القرية التي كان يسكن بها باسمه (بن أحمد) تولى هذا القائد حوالي سنة 1300 هجرية حدثني عنه الفقيه السيد العربي بن محمد بن التاغي المزابي الحمداوي الذي كان متوليا خطة القضاء على قبيلة امزاب في أعوام الحرب العالمية العظمَى الأولى وكان يعيش في عصر القائد المذكور قال

بقي هذا القائد المذكور متوليا على قبائل مزاب وله السلطة المطلقة كسلفه القائد الشرقي بن محمد إلى أن تحزبت عليه قبائل مزاب في عصر السلطان مولاي عبد العزيز وكان زعيم الاعشاش إذ ذاك بوعزة بن عامر المحمدي فاشهروا عليه الحرب ، فدامت هذه الحرب بينه وبينهم نحو ثلاثة أعوام توفي فيها من جانبه نحو ألف وثلاثمائة من الأبطال إلى أن وقع صلح بين الطرفين فوضعت الحرب أوزارها

وبعد مدة وجيزة طالبه رجال المخزن بأداء قدر من المال فأجاب بالعجز فاعتقل وسجن بمكناس وبقي خليفته ابن عمه العربي ابن القائد الشرقي ولما اعتقل اجتمعت قبائل الشاوية بما فيهم المذاكرة وأولاد حريز وهجموا على داره ونهبوا خزائنه ومطامره من الزروع وما وجدوه من الحيوان وهدموا داره ، ثم خلفه في العمل الحاج عبد القادر الحلفي بوساطة السيد عبد السلام برشيد قائد أولاد أحريز والقائد الحاج المعطي المزمزي ثم أن الوزير أبا أحماد بعث القائد علال لودي ليلقي القبض على العربي بن الشرقي فتنبه للخطر المحدق به وأخذ الحيطة لنفسه ثم جاءت قبيلة الاحلاف صحبة القائد علال المذكور وأحاطت بمنزله قرب الفجر لما علم بهم شرع هو وأعوانه يدافع عن نفسه وجعل يطلق الرصاص من كوات منزله ثم اختفى في نوالة قرب منزله فاستطاع الفرار منها لقبيلة المذاكرة

فاقتحم أعداؤه داره ونهبوها وسلبوا ما فيها من الحيوان والزروع أما الحاج عبد القادر الحلفي والقبائل التي تولى عليها فقد قابلوه بالعصيان فعجز عن مقاومتهم فنصب قائدا على أولاد شبانة القائد الشباني وعلى بني ابراهيم الحاج بلعباس الابراهيمي ، وعلى أولاد أمراح السيد مَحمد المراحي الحجاجي وبقي الحاج عبد القادر على اخوانه .

أما العربي بن الشرقي ففر من المذاكرة لزاوية أبي الجعد واحتمَى برجال شرقاوة وبقي ملتجئا عندهم إلى أن توسطوا له عند رجال الحكومة فتولى قائدا على أمزاب ثم شرع يقبض على القواد الذين نصبوا بعده شيئا فشيئا فكان آخرهم الحاج عبد القادر الحلفي اقتحموا عليه داره ولما خرج للدفاع عن نفسه طعن بخنجر في داره ولازال العربي بن الشرقي قائدا على القبائل التي تولى عليها إلى احتلال فرنسا للمغرب فانضم إلى فرنسا فهجمت القبائل المجاورة على داره فهدموها في حرب فرنسا مع الشاوية فبقي نحو العامين فمرض ومات بعد أن بنَى دارا أخرى في زيوا وبهامات

واستفدنا مما قصه علينا القاضي سيدي العربي بن التاغي الحمداوي من خبر القائد محمد بن أحمد المزابي الحمداوي وخليفته العربي بن الشرقي فوائد تاريخية هامة أولا شجاعة القائد محمد بن أحمد وبطولته النادرتين من صموده أمام أعدائه الذين يفوقونه عددا وعدة مدة ثلاثة أعوام متوالية ولم يستطيعوا النيل منه إلى أن انتهت المعارك بصلح بين الطرفين ، ولولا تدخل المخزن بالقبض عليه وسجنه لما استطاعوا الهجوم على داره وهدمها تلك الدار التي بقيت أطلالها ماثلة للعيان إلى سنة 1900 فأخذوا منها صورة وهي تنعي مالكها وتبكيه بلسان الحال

ثانيا ، شجاعة خليفته العربي بن الشرقي من صموده أمام أعدائه واستطاع الافلات منهم وهو مطوق ، كما استفدنا تدبيره وسياسته من فراره إلى قبيلة المذاكرة والتجائه لزاوية أبي الجعد ورجوعه لمكانته كقائد والانتقام من أعدائه الواحد تلو الآخر

ومن الأحداث الطريفة التي وقعت في الشاوية في عصر السلطان مولاي عبد العزيز فتنة الفخر بالقالب الكبير والقالب الصغير

(63)كانت الدار البيضاء سوقا عاما لقبائل الشاوية يبيعون فيه منتوجاتهم الفلاحية والحيوانية ويشترون منه حوائجهم الضرورية والكمالية وكانت مادة السكر

(63) المصدر بعض أعيان قبائل الشاوية .

على نوعين قالب كبير وقالب صغير فالكبير وزنه 5 كيلوغرام والصغير وزنه 2 كيلوغرام في سنة 1322هـ وقعت حادثة بالدار البيضاء وهي أن جماعة من أعراب الشاوية وقفوا على دكان تاجر في السكر والشاي وهم أخلاط فيهم الحريزي والمزابي والمديوني فطلب حريزي من التاجر المذكور أن يناوله قالبا من السكر فناوله قالبا صغيرا فقال الحريزي على سبيل الفخر بقبيلته والسخرية بقبيلة أمزاب هذا قالب صغير امزابي وأنا أريد قالبا كبيرا حريزي فرد عليه أحد من قبيلة أمزاب بل القالب الكبير هو المزابي والقالب الصغير حريزي فوقعت بينهما مشادة كلامية حتى كادوا أن يتثاوروا وكان بعض العقلاء حاضرا فجعل يخفضهم حتى سكتوا وبعد رجوعهم لقبائلهم كانت هذه القصة حديث المجالس في مجتمعاتهم فأنف المزابيون بما فيهم قبيلة لعشاش أن يساموا بالسخرية والاستهزاء من قبيلة أولاد حريز وعدوا هذه الكلمة عارا في جبينهم يجب عليهم رفعه ولو بالحرب وفعلا عقدوا جمعا لدراسة هذه المسألة فاتفقوا على الهجوم على قبيلة أولاد حريز لحربهم ولا يرجعون عن ذلك إلا بالتصريح مهم بأنهم هم القالب الصغير وامزاب القالب الكبير وفعلا اجتمعوا على تنفيذ ما اتفقوا عليه ولما وصلوا إلى قبيلة ارياح المجاورة لهم في طريقهم ذهبوا إلى دوار الحاج قدور ابن الحاج عبد السلام الرياحي وهو من كبار أغنياء أولاد حريز وعقلائهم فخرج إليهم وسألهم عن مقصودهم فأخبروه بالهدف الذي من أجله قدموا وأنهم لا يرجعون إلا إذا سمعوا منهم أن القالب الكبير هو امزابي و ان كلمة القالب الصغير هو الحريزي فأجابهم بأن لا يقول هذه الكلمة إلا ساقط ولا يقول بها عاقل من أولاد حريز وألزموه بأن يقول القالب الكبير هو المزابي والقالب الصغير هو الحريزي فصرح لهم بها فانتهت المشكلة بهذا الحل ، وعدوه صلحا منه ورجعوا إلى قبائلهم وبعد ذلك رفعت القضية من الصلح على هذا الوجه فلم يقبله أعيان أولاد حريز وعدوا هذا الصلح عارا في جبينهم فيجب عليهم رفعه ولو بالحرب فجعلو يتحرشون بقبيلة أمزاب ويستفزونهم ويتلقوا لقوافلهم الذاهبة إلى الدار البيضاء على طريقهم يطلبون منهم واجب الخفارة وربما نهبوا لهم بعض أمتعتهم فاجتمع أهل الحل والعقد من قبيلة أمزاب ودرسوا هذه المسألة وأجمعوا على الهجوم على أولاد حريز فرد عليهم بعض العقلاء ان هذا الهجوم يعرضكم لغضب السلطان وحربه لكم والرأي أن تقدموا شكاية لخليفة السلطان بالدار البيضاء وهو الأمير مولاي عبد المالك ابن السلطان مولاي عبد الرحمان وتشعروه بأنهم كانوا عازمين على الهجوم

على قبيلة أولاد حريز ولم يردهم إلا الخوف من عقاب السلطان

فقدموا إلى الأمير مولاي عبد المالك وقدموا هذه الشكاية وأنهم كانوا قد اصطلحوا معهم وأرادوا نقض الصلح ففرح بهم مولاي عبد المالك خليفة السلطان وأجابهم بالاطمئنان وأنه سيقوم بالواجب وفعلا كتب إلى السلطان فأجابه السلطان بالرسالة التالية نصها

بعد الحمدلة والتصلية

عمنا الأرضَى مولاي عبد المالك سددك الله وسلام عليك ورحمة الله[64] وبركاته وبعد ،

وصل كتابك بأن أولاد حريز يرومون نقض الصلح الواقع بينهم وبين قبيلة امزاب والاعشاش بتعرضهم لهم بطريق الدار البيضاء وقبضهم الخفارات منهم ونهبهم بعض أمتعتهم وعاملهم غاض الطرف عنهم في ذلك وقد أكثر امزاب والاعشاش من التشكي بالضرر الحاصل لهم ولم يصدهم عن مقابلة المذكورين بمثل فعلهم الا ما يرقبونه من عقوبة جنابنا الشريف مشيرا بالتعجيل بصدور أمرنا الشريف لعامل أولاد حريز بالمتعين قبل تجديد الفتنة بين الفريقين الخ وصار بالبال فقد أصدرنا له أمرنا السامي بالله بتدارك ذلك والوقوف فيه والسلام

في 7 ربيع الثاني عام 1322هـ

وعلى ذكر القالب الكبير والقالب الصغير تذكرت أني كنت حضرت مجلس شيخ الطريقة الشيخ فتح الله بناني فتناول في مجلسه أحد علماء الرباط وهو عم الشيخ سيدي المكي المطاوري وكان أمينا بمرسَى الدار البيضاء ، فاتفق مع حمال أن يحمل له قوالب من السكر والاتاي على حماره فقدم إلى داره ووقف بباب الدار ينتظر الحمال فلما رآه قادما بالسكر قال من الفرح ألاي ألاي بفتح الهمزة لام ألف وسكون الياء وأنشد

أتـاني أتـاني بحمـل الأتـاي شربـتـه صيـفا وزدت شتـاي
قوالب ســكـره عـظـمـت فـلما رأيـتـه قـلـت ألاي

(64) جـ 5 من الاتحاف صحيفة 316 .

وكلمة الأي عند أهل الرباط اظهارا للفرح (الايْ الايْ)
وكلمة أتاني الثانية بمعنَى (حماري)

آخر حدث وقع بالشاوية في عصر السلطان مولاي عبد العزيز

احتل الجيش الفرنسي مدينة الدار البيضاء يوم الاثنين 25 جمادَى الثانية سنة 1325هـ الموافق لسابع غشت 1907م وفي 6 رجب من نفس السنة بايع أعيان مدينة مراكش السلطان مولاي عبد الحفيظ الذي لم يكد يحصل على مبايعة سكان عاصمة المغرب حتَّى اتجه بانظاره إلى قبائل الشاوية لتقوية جانبه عن طريق دعوة سكانها لعقد البيعة لهم باسم الجهاد المقدس

وبعد أن وصل الخبر بذلك إلى مولاي عبد العزيز وهو في مدينة فاس بادر بارسال الكتاب التالي إلى مولاي عبد المالك الخليفة السلطاني بمنطقة الشاوية

عمنا الأرضَى مولاي عبد المالك سددك الله وسلام عليك ورحمة الله

وبعد فقد بلغ لشريف علمنا أن ولد عمنا مولاي الرشيد بصدد الخروج من مراكش للشاوية ويتوجه منها لثغر الرباط فارسلنا أمرنا الشريف لعامل هذا الثغر وأهله بأن يكونوا على بال منه إذا ورد وأن لا يقبلوا منه كلاما وان يمنعوه من الدخول إلى المدينة منعا كليا بكل ما أمكن لهم وأصدرنا أمرنا الشريف للعلاف الطالب محمد الجباس بان يقدم من طنجة للرباط بحرا ويصحب معه مددا من العسكر ويقيم بالبلد حتَّى يحل ركابنا الشريف بها أو يقدمه قبل وروده من طنجة بقصد شد عضد أهل المدينة كما أصدرنا أمرنا الشريف للخديم القائد قاسم الأودي وقبيلته لشد عضد أهل المدينة على منع المذكور من الدخول لها وطرده وكن على بال وشد عضدهم على ذلك بكل ما امكنك سددك الله ونحن على نية النهوض يوم الخميس الآتي الذي هو الثالث من شهر شعبان القابل كما قدمنا لك الاعلام بعد السلام في 29 رجب عام 1325هـ

وفعلا جاء مولاي رشيد لقبائل الشاوية الموالين للدار البيضاء أي لمولاي عبد

الحفيظ وبايعوه باسم الجهاد المقدس وفي تلك الأثناء كان السلطان مولاي عبد العزيز قد غادر مدينة فاس في فاتح شعبان من السنة نفسها متجها إلى مدينة الرباط وفي طريقه علم بخبر بيعة الشاوية لمولاي عبد الحفيظ فعقد العزم على محاربتهم وهكذا ألف جيشا برئاسة محمد ولد بوشتى بلبغدادي يساعده ولد بامحمد الشركي كما عين السيد عبد الرحمان المعروفي الملقب بولد الحمراوية نظرا لانتمائه لقبائل الشاوية ليلعب دور الوسيط بين زعماء هذه القبائل ورؤساء الجيش واستمالة القبائل المذكورة عن طريق الاغراء بالعطايا المالية وحط جيش مولاي عبد العزيز بالفعل بقبيلة الزيايدة بمكان يسمى طالع فاضل وما كاد رؤساء الجيش يستقرون بالمكان المذكور حتَّى أمروا السيد عبد الرحمان المغروفي ولد الحمراوية ببدء اتصالاته للتوسط لدَى أعيان الشاوية غير أن هذا الأخير امتنع من القيام بأي اتصال في عين المكان مقترحا استعمال لغة القوة والسلاح ، ذلك لأنه لا يتوفر على أية معرفة أو اتصال بقبيلة الزيايدة حيث تتركز اتصالاته الوثيقة بقبائل امزاب ، الأعشاش والمزامزة وأولاد سعيد ، أما الزيايدة فلم تكن له بهم صلة سابقة وقد يكون من الأسباب التي أدت بالسيد عبد الرحمان المعروفي إلى الاحجام عن القيام بمهمة الوسيط مع قبيلة الزيايدة ما لمسه من حماس لدَى هؤلاء للاندفاع نحو الجهاد تلبية للنداء الموجه إليهم من طرف السلطان مولاي عبد الحفيظ الشيء الذي قد يجعل مأموريته من الخطورة بمكان على حياته ولكن قواد جيش مولاي عبد العزيز لم يتفهموا موقفه

ثم إن أعيان قبيلة الزيايدة عمدوا إلى خطة لكسر شوكة الجيش دون قتال وتتلخص هذه الخطة في مداهمة الجنود وهم نيام وهكذا بعثوا بأحد أفراد القبيلة مندسا في صفوف الجيش وعندما استسلم الجنود للنوم أطلق رصاص بندقيته ليلا ليشعر قومه بذلك طبقا لما وقع الاتفاق عليه من قبل فهجم سكان قبيلة الزيايدة معززين ببعض سكان المذاكرة على الجيش السلطاني في تلك الوضعية فاستولى الرعب على الجنود ودبت الفوضَى في صفوفهم الشيء الذي اضطرهم إلى أن يولوا الادبار صوب الرباط وهم في حالة انهزام واستولت قبيلة الزيايدة على ما كان بيد المحلة ، من أخبية وحيوانات وعتاد

وعلى اثر هذه الواقعة اتهم رؤساء الجيش السيد عبد الرحمان المعروفي ولد الحمراوية بالتآمر مع القبيلة المذكورة للايقاع بهم واوعزوا إلى السلطان مولاي عبد

العزيز بادانته فقبض عليه وأودعه السجن من أجل جريمة هو في الواقع بريء منها

ولعل أكبر دليل على براءة السيد عبد الرحمان المعروفي مما نسب إليه أن السلطان مولاي عبد العزيز كان قد وعده بمنصب الصدارة ان نجح في مسعاه مع قبائل الشاوية

وقد أثبتت مجرايات الأحداث بعد ذلك براءة السيد عبد الرحمان المعروفي واخلاصه للسلطان مولاي عبد العزيز حيث كانت النتيجة الحاسمة لذلك هو القاء القبض عليه بفاس من طرف المولى عبد الحفيظ الذي أمر بسجنه من جديد ثم باعدامه

يبدو مما سبق ان ما ورد في كتاب «فواصل الجمان» لصاحبه محمد غريط من التحامل على السيد ولد الحمراوية عند ذكر هذه القضية الواردة في صفحة 1128 من نفس الكتاب مجرد اتهام لا مبرر له

سندنا في هذه القصة ما أخبرنا به ابن عمنا الأستاذ عبد الرحمان المعروفي ابن الفقيه السيد المفضل المعروفي عم عبد الرحمان ولد الحمراوية المذكور والسيد محمد ابن عبد السلام المعروفي الذي كان إذ ذاك مساعدا لأحد قواد الرحَى بالمحلة المذكورة واستوطن مكناس وبقي فيها إلى أن أقبر بها

تم الجزء الأول بعون الله تعالى وتوفيقه من كتاب «عبير الزهور في تاريخ الدار البيضاء وما أضيف إليها من أخبار أنفا والشاوية عبر العصور» وذلك يوم الاثنين فاتح جمادى الثانية عام 1404هـ موافق 5 مارس سنة 1984م ويليه الجزء الثاني وفاتحته «احتلال فرنسا للدار البيضاء» وأقول لمن طالعه أو نظر فيه ما قاله «خليل بن اسحاق» في مصنفه ، فما كان من نقص كملوه أو خطأ أصلحوه فقلما ينجو مؤلف من الهفوات أو مصنف من العثرات نسأل الله تعالى أن يعين به وينفع ويجعله خالصا لوجه الكريم انه سميع مجيب للدعاء . وآمين .

فهرس

فهــرس الخطــأ والصــواب

وقعت أخطاء مطبعية أثناء طبع الكتاب ونحن اذ نقدم فهرسا ببيان هذه الأخطاء وصوابها ، لنعتذر للقارىء الكريم عن هذه الأخطاء

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
3	2 - 5 6 و 7	إكباري - يبقي - تعماري - كفي	إكبار — يبقى — تعمار — كفى
5	4	انفع به	انفع
7	5	بـــدى	بدا
12	10 13 17	الرجل بقاياه الكبيــرة -	رجل بقاياها كبـيـرة لا
12	19 - 22 - 23 24	لا نعرف اذا كان بالفك الذي - لأحدهما وهذان الفكان	نعرف اذا ما كان بجزاي الفك الذي - لهما - وهما
15	17	واصحابٌ	واصحابَ
19	6	حـــادا	حدى
24	9	المـــدن	مدن
26	18	وعزوته	وغزوته
27	21	سبـــا	سبى
30	15 18 19	ويقولون - فلان - (بهم - وكانوا)	ويقولوا - فلانا - (منهم - كانوا)
34	11	فى منطقتا	فى منطقتي
39	4 5 16	ما يقول - حلومهم - تكلى	كما يقول — احلامهم — ثكلى
43	20	العشور	العشر
44	5	ثـــلاث	ثلاثة
47	16 - 20	وراسائهم لأبي بكر	ورؤسائهم — ابي بكر
48	11	حكـــا	حكى
50	7	الموحدين	الموحدي
51	11	وهم جشم	وهو جشم
53	27	روو	رووا
55	5 15 17	وماءها - وزروع - ظاهر	وماؤها — وزرع — ظاهرة
55	25	المعزة	المعز
56	19	السلاحيف	السلاحف
57	1	سبقته	سبقه
58	9 - 12	وصرف الى — حتى كثروا	وانصرف الى — حتى كثر
60	2 و 16 20	تعيت — واذا تأملنا تضمنه	تعيث — واذا تأملنا ما تضمنه
61	2	من بناءها	من بنائها
63	18	ثلاثة واربعون كيلو ونصف كرام	ثلاثة واربعون ونصف كيلو كرام

الصفحة	السطـر	الخطـــا	الصـــواب
65	8 9	تشهد — 849 هـ	يشهد — 819 هـ
66	17	وولـــي	وَوَلِـــي
68	3 - 18	يحيـــا — وصحبه	يحيى — وصحبة
69	2	الفلتاة	الفلتات
70	2 23	تشير — ويؤذي	تثير — وَيئُوْذَى
71	14 21	والتكميلة — روي	والتكملة — روى
72	10	للفتيا	للفتوى
74	5 20	القرا — الأعز	القرى — الا عَزّ
75	13 15 21	وتتشرف به . التكميلة . سبويه	وتتشرف بهم - والتكملة . سيبويه
76	3	بعلماءها	بعلمائها
79	19 22	فعدا علي كبيرهما ابن عمـــه علي — أخ علي	فاعتدى علِيٍ كبيرهما على ابن عمه علِيٍ — أخو علي
80	4	بحيـــا	يحيى
81	6	ووجوده	ووجد
82	8	بواوا	بوؤوا
84	8 16	فركب — خطبائهم	فركبوا — خطباؤهم
85	16	لنطلب	لأطلـــب
86	9 23	المجاورين — يحيط	المجاورون — تحيط
87	18	الــــه	إلـــه
88	24	مخلات	مخـــلاة
93	1 13	جيئا — يدل	جيشا — تدل
94	4	العالمون	عالمون
95	20	بناءها	بناؤها
96	16	يسار	اليسـار
100	9 و 10 22	توجد بناية — وصار	توجد به بناية — وصارت
102	3	فسئل	فسأل
103	3	الترميذي	الترمذي
104	7 15	بهيبة — وحكـــا	بهبة — وحكى
105	5 11	العسكر — يحصنون	عسكر — يحصن
107	19	وتصلـــح	تصلح
113	12 - 13	نسخة — يتجلى	نسخه — تتجلى
115	10	حلقـــة	حلقات

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
116	7	ووجهائها	ووجهاؤها
117	27	المسماة بالسمارة	المسمى بالسمار
118	4	اليبانيين	اليابانيين
120	22	وهي	وهو
121	17 ـ 25	سبكة ـ فرنسا	سبيكة ـ الفرنسيين
122	1	فرنسا	الفرنسيين
123	20	العشائين	العشاءين
125	2	وغيرهم	وغيرها
126	5 6	ترجمته ـ الترجمة	تراجمه ـ التراجم
128	9 13	المذكور ـ الدروس بالشهور الفاضلة	المشهور ـ دروس الشهور الفاضلة
128	19 و 20 ـ 24	حديثية ونحوية ـ نأتي	الحديثية والنحوية ـ آتي
130	12	البيضاويين الأصليين	البيضاويون الأصليون
131	22	فظن	فضن
134	8	ابتدى	ابتَدِىء
135	4	علتها	غلتها
138	5 10	المكتبة القرن الثامن عشر	بالمكتبة ـ القرن التاسع عشر
139	3 ـ 8 ـ 9 ـ 13	فرنسية أربع فاستقبله ـ سمكا	فرنسيا ـ اربعة ـ استقبله ـ سمك
139	14 ـ 16 21 22	جبنا ـ خمرا بثمان ـ غاليا	جبن ـ خمر ـ بثمانية ـ غالي
140	1-8 ـ 11 و 12	من 15 و 30 اربعة ـ بين 5 15 ـ بين 40،100	من 15 الى 30 ـ اربع ـ بين 5 و15 ، 40 و 100
140	16 17	بين 100 أو 150 كان	بين 100 و 150 ـ فكان
141	14	عشر	عشرة
142	1 8 11	أن يدفع ـ و (16000 فرنك) ـ وغني	على أن يدفع ـ اي (16000 فرنك) ـ وغِنى
143	6 12	لكبير اعينه ـ غنى	لكبر ـ عينيه ـ غنية
144	15	فانه كان يقوم	فانه كانت تقام
149	21	فلح	فالح
150	2 9	عليه (2) ـ بخطبة	اليه ـ كخطبة
151	2	قاضية ـ وجعله	قاصية ـ وجعلها
156	4 ـ 18	الثلاثة ـ اقسام ثلاث	الثلاث ـ اقسام ثلاثة

الصفحة	السطـر	الخطــأ	الصـواب
159	5	وفلان	وفلانـا
160	16	وحكا	وحكى
163	17	لتعليمهم	بتعليمهم
164	3	مافات	ما قمت به
167	2	تجلى	تجلت
168	16	ييئس	ييأس
173	7 15 17	بنت ــ اذ اجتمعت ــ نجتمع	بنتا ــ اذا اجتمعت ــ أجتمع
174	7	وضلنا	وصلنـا
175	11 12	ليلا ــ ابدي	لئلا ــ ابد
177	8	تقسقوا	تقسطوا
179	20	ليلا	لئلا
180	10 16	بسيق ــ هذه	يوسق ــ هذي
181	17	دفع	اندفع
182	12 25	سبي ــ والعدو	سبى ــ والعفو
183	15 23	فاجتمعت ــ ولي	فاجتمع ــ ولّى
188	15	على قبائل	من قبائل
190 - 191		**الصفحة 191 مكان الصفحـة 190**	
191	6 16	فخرج ــ والتبرا	فخرجت ــ والتبرء
194	7	احتفل لهم قبيلة	احتفل لهم أهل قبيلة
197	24	نأمن	الامـن
198	2 10	وليا ــ عشر	واليا ــ عشرة
202	20	ونفـا	ونفى
203	19	وحكا	وحكى
205	8	1772	1792
206	1 5	عزل الغازي الحاج ــ وولى السلطان محمد	عزل الحاج ــ وولى محمد
209	17	ورجع ــ نسائهم	وارجع ــ نساءهم
210	19	الذين	الذي
214	5 9	شرح ــ تسخر	وشرح ــ تسحر
215	3 4 19	عد الرحمان ــ عشر ــ منهم	عبد الرحمان ــ عشرة ــ منهن
217	22	مع رواها	مع ارواها

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
218	21	ويأمره	ويأمرهم
220	10	اسسا	اسس
221	19 24	يرضي — بقي عاملا	يرضى — فقد بقي عاملا
222	19 27	فغفله — ولى	فغافله — فقد ولي
224	12	ببنـاء	بنـاء
227	2 7	مثيرا — الحائر	مشيرا — الجائر
228	5	بفعل ما	فعل ما
229	21 25	وباظهار والحجج — وبقائهم	وباظهار الحجج — وبقاؤهم
231	11	مغربى	مغربيا
232	13 27	يصفع — وذلك	يصفح — ومن ذلك
233	1 13	رجل — انحاش	رجلا — انحاز
234	2	المنشور	المنشورة
236	15 16	اصبائى — وسقوها —	اسبانى — واوسقوها
236	20 22	المسؤولن — فيطالبونهم	المسؤولون — فيطالبهم
237	21	تكلـم	تتكلـم
238	16	الاكريمين	الأكرمين
245	16 19	لضريحهما — وعشري	لضريحيهما — وعشرين
246	19	ونشروا	ونشروه
250	2 13	يتضمن — المنبرم	تتضمن — المبرم
252	12	1877 م	1879 م
255	2 8	يسلم — يبنو	تسلم — يبنوا
257	14	الماركان وبلجيك	الماركان والبلجيك
258	1 - 4 - 11	سبق — 1896 م — تكون	سبقت — 1876 — يكون
259	3	كثرة	كثر
260	2	عاملا	عامل
261	3 6	رخبة — اميثان	رحبة — امينين
264	2 10 19	تحل — مثقالا — وبني وراكمـا جعل	تحصل — مثقال — وبني ورا ، كما جعل
264	21	لمحالهم	لحالهم
265	1 - 2 - 3 و 6 8	اك — عمليا — عن — الزيايدة — واذاك	له — عملنا — من — الزيادة — واتاك
265	23	مائة مثقالا	مائتا مثقال

الصفحة	السطر	الخطــــأ	الصــواب
266	12 25	من خير ـ سيد مولانا	عن خير ـ أمين مولانا
268	9 10	لشهر الفارط ونابنا ـ الفارق	لشهر ونابنا ـ الفارط
269	9 11 20	عن غير ـ جانبك ـ حسبما ما	عن خير ـ جنابك ـ حسبما
270	1 5 17	بأن نوجهه لكونه . وهذا . منهم	بأن نوجهه لك لكونه وهذه منــا
271	1	1984	تحذف)
271	4 11	المحفظة 53/70 ـ وقية	المحفظة 52/70 ـ أوقية
272	1 24 25	بجواب ـ ريالا ـ ستة مائة	(تحذف) ـ ريال ـ ست مائة
273	1 3 6	مثقالا ـ المتقدمة ذكرهم ـ محبتك المودة	مثقال ـ المتقدم ذكرها ـ المحبة والمودة
273	17	التحضيص	التحضيض
274	15 - 20	شهرين ـ العشور	شهري ـ العشر
276	14 15 17	حرث ـ ونشانين ـ وهــا النياشين المذكورين	نجا ـ نيشانين ـ وها هي النياشين المذكورة
277	19 20	مديونية ـ صهرا	مديونة ـ وكان صهرا
279	11	وجهناك ـ شابا	وجهناه ـ مثابا
281	20	دستغرب	تستغرب
282	12	ملموزا	ملزوما
283	5	على طريق كذا يكتبون	على الطريق فيكتبون
284	11 22 23	القضية ـ واجبنا ـ يوجه	الفقيه ـ واجابنا ـ نوجه
285	18 - 21	ببال ـ المحفظة 5/61	على بال ـ المحفظة : 7/61
287	3 7 23	حمرا ـ فكتب ـ بيضاوي	حمارا ـ فاكتب ـ بيضاويا
288	25	جوابا	جواب
290	3	الأمير	الأمين
293	19	مرغوب	مرغوبا
298	18	والمدعى	والمُدَّعِي
300	6	يتعرض	بتعرض
303	7	ويرسلونهم	ويرسلوهم
305	5 24	امَّةً ـ يتناقض	أمَّةً ـ يتناقص
306	21 22	الكنانيس ـ بالمصادقة	الكنانيش للمصادقة
307	9 14	أبو المواريث ـ وكيل الغياب	أبي المواريث ـ ووظيفة وكيل الغياب

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
310	5	وتبلغهم	وتبلغونهم
315	10 12 و 13	تادىء — حزب	تارىء — حزبا
316	1 5 15	ثلي — تلمذ على — ابتلى	تلِي — تتلمذ على — ابتلِي
317	3 11	شاهب — حافظنا	شاهت — حفظا
326	5 - 19	تاريخها — آرائهم	تاريخه — آراؤهم
327	13	حلة	محلة
328	16	بصيرة	بصير
329	15 20	ونساءهم — متطارحلن — ادائه	ونسائهم — متطارحين — اداءه
329	23	شدة	لشدة
331	10	وبقي	وبغى
332	11 16	توفي — مطامره	قتل — مطاميره
334	6 7 8	حريزي — حريزى — يشاوروا	حريزيا — هو الحريزى — يتضاربوا
334	17 28	امزابي — بأنهم كانوا	لمزابي — بأنكم كنتم
335	1	ولم يردهم	ولم يردكم
336	1	الاي	الآي
	14 18	ويتوجه — يقدمه	ليتوجه — يتقدمه
337	9	المغروفي	المعروفي
338	5	اثبت	اثبتت

مطبعة النجاح الجديدة
الدار البيضاء
الايداع القانوني رقم 1987/124

هاشم المعروفي

ازداد حوالي سنة 1897 ميلادية بمدينة الدار البيضاء.

حفظ القرآن إبّان طفولته ثم عكف على دراسة مختلف علوم الدين والأدب، حتّى صار خطيبا وواعظا ومفتيا في النوازل الفقهية، وله ديوان شعر لم يطبع بعد خصّص قسطا وافرا منه لتسجيل نضال الملك والشعب ضد الإستعمار الفرنسي. وكان إلى جانب هذا وذاك شغوفا بعلم التاريخ منكبّا على دراسة كل ما يهمّ المغرب منه.

كان من العدول المبرزين بالدار البيضاء ومستشاراً قضائيا ثم تولى خطّة القضاء. وبعد تقاعده انصرف إلى كتابة هذا التأليف الذي تناول فيه بالدّراسة والتحقيق ما رواه شخصيا ممّا عاصره، وما كُتِب في الموضوع من مراجع عربية وأجنبية.

مطبعة النجاح الجديدة
الدار البيضاء